محاضرات فى
تاريخ المغرب والأندلس

إعداد الدكتور
كمال السيد أبو مصطفى

ALEX. BOOK CENTER
مركز الإسكندرية للكتاب
٤٦ ش د/ مصطفى مشرفة - سوتير سابقا
الإسكندرية - ت : ٤٨٤٦٥٠٨

محاضرات في تاريخ المغرب والأندلس

الدكتور

كمال السيد أبو مصطفي

أستاذ التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية

كلية التربية – جامعة الإسكندرية

٢٠١٤

مركز الإسكندرية للكتاب

٤٦ ش د. مصطفى مشرفة – الأزاريطة

ت. ف : ٠٠٢٠٣٤٨٤٦٥٠٨

info@alexandriabookcenter.com

alexbook.center@yahoo.com

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

أولاً: التعريف ببلاد المغرب

ينبغي أن نميز أولاً بين مصطلحى المغرب والغرب الإسلامى، فالمغرب يقصد به الشمال الأفريقى أو بلاد المغرب العربى كما أطلق عليها فى بعض الأحيان فى العصر الحديث، أما مصطلح الغرب الإسلامى فهو أوسع فى المدلول الجغرافى حيث يطلق على بلاد المغرب والأندلس والجزر الواقعة فى غرب البحر المتوسط (مثل صقلية وجزر إبليار) والتى خضعت للمسلمين، أو بمعنى آخر يقصد بهذا المصطلح القسم الغربى من العالم الإسلامى.

ويرى بعض المورخين والجغرافيين القدامى أن النيل (أو مصر) هى الحد الفاصل بين المشرق والغرب وإن كان البعض يرى أن مصر تدخل ضمن المغرب الإسلامى، فيذكر ابن عذارى أن من أقسام المغرب قسم الإسكندرية إلى طرابلس "وهو أكبرها وأقلها عمارة" أى عمران، ويضيف بأن حد المغرب ينتهى عند ساحل البحر المحيط أى المحيط الأطلسى(١).

---

(١) أنظر. ابن عذارى، البيان المغرب، ج١، ص ٥-٦. مختار العبادى، فى تاريخ المغرب والاندلس، ص١٧ وما يليها؛ حسين مونس، معالم تاريخ المغرب والأندلس، ص١٩ وما يليها.

وقد أشار إلى ذلك أيضاً ابن خلدون فيقول أن "المغرب قطر واحد مميز بين الأقطار، فحَده من جهة المغرب بحر المحيط، وهو عنصر الماء، وسمى محيطا لإحاطته بما انكشف من الأرض..." (١).

ويمكن تقسيم بلاد المغرب نتيجة للضرورة الإدارية إلى ثلاثة أقسام رئيسية هى ما يلى:

١- المغرب الأدنى: ويطلق عليه فى أغلب الأحيان اسم إفريقية وكان يقصد به جمهورية تونس حالياً علاوة على منطقتى برقة وطرابلس (فى ليبيا الآن) ومن أهم مدن تلك المنطقة مدينة القيروان.

٢- المغرب الأوسط: وهى المنطقة الوسطى من بلاد المغرب أو ما يعرف الآن بجمهورية الجزائر، ومن أشهر مدنه تاهرت وتلمسان.

٣- المغرب الأقصى: وهو القسم الواقع فى الطرف الغربى لبلاد المغرب ويعرف اليوم بالمملكة المغربية، ومن أهم مدنه فاس ومراكش وسبتة(٢).

وتكاد تتشابه بلاد المغرب فى مظاهرها الجغرافية أو الطبيعية فهناك سلاسل جبلية تخترق بلاد المغرب من أقصاه إلى أدناه وهى

---

(١) ابن خلدون، العبر، ج٦، ص٩٨.

(٢) راجع: حسين مونس، نفسه، ص٢١-٢٣؛ العبادى، نفسه، ص١٨.

سلسلة جبال اطلس، ويقع إلى الشمال منها جبال الريف التى تمتد بموازاة ساحل البحر المتوسط والتى تمتد من طنجة حتى تلمسان غربى الجزائر تاركة سهلاً ساحلياً ضيقاً على البحر المتوسط(١).

سكان بلاد المغرب قبل الفتح الاسلامى

كان سكان المغرب قبل الفتح الإسلامى يتألفون من عنصرين مختلفين:

الأول: العناصر الوافدة على المغرب وهم الذين استعمروا السواحل المغربية بصفة خاصة من الروم أو البيزنطيين الذين ورثوا أملاك الرومان، وكانوا يمثلون أقلية بالنسبة للسكان الأصليين.

الثانى: السكان الأصليون وهم الذين يطلق عليهم اسم البربر، وكانوا يشكلون الغالبية العظمى من سكان المغرب.

وكان البربر ينقسمون إلى قسمين كبيرين مثلما العرب ينقسمون إلى قحطانية (يمنية) وعدنانية (مضرية)، فهناك البربر البتر نسبة إلى جدهم مادغيس بن بر الملقب بالأبتر وكانت غالبيتهم من البدو الرحل الذين يعتمدون على الرعى، ويعيشون فى المناطق الصحراوية ومن أشهر قبائلهم، قبيلة زناته، وهناك أيضا البربر البرانس نسبة إلى جدهم برنس بن بر، ومعظم قبائلهم تتمتع بالاستقرار وتعمل بالزراعة فى القرى والمناطق الريفية، وإن كانت توجد منهم قبائل صحراوية، ومن أشهر

---

(١) انظر: عبد العزيز سالم، تاريخ المسلمين واثارهم فى الأندلس، ص١٣-١٦.

قبائل البربر البرانس: قبيلة صنهاجة(١).

أما الحالة الدينية في بلاد المغرب قبل الإسلام، فكانت بعض القبائل البربر على المسيحية نظرا لخضوعهم للروم أو البيزنطيين، كما اعتنق بعضهم الديانة اليهودية لدخول التجار اليهود إلى المغرب وعلاقتهم التجارية مع قبائل المغرب من البربر، وعلاوة على ذلك انتشرت أيضاً خاصة بين القبائل الصحراوية عبادة الأوثان والنار أو المجوسية والظواهر الطبيعية(٢).

وجدير بالملاحظة أن السكان الأصليين لبلاد المغرب أطلق عليهم الإغريق والرومان اسم البربر **Barbaros** أو **Barbari** لأنهم كما يذكر بعض الباحثين يحدثون أصواتاً غير مفهومة يغلب عليها حرفي الباء والراء أي أنهم يبربرون في كلامهم، أو لأن المستعمرين الرومان الذين سيطروا على سواحل المغرب اعتبروا السكان الأصليين من أهل المغرب غرباء على حضارتهم الرومانية، أما البربر فأطلقوا على أنفسهم اسم "الأمازيغ، أي الرجال الأحرار الأشداء"(٣).

---

(1) راجع التفاصيل في: ابن خلدون، العبر، ج٦، ص٨٩، وما بعدها، عبد العزيز سالم، نفسه، ص١٩.

(2) انظر: ابن خلدون، نفسه، ج٦، ص١٠٧-١٠٨؛ العبادي، نفسه، ص٢٢؛ اندريه جوليان، تاريخ أفريقيا الشمالية، ترجمة محمد مزالي والبشير بن سلامة، ص٢٥.

(3) سالم: نفسه، ص١٨-١٩؛ العبادي، نفسه، ص١٩.

التعريف بجغرافية وسكان بلاد الأندلس

تقع شبه جزيرة إيبيريا أو بلاد الأندلس كما كانت تسمى فى العصر الإسلامى فى الجنوب الغربى من أوروبا، وهى عبارة عن شبه جزيرة، إذ تحيط بها المياه من جميع جهاتها ما عدا الجهة الشمالية الشرقية حيث تمتد سلسلة جبال البرتات التى تفصل بين الأندلس وبلاد غالة (فرنسا)، ويحدها من الشرق البحر المتوسط (بحر الشام أو بحر الروم)، ومن الغرب والشمال الغربى المحيط الأطلسى، ومن الشمال خليج بسكونيه أو بسكاى، أما من الجنوب فمزيج مياه البحر المتوسط والمحيط الأطلسى حيث يوجد مضيق جبل طارق الذى يفصل بين جنوب الأندلس والمغرب الأقصى(١).

وتنتشر الجبال بتضاريس الأندلس، التى هى عبارة عن هضبة كبرى تسمى هضبة المزيتا يبلغ متوسط ارتفاعها عن مستوى سطح البحر حوالى ستمائة متر، وتطل بحافاتها على السواحل مما كان له أثره فى ضيق السهول الساحلية الأندلسية(٢).

وتضم بلاد الأندلس عدة سلاسل جبلية، فمن الجنوب تمتد سلسلة جبال سيرامورينا **Sierra Morena** أى الجبال السمراء،

---

(1) انظر. ابن غالب، قطعة من كتاب فرحة الانفس، ص٢٨١؛ عبد العزيز سالم، مادة الأندلس (دائرة معارف الشعب)، ص٣.

(2)حسين مونس، معالم تاريخ المغرب والاندلس، ص٢٢٩.

وسلسلة جبال سيرانيفادا (جبل شلير أو جبل الثلج) بمنطقة غرناطة فى الجنوب الشرقى، أما فى الشرق فتوجد جبال شرق الأندلس التى تسمى أيضا بالجبال الإيبيرية، فى حين تمتد فى الوسط جبال طليطلة المعروف بجبال الشارات.

أما المناخ: فيسود بلاد الأندلس مناخ البحر المتوسط ومناخ غرب أوروبا، فشرق الأندلس وجنوبه يقعان فى نطاق مناخ البحر المتوسط، بينما يسود المنطقة الشمالية والشمال الغربية والغربية مناخ غرب أوروبا، فى حين تخضع المناطق الداخلية فى وسط الأندلس للمناخ القارى. وقد كان لتنوع المناخ تأثيره الواضح على الإنتاج الزراعى فى تلك البلاد مترامية الأطراف حيث ساعد على تنوع الحاصلات الزراعية، ويؤكد ذلك قول البكرى فى وصفها بأنها "شامية فى طيبها وهوائها،.... هندية فى عطرها وذكائها، أهوازية فى عظيم جبايتها.... عدنية فى منافع سواحلها..." [1].

وتشتمل بلاد الأندلس على عدة أنهار (أو أودية كما فى المصطلح الأندلسى) بعضها يجرى إلى الشرق ويصب فى البحر المتوسط، والآخر يجرى نحو الغرب ويصب فى المحيط الأطلسى ومعظمها ينبع من جبال وسط الأندلس ومن أهم تلك الأنهار: نهر إبره Ebro الذى يروى

---

[1] راجع: البكرى، جغرافية الأندلس واوروبا من كتاب المسالك والممالك، ص٧٠، المقرى، نفح الطيب، ج١، ص١٢٨؛ سالم، مادة الأندلس، ص٣-٤؛ العبادى، نفسه، ص٢٣؛ مونس، نفسه، ص٢٢٩.

سرقسطه وما جاورها، ونهر طوريه **Turia** أو الوادى الأبيض الذى تقع عليه مدينة بلنسية، ونهر شقورة الذى يروى مرسية، والوادى الكبير الذى تطل عليه قرطبة وإشبيلية، ونهر التاجه **Eltago** الذى تقع عليه طليطلة(١).

وتجدر الاشارة هنا إلى أن لفظ الأندلس كان يقصد به المناطق التى كانت تحت الحكم الاسلامى فى شبه الجزيرة الإيبيرية، وعندما ضعفت دولة الإسلام هناك اقتصرت فقط على مملكة غرناطة أو مملكة بنى الأحمر آخر مملكة إسلامية على الأرض الإسبانية، وكانت تقع فى جنوب شرق شبه الجزيرة الإيبيرية.

وكلمة أندلس تعريب لاسم واندالوس أن قبائل الوندال الجرمانية التى سيطرت على جنوب إسبانيا وسُمى باسمها، وعقب الفتح الإسلامى عرب المسلمون هذا الاسم وأطلقوا على تلك البلاد اسم الأندلس(٢).

أما فيما يتعلق بالسكان: فيرى بعض الباحثين أن سكان إسبانيا كانوا يتكونون من عناصر حامية ليبية جاءت من شمال أفريقيا، واختلطت مع عناصر أوروبية كلتية وفدت من شمال أوروبا، ومن هذا المزيج تكون الشعب الاسبانى أو الإيبيرى الذى نسبت إليه شبه الجزيرة الإيبيرية

---

(١) انظر: الرازى، وصف الأندلس، نشر ليفى بروفنسال، مجلة الأندلس ١٩٥٣، ص٦٢، ١٠١-١٠٣؛ ابن غالب، نفسه، ص٣٠٧؛ سالم، مادة الأندلس، ص٤٠.

(٢) العبادى، نفسه، ص٢٢-٢٣؛ مونس، نفسه، ص٢٢٨-٢٢٩.

(ايبيريا) (١).

جذور الصلات التاريخية والحضارية بين بلاد المغرب والأندلس

ارتبطت الأندلس ببلاد المغرب بصلات تاريخية وحضارية وثيقة منذ القدم وترجع إلى العصر الفينيقى. ذلك أن التوسع الفينيقى ثم القرطاجى فى سواحل شمال أفريقيا والسواحل الجنوبية والجنوبية الشرقية لشبه جزيرة إيبيريا (إسبانيا) ساعد على قيام نوع من التواصل بين بلاد المغرب وإسبانيا، كذلك حدث إتصال تاريخى بين البلدين فى القرن الخامس الميلادى عندما اضطرت قبائل الوندال الجرمانية إلى الهجرة جنوباً نحو المغرب تحت ضغط قبائل جرمانية أخرى من القوط الغربيين الذين سيطروا على إسبانيا قبل الفتح الاسلامى(٢).

أما فى العصر الإسلامى فإن أقدم الهجرات الأندلسية إلى المغرب كانت فى سنة ١٣٦ه‍ (٧٥٥-٧٥٦م) عندما اضطرت أعداد كبيرة من مسلمى الأندلس إلى الرحيل عنها إلى مدينة طنجة وغيرها من مدن المغرب الأقصى القريبة من سواحل الأندلس الجنوبية، وظلت الهجرات مستمرة من كلا الجانبين فى القرنين الثانى والثالث الهجريين تحت وطأة

---

(١) أنظر: العبادى، نفسه، ص٢٦.

(٢) العبادى: نفسه، ص٢٦-٢٩؛ سالم، فى تاريخ وحضارة الإسلام فى الأندلس، ص٧-٨؛ عبد العزيز بن عبد الله، الأندلس والمغرب (وحدة ام تكامل) مجلة المناهل ١٩٨٤، ص٧٣.

القحط والمجاعة[١].

ومن الثابت أن علماء المغرب والأندلس كانوا كثيرى التنقل بين البلدين مما يؤكد قوة الاتصال التاريخى والحضارى بينهما طوال العصر الإسلامى، وقد أمدتنا كتب التراجم والطبقات بالعديد من الأمثلة التى توضح مدى الترابط بينهما، من ذلك ما ذكرته المصادر بأن المؤرخ الأندلسى محمد بن يوسف الوراق (عاش فى القرن ٤هـ/١٠م) واصله من مدينة وادى الحجارة الأندلسية انتقل آباؤه إلى افريقية، فنشأ بالقيروان، وغنى بالعلم ثم ما لبث أن عاد إلى وطنه الأصلى الأندلس فى عهد الخليفة الأموى الحكم المستنصر بالله (٣٥٠-٣٦٦هـ) [٢].

كذلك نلاحظ أنه منذ النصف الأول من القرن ٧هـ بدأت موجات متتابعة من الهجرات الأندلسية تتدفق على بلاد المغرب بسبب نشاط حركة الاسترداد الإسبانى المسيحى فى الأندلس المعروفة باسم حركة الريكونكستا La Reconqnista، وسقوط الكثير من مدن الأندلس ورفض الكثير من سكانها المسلمين الخضوع للحكم الإسبانى المسيحى، وكان لهجراتهم إلى المغرب أعظم الأثر فى نقل العديد من التأثيرات

---

(١) ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص٣٨؛ بن عبد الله، نفسه، ص٧٥.

(٢) ابن الابار: التكملة، ج٢، ص٦١١-٦١٢ ترجمة رقم ١٦٠٦.

والمظاهر الحضارية الأندلسية إلى بلاد المغرب(1).

(1) المقرى، نفح الطيب، ج٤ (طبعة محى الدين عبد الحميد) ص١٤٧؛ محمد الطالبى، الهجرة الأندلسية الى افريقية أيام الحفصيين. مجلة الأصالة ١٩٧٥، ص١؛ الحبيب بن الخوجه، الهجرة الاندلسية الى افريقية فى القرن ٧هـ/ ١٣م، مجلة كراسات تونس ١٩٧٠، ص١٢٩.

الفصلْ الأوّلْ

الفتح الإسلامي لبلاد المغرب

الفصل الأول

الفتح الإسلامي لبلاد المغرب

يتضح من المصادر الاسلامية أن الفتح الإسلامى لبلاد المغرب لم يتسم بالسهولة والسرعة على عكس فتوحات المسلمين فى المشرق خاصة فى العراق والشام ومصر، حيث استمر فتح المسلمين لبلاد المغرب مدة طويلة تصل إلى حوالى سبعين عاماً، وهذا يرجع إلى عدة أسباب منها:

١- صعوبة تضاريس بلاد المغرب حيث تكثر بها الجبال والمرتفعات مما يصعب من عملية زحف الجيوش الإسلامية.

٢- تميز البربر سكان المغرب بالشجاعة وقوة البأس والتحمل وشدة المقاومة والاستبسال فى القتال.

٣- تحالف البربر مع الروم (البيزنطيين) فى التصدى للحملات الإسلامية، والتفوق البحرى للروم فى بداية الفتوحات[١].

٤- بُعد ميادين القتال فى المغرب عن مركز الخلافة الإسلامية فى المشرق سواء فى المدينة أو دمشق مما صَعب من مهمة إمداد الجيوش الاسلامية.

---

(١) أنظر، العبادى: نفسه، ص٣٤؛ سالم، تاريخ المسلمين واثار هم فى الأندلس، ص٢٥.

٥- نشوب بعض الفتن الداخلية فى الدولة الإسلامية مثل فتنة مقتل الخليفة عثمان بن عفان والصراع بين الخليفة على بن أبى طالب ومعاوية بن أبى سفيان والى الشام.

ويمكن تقسيم مراحل الفتح الاسلامى لبلاد المغرب إلى مرحلتين أساسيتين المرحلة الأولى: هى مرحلة الغارات، والمرحلة الثانية: تسمى مرحلة الفتح المنظم.

أولاً: مرحلة الغارات (٢١-٤٩هـ)

(١) حملة عمرو بن العاص (٢١-٢٣هـ)

بدأ المسلمون فى فتح بلاد المغرب منذ عهد الخليفة عمر بن الخطاب وأثناء ولاية عمرو بن العاص على مصر فى سنة ٢١هـ حيث أن إقليم برقة الذى يعتبر هو بداية بلاد المغرب بمثابة امتداد لحدود مصر الغربية، وكذلك لتأمين تلك المنطقة الغربية لمصر من خطر الروم (البيزنطيين) الذين كانوا يسيطرون على معظم افريقية أو المغرب الأدنى خاصة المناطق الساحلية[١].

فعقب انتهاء عمرو بن العاص من فتح مصر سنة ٢١هـ، تذكر المصادر التاريخية أنه بعث عقبة بن نافع الفهرى إلى منطقتى لوبيه (بين الإسكندرية وبرقة) وبرقة لاستطلاع الأوضاع بهما، ويبدو أنه اطمأن إلى تقرير عقبة عن تلك المناطق، فزحف على رأس جيشه إلى برقة التى كانت تسكنها قبيلة لواته من البربر البتر، والتى أسرعت إلى إعلان الولاء والخضوع للمسلمين، فصالحهم عمرو على "الجزية دينار على كل حالم" (أى بالغ)، ويؤكد ذلك قول المورخ ابن عبد الحكم المصرى" فسار عمرو بن العاص فى الخيل حتى قدم برقة، فصالح أهلها على ثلاثة عشر ألف دينار يؤدونها إليه جزية..."، كما أقبل بعضهم على الدخول فى الإسلام، وبذلك نجح عمرو فى إخضاع بربر برقة صلحاً أى دون قتال، وأصبحوا

---

(١) انظر، العبادى: نفسه، ص٣٥؛ سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم فى الأندلس، ص٢٥.

من الموالين للمسلمين وعونا لهم(١).

وعقب ذلك زحف عمرو بجيشه حتى وصل إلى مدينة طرابلس سنة ٢٣هـ، وكانت مدينة حصينة محاطة بأسوار منيعة، عدا الموضع المطل على ساحل البحر فلم يكن مسوراً، وتمكن عمرو من دخول المدينة من تلك الجهة بعد حصار استمر لمدة شهر، واضطر الروم إلى الهرب فى سفنهم بعد مقتل أعداد منهم، "وغنم عمرو ما كان فى المدينة"(٢).

وعقب فتح طرابلس بعث عمرو بفرقة من جيشه تمكنت من فتح سَبْرت (أو صبرة) غرب طرابلس وغنمت ما فيها، كما تمكنت فرقة أخرى بقيادة بسْر بن أبى أرطأة من فتح ودَّان (عاصمة إقليم خزان وتقع جنوب طرابلس)، بينما نجح عقبة بن نافع فى فتح بقية المنطقة الصحراوية فى إقليم فزان جنوب طرابلس فى سنة ٢٣هـ(٣).

وتذكر المصادر التاريخية أن القائد عمرو بن العاص فكر بعد استيلائه على إقليم طرابلس أن يواصل فتوحاته غرباً فى داخل أو قلب بلاد إفريقيـــة (تونس حالياً) فأرسل يستأذن أولاً من أمير المؤمنين الخليفة عمر بن الخطاب، غير أن الخليفة خشى على جيوش المسلمين من

---

(١) أنظر: ابن عبد الحكم، فتوح افريقية والاندلس ص٢٩؛ ابن عذارى، البيان المغرب، ج١، ص٨؛ مونس، معالم، ص٣١؛ العبادى، نفسه، ص٣٥؛ سالم، نفسه، ص٢٦-٢٧.

(٢) ابن عبد الحكم، نفسه، ص٣٠-٣١؛ ابن عذارى، نفسه، ج١، ص٨.

(٣) ابن عبد الحكم، نفسه، ص٣٢؛ سالم، نفسه، ص٢٧.

التشتت فى تلك البلاد مترامية الأطراف، ولذا رفض تلك الفكرة، وأمره بالاكتفاء بما حققه من فتوحات والعودة إلى مقر ولايته فى مصر(١).

(٢) حملة عبد الله بن سعد بن أبى سرح سنة ٢٧هـ:

فى عهد الخليفة عثمان بن عفان واصل المسلمون حملاتهم على بلاد المغرب، فخرج عبد الله بن سعد والى مصر على رأس حملة إلى بلاد المغرب، فنزل أولاً بطرابلس، ثم دخل أراضى إفريقية فى حوالى عشرين ألف من الجند، وكانت افريقية تحت حكم أمير يدعى جرجير أو جريجوريوس البيزنطى، والتقى به المسلمون عند حصن سُبيطلة الذى كان يتحصن فيه مع جيشه، وتمكن المسلمون من انزال الهزيمة بالروم (البيزنطيين) فى معركة سبيطلة عام ٢٨هـ بفضل حيلة لعبد الله ابن الزبير(٢).

ونتج عن انتصار ابن سعد فى موقعة سبيطلة فتح تلك المدينة وحصنها المنيع. وغنم المسلمون غنائم هائلة، وأرسل من هناك عدة سرايا وغارات إلى عدة مناطق بافريقية، ورجعت ظافرة غانمة، وأنزلت الرعب فى قلوب الروم، الذين اضطروا للتحصن فى معاقلهم وحصونهم،

---

(١) ابن عبد الحكم، نفسه، ص٣٣؛ ابن عذارى، نفسه، ج١، ص٨.

(٢) راجع حول ذلك: ابن عبد الحكم، نفسه، ص٣٥-٣٦؛ ابن عذارى، نفسه، ج١، ص٨-١١؛ مونس، نفسه، ص٣٢-٣٣؛ العبادى، نفسه، ص٣٦؛ سالم، نفسه، ص٢٩-٣٠؛ سعد زغلول، تاريخ المغرب، ج١، ص١٥٠ وما يليها.

وأرسلوا إلى ابن سعد يلتمسون عقد الصلح مع المسلمين على أن يدفعوا الجزية وينسحب من بلادهم، فوافق على عقد الصلح وأخذ منهم الجزية، وعاد إلى مصر خاصة وأن الأنباء قد وصلته بغارات النوبيين على جنوب مصر[1].

(٣) حملة معاوية بن خديج عام ٤٥ﻫ:

في عهد الخليفة الأموي معاوية بن أبي سفيان تم إرسال حملة إلى بلاد المغرب بقيادة معاوية بن حديج وهو من المقربين للخليفة، فدخل إفريقية عام ٤٥ﻫ حيث عسكر في موضع يسمى قمونية جنوب قرطاجنه، ومن هناك أرسل عدة سرايا من أهمها سرية بقيادة عبد الله بن الزبير الذي فتح خلالها بعض المدن الساحلية مثل قابس وسوسه وبنزرت، بعد انتصاره على جيش الروم عند سوسه، وهناك سرية أخرى بقيادة الأمير الأموي عبد الملك بن مروان الذي فتح خلالها حصن جلولاء المنيع في وسط إفريقية[2].

وعقب ذلك تم عزل ابن حديج وإسناد القيادة في المغرب للقائد عقبة بن نافع، وبذلك تبدأ مرحلة جديدة في الفتوحات تسمى مرحلة الفتح المنظم.

---

(1) راجع. ابن عبد الحكم، نفسه، ص٣٦؛ ابن عذارى، نفسه، ج١، ص١٢؛ العبادى، نفسه، ص٣٦.

(2) راجع. ابن عبد الحكم، نفسه، ص٤٧-٤٩؛ ابن عذارى، نفسه، [illegible] ص١٧-١٩؛ مونس، معالم، ص٣٤؛ العبادى، نفسه، ص٣٧؛ سالم، نفسه، ص٣٢-[illegible].

ثانياً: مرحلة الفتح المنظم لبلاد المغرب (٥٠-٩٠هـ)

(١) ولاية عقبة بن نافع الأولى على المغرب (٥٠-٥٥هـ)

تمثل مرحلة الفتح المنظم أهم مرحلة فى فتوحات المسلمين فى بلاد المغرب، حيث بدأ الفتح الحقيقى لتلك المناطق ولم تعد الحملات الإسلامية على المغرب كما كانت فى المرحلة السابقة مجرد غارات، وتعود إلى مصر محملة بالمغانم والسبايا، بل أصبح هدفها الأساسى الاستقرار أى استقرار الجيوش الإسلامية فى تلك المناطق، ونشر الإسلام بين أهلها من البربر.

ولعل اختيار الخليفة معاوية للقائد عقبة بن نافع لتولى الأمور فى المغرب يرجع إلى خبرته الحربية الطويلة هناك حيث مكث بها حوالى ربع قرن، مشاركاً فى كل الحملات على المغرب منذ حملة عمرو بن العاص حتى حملة معاوية بن حديج، علاوة على براعته الحربية وحماسه الشديد لنشر الإسلام بين الوثنيين من البربر فى بلاد المغرب[1]، كما كان يرى ضرورة استقرار المسلمين فى بلاد المغرب مما يساعد على دخول البربر فى الإسلام وتعريبهم، فتذكر المصادر التاريخية أن عقبة أوضح لجنده أن إفريقية إذا دخلها إمام (أى أمير أو حاكم) أجابوه إلى الإسلام،

---

(١) راجع: ابن عذارى، نفسه، ص١٩؛ سعد زغلول، نفسه، ج١، ص١٨٣، سالم، نفسه، ص٣٣-٣٤؛ العبادى، نفسه، ص٣٧.

فإذا خرج منها رجع من كان أجاب منهم لدين الله إلى الكفر! فأرى لكم يا معشر المسلمين أن تتخذوا بها مدينة تكون عزاً للإسلام إلى آخر الدهر"(١).

وعلى هذا قرر عقبة بناء مدينة القيروان (كلمة مُعربة عن الفارسية ومعناها المعسكر) التى اختار لها موضعاً ملائماً، بحيث تكون بعيدة عن ساحل البحر حتي لا تتعرض لغارات الروم البحرية، كما أنها بعيدة عن داخل الصحراء تجنباً لهجمات البربر الذين كانوا حلفاء للروم، ومن ناحية أخرى كانت توجد مناطق رعوية ومستنقعات قرب موقع القيروان ولذا فهى صالحة للرعى(٢).

وتشير بعض المصادر إلى أن الموضع الذى اختاره لبناء مدينة القيروان كان عبارة عن منطقة غابات تكثر بها الأشجار الكثيفة والزواحف والهواء والحيوانات المفترسة، فدعا هو وأصحابه الله تعالى بأن ترحل عن المكان فرحلت، وهذه الرواية يغلب عليها الطابع الأسطورى، حيث أنه من المرجح أن عقبة أمر أتباعه بإشعال النيران فى الأشجار لتمهيد الأرض للبناء، مما أدى إلى فزع الحيوانات ورحيلها عن المكان(٣).

---

(١) ابن عذارى، نفسه، ج١، ص١٩.

(٢) ابن عذارى، نفسه، ج١، ص١٩-٢٠؛ سالم، نفسه، ص٣٤.

(٣) ابن عبد الحكم، نفسه، ص٥٤؛ ابن عذارى، نفسه، ١،ص٢٠؛ سعد زغلول، نفسه، ص١٨٤-١٨٥؛ سالم، نفسه، ص٣٥.

وقد بدأ عقبة أولاً ببناء المسجد الجامع (جامع القيروان أو جامع عقبة) فى وسط المدينة كعادة المسلمين دائماً عند تأسيس مدنهم، وبجوار الجامع شيّد دار الإمارة، ثم قام أتباعه من الجند ببناء الدور أو المساكن، وأصبحت مدينة عامرة اجتذبت الناس- خاصة من البربر- لسكناها، ودخل الكثير منهم فى الإسلام، كما نتج عن بناء تلك المدينة الإسلامية أن أصبح للمسلمين قاعدة حربية ثابتة فى قلب الأراضى المغربية، ومركزاً لخروج الحملات الإسلامية لمواصلة الفتوحات هناك(١).

وقد استغرق بناء مدينة القيروان حوالى خمس سنوات، ولم يكد عقبة ينتهى من بنائها فى سنة ٥٥هـ حتى أمر الخليفة معاوية بن أبى سفيان بعزله عن ولاية إفريقية، قيل بسبب وشايات مسلمة بن مُخَلَّد الأنصارى والى مصر وإفريقية الذى كان ساخطاً على سياسة الشدة والعنف التى يستخدمها عقبة فى معاملة البربر(٢)، ولذا قام بإسناد ولاية افريقية إلى أبى المهاجر دينار (وهو من موالى مسلمة بن مخلد).

---

(1) ابن الاثير، الكامل فى التاريخ، ج٣، ص٣٢٠-٣٢١؛ ابن عذارى، نفسه، ج١، ص٢١؛ سعد زغلول، نفسه، ج١، ص١٨٧ العبادى، نفسه، ص٣٧؛ مؤنس، نفسه، ص١٦.

(2) ابن عذارى، نفسه، ج١، ص٢١؛ سعد زغلول، نفسه، ج١، ص١٨٨.

(٢) ولاية أبى المهاجر دينار (٥٥-٦٢هـ):

عقب تولية أبى المهاجر على إفريقية، اساء عزل عقبة وسجنه إلى أن وصلت رسالة من الخليفة معاوية بإطلاق سراحه، وإرساله إلى العاصمة الأموية دمشق، فاتجه أولاً إلى مصر حيث اعتذر له مسلمه عما بدر من أبى المهاجر، كما استرضاه الخليفة، ووعده بإعادته إلى ولايته.

على أية حال استخدم أبو المهاجر دينار أثناء ولايته على إفريقية سياسة جديدة نحو البربر تختلف عن سياسة سلفه عقبه، حيث اتبع معهم أسلوب السياسة واللين.

وتذكر المصادر التاريخية أن أبا المهاجر لم يستقر بمدينة القيروان التى بناها عقبة، وإنما أسس موضعاً جديداً كى يُنسب إليه ينزل فيه هو وجنده على مسافة ميلين من القيروان، وأمر الناس بتعميره وهجروا القيروان(١).

وقام أبو المهاجر أثناء فترة ولايته بافريقية بعدة حملات فى سنة ٥٩هـ، وتمكن خلالها من فتح عدة مناطق جديدة هناك مثل جزيرة شريك بعد أن أنزل الهزيمة بالروم قرب حاضرتهم قرطاجنة، وأجبرهم على عقد الصلح، وتخليهم عن تلك الجزيرة وبسط سيطرته بذلك على الإقليم الواقع إلى الجنوب من قرطاجنة، كما فتح مدينة ميله بالمغرب

---

(١) انظر. ابن عبد الحكم، نفسه، ص٥٧، ٥٦؛ ابن عذارى، نفسه، ج١، ص٢٢.

الأوسط ووصل حتى مدينة تلمسان (غرب المغرب الأوسط أو الجزائر حالياً)، حيث أنزل الهزيمة بالبربر البرانس (من قبيلة أوربة) هناك واجتذب بحسن سياسته زعيمهم كُسيلة إلى الإسلام، فأسلم هو وأتباعه، ثم لم يلبث أن عاد وبصحبته كسيلة إلى قاعدته بإفريقية(١).

(٣) ولاية عقبة بن نافع الثانية (٦٢-٦٤هـ):

بعد وفاة الخليفة معاوية وتولى ابنه يزيد الحكم سنة ٦٠هـ، قام بإعادة عقبة إلى ولاية افريقية فى سنة ٦٢هـ تقديراً لدوره فى الفتوحات فى بلاد إفريقية والمغرب.

واتجه عقبة من الشام قاصداً افريقية، ومعه بعض أتباعه، وعندما وصلها أمر بتخريب المدينة التى بناها أبو المهاجر، وعامله معاملة سيئة مثلما فعل معه من قبل، ثم أمر الناس بالعودة إلى مدينة القيروان وأعاد تعميرها من جديد، وتذكر المصادر أن عقبة أخذ يدور بأتباعه حول القيروان وهو يدعو لها بأن تكون بلد علم وفقه، وأن يجعلها الله تعالى عزاً للإسلام(٢).

ولم يلبث عقبة أن قام بغزوته الكبرى فى بلاد المغرب سنة ٦٢هـ، حيث ترك نائباً عنه بالقيروان وهو زهير بن قيس، وتمكن عقبة من

---

(١) تاريخ خليفة بن خياط، ص٢٢٦؛ ابن خلدون، العبر، ج٤، ص١٨٦؛ سعد زغلول، نفسه، ج١، ص١٩٠-١٩١.

(٢) ابن عذارى، نفسه، ج١، ص٢٣.

الانتصار على الروم والبربر فى عدة معارك بافريقية، خاصة عند مدينة المنستير التى كانت من مدن الروم المحصنة بافريقية، واقتحم حصنهم المنيع هناك، كما أنزل الهزيمة بالروم وحلفائهم البربر عند إقليم تاهرت بالمغرب الأوسط، غير أن عقبة أساء معاملة كسيلة زعيم البربر البرانس، وذلك باهانته أمام أتباعه البربر، حيث كان يأمره كل يوم بسلخ الغنم إذا ذبحت، مما دفع كسيلة إلى الحقد على عقبة ومحاولة انتهاز الفرصة للانتقام(١).

وقد استمر عقبة فى غزوته ببلاد المغرب، فى الوقت الذى هرب فيه الروم والبربر إلى الحصون، إلى أن وصل فى حملته إلى شواطئ المحيط الأطلسى بالمغرب الأقصى، وأنزل الهزيمة بالبربر هناك بمنطقة السوس، وتذكر المصادر أن عقبة عندما وصل إلى شاطئ المحيط دخل بفرسه فى الماء ثم رفع يديه إلى السماء، وقال: يا رب لولا أن البحر منعنى لمضيت فى البلاد... مدافعاً عن دينك، مقاتلاً من كفر بك." (٢).

وبعد أن أقام عقبة مسجداً ورباطاً بالمغرب الأقصى لنشر الإسلام، وتعليم أهل البلاد البربر مبادئ الإسلام، بدأ فى رحلة العودة إلى القيروان بعد أن استمر فى غزوته تلك فيما بين عامين إلى ثلاثة أعوام،

---

(١) ابن عذارى، نفسه، ج١، ص٢٤؛ ابن خلدون، نفسه، ج٤، ص١٨٦.

(٢) راجع. الرقيق القيروانى، تاريخ افريقية والمغرب، ص٤٠ وما بعدها؛ ابن عذارى، نفسه، ج١، ص٢٧.

وعندما وصل بجيشه إلى المغرب الأوسط استأذنه معظم الجند فى سرعة العودة إلى القيروان لطول غيابهم عن أهليهم فأذن لهم بذلك، بينما بقىَ هو- وبصحبته أبى المهاجر دينار وكان مقيداً- فى قلة من أتباعه، وفى تلك الأثناء انتهز كسيلة زعيم البربر البرانس (من قبيلة أوربة) الفرصة وتمكن من الهرب مع أصحابه البربر واتجه إلى قبيلته وحشد جيشاً كبيراً، ووجد موازرة من الروم، فى الوقت الذى زحف فيه عقبة بأتباعه نحو جنوب المغرب الأوسط عند مدينة تهوده لتأسيس قاعدة إسلامية أخرى هناك لنشر الإسلام بين البربر، غير أنه فوجئ بجيش ضخم من البربر والروم يحاصره، ورغم ذلك فقد استبسل عقبة هو وأتباعه- رغم قلة عددهم فى المعركة، وقاتلوا حتى استشهدوا جميعاً سنة ٦٤هـ ودفن عقبة فى هذا الموضع عند مدينة تهوده التى تسمى الآن سيدى عقبة تخليداً لذكرى هذا الفاتح الإسلامى الشهير[1].

ورغم انتهاء حملة عقبة بتلك النهاية المأساوية إلا أنها تركت العديد من النتائج الإيجابية حيث ساعدت على تعريف البربر فى أقصى المغرب بمبادئ الإسلام السمحة مما هيأ المجال لدخول أعداد كبيرة منهم فى الإسلام، كما مهدت الطريق للقادة المسلمين الذين أتوا بعده للوصول

---

[1] ابن عبد الحكم، نفسه، ص٥٨-٥٩؛ ابن عذارى، نفسه، ج١، ص٢٥ وما بعدها؛ سعد زغلول، نفسه، ج١، ص٢٠٥.

إلى تلك المناطق البعيدة فى بلاد المغرب الأقصى(١). ومن ناحية أخرى فإن أنباء هزيمة ومقتل عقبة عندما وصلت إلى الحامية الإسلامية فى القيروان بقيادة زهير بن قيس كان لها تأثير سيئ، ودفعت زهير إلى الانسحاب بقواته من القيروان والتمركز فى برقة، بينما تمكن كسيلة وجيشه من دخول القيروان دون مقاومة بعد أن طلب من بقى فيها من سكانها الأمان فأمنهم، واستقر كسيلة بذلك فى مدينة القيروان، وأصبح أميراً على إفريقية كما تذكر المصادر التاريخية(٢).

(٤) حملة زهير بن قيس واسترداد القيروان سنة ٦٩هـ:

فى تلك الفترة كان على رأس الخلافة الأموية فى العاصمة دمشق الخليفة عبد الملك بن مروان (تولى الخلافة سنة ٦٥هـ)، والذى صمم على استرداد القيروان وإعادتها إلى سيطرة الدولة الإسلامية. وعلى هذا حشد جيشاً كبيراً بالشام وبعث به الى زهير بن قيس فى برقة الذى آلت إليه القيادة فى بلاد المغرب أو افريقية عقب استشهاد صاحبه عقبة، وأرسل إليه الخليفة يأمره بالخروج على رأس هذا الجيش لاسترداد مدينة القيروان وافريقية من يد كسيلة والبربر البرانس وذلك فى سنة ٦٩هـ(٣).

وعندما وصل جيش المسلمين بقيادة زهير قرب القيروان تصدى

---

(1) مونس، نفسه، ص٤٠-٤١؛ العبادى، نفسه، ص٣٩.

(2) الرقيق القيروان، نفسه، ص٤٦؛ سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم فى الاندلس، ص٤٠.

(3) الرقيق، نفسه، ص٤٧.

له كسيلة على رأس جيش من البربر والروم عند موضع يسمى ممس أو ممش، حيث دارت بين الطرفين معركة عنيفة انتهت بهزيمة كسيلة وحلفائه الروم ومقتله، وتعقب المسلمون أتباع كسيلة، وقتلوا منهم أعداداً كبيرة، كما نتج عن انتصار المسلمين فى تلك المعركة استردادهم لمدينة القيروان سنة ٦٩هـ، والثأر لشهداء تهودة وعلى رأسهم عقبة وأبى المهاجر (١).

وتذكر المصادر التاريخية أن زهير بن قيس قام بتنظيم أمور مدينة القيروان، وأعاد إليها الأمن والاستقرار، وأقام بها جماعة كبيرة من أصحابه، واستغل الروم بجزيرة صقلية فرصة انشغاله بحرب كسيلة وأغاروا عن طريق البحر على إقليم برقة، وقاموا بأعمال التخريب والنهب والسلب، وعندما علم زهير بذلك، أسرع لملاقاتهم فى فرقة صغيرة من جيشه، ولكنه فوجئ بأعداد كبيرة من جند الروم، فى الوقت الذى كان يستغيث فيه المسلمون الذين وقعوا فى أسر الروم، ليسرع فى إنقاذهم، فاضطر إلى الدخول فى معركة غير متكافئة، انتهت بهزيمة المسلمين واستشهادهم جميعاً وعلى رأسهم قائدهم زهير سنة ٦٩هـ، ثم قام الروم بالرحيل إلى بلادهم عن طريق البحر بعد أن مكثوا فى برقة أربعين يوماً

---

(١) الرقيق، نفسه، ص٥٠-٥٢؛ ابن عذارى، نفسه، ج١، ص٣٢؛ مؤنس، معالم، ص٤١.

محملين بالأسلاب والسبي وما نهبوه من برقة(١).

دور حسان بن النعمان الغسانى فى فتح المغرب (٧٣-٥٨٥ه)

عندما وصلت الأنباء إلى الخليفة عبد الملك بن مروان فى دمشق بهزيمة المسلمين عند برقة واستشهاد زهير بن قيس، صمم على تدعيم نفوذ المسلمين فى بلاد افريقية والمغرب، فأسند ولايتها إلى القائد حسان بن النعمان الغسانى، وبعث معه بـ ش كبير من أربعين ألف مقاتل ويسانده أسطول بحرى فى سنة ٧٣ه، ونزل حسان أولاً بمصر التى تزود منها بالموال اللازمة لتلك الحملة الضخمة، حيث يذكر المؤرخ ابن عذارى أن الخليفة عبد الملك أرسل إلى حسان يقول له: انى أطلقت يدك فى أموال مصر فأعط من معك ومن ورد عليك... واخرج إلى بلاد افريقية على بركة الله وعونه."، ويضيف بأنه "قدم إفريقية فى عسكر عظيم، فلم يدخل المسلمون قط افريقية بمثل ما دخلها حسان بن النعمان.." (٢).

ولم يلبث حسان أن خرج من مصر على رأس جيشه ودخل افريقية سنة ٧٤ه، حيث استقر أولاً: بمدينة القيروان، وحرص على استخدام خطة عسكرية حكيمة تعتمد على مقابلة أعدائه من الروم والبربر البتر منفردين حتى يسهل عليه القضاء عليها الواحد تلو الآخر، ومما

(١) الرقيق، نفسه، ص٥٢-٥٣؛ ابن عذارى، نفسه، ج١، ص٣٣؛ سعد زغلول، نفسه، ج١ ن ص٢١٢-٢١٣.

(٢) ابن عذارى، البيان المغرب، ج١، ص٣٤؛ مختار العبادى، نفسه، ص٤٠.

يؤكد ذلك قول المصادر التاريخية بأنه عقب نزوله بالقيروان سأل أهل افريقية عن أقوى وأخطر قوتين بها، فأخبروه بأنهما الروم فى قرطاجنة ثم البربر البتر بزعامة إمرأة تدعى داهيا أو داهية وتلقب بالكاهنة فى منطقة جبل أوراس (بأطراف جبال أطلس الشرقية بالجزائر).

وبدأ حسان بالهجوم على أهم مدن الروم فى افريقية وهى مدينة قرطاجنة الحصينة (مركز الحكم فى افريقية) وتمكن من إنزال الهزيمة بهم، وقتل أعداداً كبيرة منهم، وحاصر المدينة حصاراً شديداً حتى اقتحمها، وفتحت على يديه(١).

ثم انتقل حسان لمواجهة العدو الثانى ويتمثل فى البربر البتر فى جبل أوراس بزعامة الكاهنة، التى خضع لها البربر فى تلك المنطقة الجبلية النائية، كما كان يخشاها الروم، ولذا أدرك أنه إذا تمكن من القضاء عليها سيدعم نفوذه فى بلاد افريقية والمغرب، وعلى هذا اتجه إليها حسان بجيشه، وعندما علمت الكاهنة بزحف المسلمين، رحلت عن الجبل فى جيش ضخم من البربر البتر وسبقته إلى مدينة باغاية (قرب جبل أوراس) فأخرجت منها الروم وخربتها خشية أن يتحصن بها حسان، فى الوقت الذى وصل فيه جيش المسلمين بقيادة حسان والتقى بجيش الكاهنة عند وادى مسكيانه (يعرف أيضاً بنهر البلاء أو وادى العذارى)، ودارت

---

(١) ابن عبد الحكم، نفسه، ص٦٢؛ ابن عذارى، نفسه، ج١، ن ص٣٤؛ سعد زغلول، نفسه، ج١، ص٢١٥-٢١٦.

بين الطرفين معركة عنيفة انتهت بهزيمة المسلمين وقتل العديد منهم، كما وقع بعضهم فى الأسر، بينما انسحب حسان ببقية جيشه إلى برقة سنة ٥٧٤، وأرسل يطلب المدد من الخليفة عبد الملك بن مروان فى دمشق، وأقام حسان فى برقة خمس سنوات وبنى هناك قصورا (أى قرى حصينة) عرفت باسمه وهى قصور حسان(١).

ونتج عن انتصار الكاهنة أن سيطرت على جميع بلدان افريقية طوال تلك السنوات الخمس، وتذكر المصادر التاريخية أن الكاهنة عندما رأت إبطاء المسلمين أو العرب عنها، ظنت أنهم يهدفون أساساً إلى الاستيلاء على خيرات افريقية وثرواتها من الذهب والفضة، ولذا قررت تخريب بلدان افريقية حتى لا يطمع فيها العرب، ولا يفكرون فى العودة إليها ثانية، وقامت بعمل خطير أثار دها البربر البرانس والنصارى الروم الذين يستقرون فى القرى والمناطق الريفية والحصون، ويتمثل ذلك فى تخريب المزارع وقطع الأشجار، وهدم الحصون والقرى العامرة(٢).

وقد استغل حسان تلك الفرصة من نشوب تنازع فى صفوف البربر واستنجاد البرانس به ووصول أخبار الكاهنة إليه عن طريق أحد الأسرى المسلمين، علاوة على توافد المدد إليه من الشام والذى بعثه إليه

---

(١) ابن عذارى، نفسه، ج١، ص٣٥-٣٦؛ سعد زغلول، نفسه، ص٨ ٢-٢١٩.

(٢) ابن عذارى: نفس المصدر السابق، ج١، ص٣٦؛ مؤنس، نفسه، ص٤٣-٤٤.

الخليفة عبد الملك، فزحف لملاقاة الكاهنة عند مركزها فى جبل الأوراس سنة ٧٩هـ.

وعندما التقى حسان بجيش الكاهنة عند جبل الأوراس وأحست بقرب النهاية، وأنها لن تتمكن من الصمود أمام المسلمين، أوصت أولادها بطلب الأمان من القائد حسان، الذى وافق على ذلك وأعطاهم الأمان، بينما ظلت هى تقاتل حتى انتهت المعركة بهزيمة جيشها ومقتلها عند موضع عرف ببئر الكاهنة سنة ٨٠هـ[١] وقيل سنة ٨٢ هـ.

وعقب هذا الانتصار الكبير الذى حققه حسان على البربر البتر وإخضاعهم بعد مقتل زعيمتهم الكاهنة، عاد إلى مدينة القيروان سنة ٨٢هـ، ثم قام بحملة على قرطاجنة، الذى سيطر عليها الروم مرة أخرى بعد هزيمة حسان أمام الكاهنة وانسحابه إلى برقة، ولذا هاجمها حسان واستردها منهم ثانية بعد فرار الروم عنها فى سفنهم، وأمر حسان بتخريب المدينة، وهدم حصونها حتى لا يتمكن الروم من العودة إليها[٢].

ولم تقتصر أعمال حسان على الجوانب الحربية فى محاربة البربر والروم، بل قام أيضاً بعدة أعمال حضارية على جانب كبير من الأهمية ساهمت فى تعريب المغرب ونشر الإسلام هناك وإضفاء الصبغة

---

(١) راجع: ابن عبد الحكم، نفسه، ص٦٣-٦٤؛ الرقيق، نفسه، ص٥٧ وما يليها.

(٢) ابن عذارى، نفسه، ج١، ص٣٨؛ سعد زغلول، نفسه، ج١، ص٢٢٨ ؛ عبد العزيز سالم، نفسه، ص٤٤.

العربية الإسلامية عليه ومنها: تدوين الدواوين وتنظيم الخراج والشئون المالية وتولية أبناء الكاهنة على بعض مناطق المغرب، وضم البربر إلى الجيش الإسلامى، وقام بتعمير وتجديد جامع القيروان، وبنى مدينة تونس، وأنشأ بها مسجداً جامعاً داراً لصناعة السفن التى كانت بمثابة نواة البحرية الإسلامية فى بلاد المغرب، كما سك النقود (العملة) ببلاد افريقية، وأمر الفقهاء المسلمين بتعليم البربر مبادئ الإسلام واللغة العربية[1].

ولاية موسى بن نصير على المغرب سنة ٨٥هـ ودوره فى الفتح (فتح المغرب الأقصى)

تولى موسى بن نصير على افريقية او المغرب سنة ٨٥هـ فى أواخر عهد الخليفة عبد الملك بن مروان عقب عزل حسان عنها، وقد أسندها إليه الأمير عبد العزيز بن مروان والى مصر، وكان يميل إلى موسى ويثق فى كفاءته الحربية والإدارية[2].

وتذكر المصادر أن موسى بدأ حملاته العسكرية فى افريقية وبلاد المغرب فى نهاية عهد الخليفة عبد الملك وقيل فى بداية عهد ابنه الخليفة الوليد بن عبد الملك، حيث أرسل فرقة من جيشه قامت بفتح قلعة زغوان ونواحيها قرب تونس وأنزلت الهزائم باهلها البربر، وغنم وسبي منهم

---

(1) راجع: الرقيق، نفسه، ص٤٦؛ ابن عذارى، نفسه، ج١، ص٣٨؛ سعد زغلول، نفسه، ج١، ص٢٢٨ وما بعدها.

(2) راجع: ابن عذارى، نفسه، ج١، ص٤٠.

الكثير، فكان أول سبي دخل القيروان في ولاية موسى كما بعث بحملة أخرى بقيادة ابنه عبد الله إلى بعض نواحي افريقية، وعادت ظافرة غانمة إلى القيروان، وعقب ذلك قام بالقضاء على قواعد المقاومة لدى البربر في المغرب الأوسط، ولم يبق أمامه سوى المغرب الأقصى[١].

ولم يلبث موسى أن زحف بجيشه من إفريقية نحو المغرب الأقصى، واضطر البربر إلى الفرار نحو أقصى المغرب خوفاً من جيش المسلمين، فتتبعهم قتلاً وأسراً، وسبي منهم سبياً كثيراً، حيث استولى على مدينة سجومة (شمال المغرب الأقصى) كما تمكن من فتح مدينة طنجة التي أسند حكمها إلى مولاه طارق بن زياد (وهو من البربر) ثم قام موسى بغزو منطقة السوس الأدنى (شمال المغرب الأقصى فيما وراء طنجة)، واكتسح مناطق قبائل البربر في تلك المناطق التي لم تكن قد دخلت في الطاعة مثل هوارة وكتامة. وزناتة ومصموده، كما غزا ابنه مروان على رأس فرقة منطقة السوس الأقصى (جنوب المغرب الأقصى)، وتشير المصادر إلى قيام موسى بمحاولة لفتح مدينة سبتة الحصينة التي كان يحكمها الأمير يُليان (أو خوليان Julian) ويدين بالطاعة للروم (البيزنطيين) وقيل للقوط الغربيين حكام الأندلس (إسبانيا) غير أن تلك المحاولة لم تنجح لقوة حاميتها العسكرية وحصانة المدينة، وانتهى الأمر بعقد صلح وهدنة بين الطرفين وصار حليفاً للمسلمين، ويؤكد ذلك قول

---

(١) ابن عذارى، نفسه، ج١، ص٤٠؛ سعد زغلول، نفسه، ج١، ص٢٤١.

المورخ ابن عبد الحكم "فراسل طارق يليان ولاطفه حتى تهاديا"، كما تضيف المصادر أن موسى سار على نفس سياسة سلفه حسان فى نشر الإسلام وتعليم البربر مبادئ الإسلام واللغة العربية، وضم البربر الذين حسن إسلامهم إلى الجيش الإسلامى وبذلك انتهى المسلمون من فتح بلاد المغرب(١).

---

(١) راجع: ابن عبد الحكم، نفسه، ص٦٩-٧٠؛ والرقيق، نفسه، ص٦٩-٧٠؛ ابن عذارى، نفسه، ج١، ص٤١؛ سعد زغلول، نفسه، ج١، ص٢٤٠ وما يليها؛ سالم، نفسه، ص٤٦-٤٧؛ العبادى، نفسه، ص٤٢.

الفصْلُ الثانى

الفتح الاسلامى لبلاد الأندلس (إسبانيا)

الفصل الثانى

الفتح الإسلامى لبلاد الأندلس (إسبانيا)

أولاً: أحوال إسبانيا قبيل الفتح الإسلامى

أ- الحالة السياسية:

كانت الأوضاع السياسية فى إسبانيا سيئة للغاية فى أواخر عصر دولة القوط الغربيين التى حكمت إسبانيا آنذاك، حيث أن نظام الحكم لدى القوط، رغم أنه كان ملكياً، ولكن ليس بالوراثة، وإنما بالانتخاب.

غير أن بعض ملوك القوط الأواخر حاولوا الخروج عن تلك القاعدة، وقاموا بإشراك أبنائهم فى الحكم، والتمهيد لتوريثهم العرش، ففى عام ٦٩٣م أشرك الملك إخيكا (Egica) ابنه غيطشة (Witiza) معه فى الحكم، ولم يلبث أن توفى إخيكا سنة ٧٠٢م، وتولى الحكم من بعده ابنه غيطشة، الذى لم ينتظر اجتماع مجلس النبلاء فى العاصمة طليطلة- كما جرت العادة- لإقرار انتخابه ملكاً على البلاد، مما أثار غضبهم وسخطهم عليه وزاد بالتالى من اضطراب وسوء الأوضاع الداخلية فى إسبانيا(١). وقد تميزت فترة حكم غيطشة فى بدايتها بالاستقرار والهدوء والأعمال الإصلاحية، واجتذب بتلك السياسة المعتدلة ميل الشعب الإسبانى له، غير أنه لم يلبث أن غير سياسته، وأساء السيرة، واضطهد بعض العناصر ذات القوة والنفوذ، ولم يكتف بذلك بل حاول توريث الحكم من

---

(١) راجع: ليفى بروفنسال، تاريخ اسبانيا الاسلامية، ترجمه الى العربية، على البمبى وأخرون، ص٤٦؛ العبادى، نفسه، ص٤٥-٤٦؛ سالم، نفسه، ص٥٧-٥٨.

بعده لابنه وقلة (Akhila) مثلما فعل والده من قبل، وهذا أدى إلى ثورة النبلاء عليه وتدبيرهم عدة مؤامرات للتخلص منه، ولكنها باءت بالفشل(١).

وعقب وفاة غيطشة فى نهاية سنة ٧٠٨م وكان ابنه ووريثه فى الحكم وقلة غائبا آنذاك عن العاصمة طليطلة فى مقر ولايته فى الشمال بمنطقتى طركونة وأربونة، انتهز المعارضون من النبلاء الفرصة وأعلنوا الثورة عليه، واضطر أخوته وأفراد اسرته إلى الهرب من طليطلة نحو إقليم جليقيه بشمال غرب إسبانيا، فى الوقت الذى اجتمع فيه النبلاء وقرروا إسناد الحكم فى إسبانيا إلى أمير قرطبة لذريق أو رذريق (أو كما يُعرف عند الإسبان باسم رودريجو Rodrigo)، وقد حاول وقلة الملك المخلوع عن العرش استعادة حكمه ولكن جيشه باء بالهزيمة وفشلت المحاولة(٢)، مما أدى إلى انقسام الجبهة الداخلية وسهل بالتالى من نزول الجيش الإسلامى على الأرض الإسبانية.

<u>ب- الحالة الإجتماعية:</u>

كان المجتمع الإسبانى فى العصر القوطى يعانى من التفكك وسوء الأوضاع، وسيطرة الطبقة العليا المتمثلة فى النبلاء وكبار القادة العسكريين ورجال الدين، الذين نعموا بالامتيازات والنفوذ وامتلاك

---

(١) ليفى بروفنسال، نفسه، ص٤٦.

(2) ليفى بروفنسال، نفسه، ص٤٦-٤٧؛ سالم، نفسه، ص٥٩-٦٠.

المساحات الشاسعة من الأراضى الزراعية ورغم هذا الثراء الواسع الذى حظيت به تلك الطبقة العليا الحاكمة إلا أن ممتلكاتهم كانت معفاة من الضرائب(١).

أما الطبقة الوسطى فى المجتمع ويطلق عليها طبقة الأحرار التى تتكون من التجار وصغار الملاك الزراعيين، فقد تعرضت للاهمال والظلم من جانب الحكام والنبلاء والقوط الذين سيطروا على أجزاء من ممتلكات صغار الملاك ليتمتعوا بحمايتهم، وعانت تلك الطبقة الوسطى من كثرة الضرائب والالتزامات التى كُلفوا بها من حفر الترع وتطهيرها وإقامة الجسور وتمهيد الطرق(٢).

ويلى ذلك الطبقة الدنيا فى المجتمع المتمثلة فى العبيد أو أقنان الأرض، الذين يعملون فى مزارع النبلاء بالسخرة وكانت تلك الطبقة تتميز بكثرتها العددية، وأجبرهم ملاك الأراضى من النبلاء على حمل السلاح عند الحرب، ولذا تعرضت للظلم والتعسف والاضطهاد، وكان يتمنون الخلاص من تلك الحالة السيئة(٣).

وآخر تلك الطبقات فى المجتمع الإسبانى: طبقة اليهود حيث احتوت المدن الإسبانية على جاليات يهودية كبيرة العدد، واشتغلوا فى

---

(1) مونس: فجر الأندلس، ص٢٤ وما يليها؛ سالم، نفسه، ص٦٢ وما يليها.

(2) العبادى: نفسه، ص٤٤-٤٥؛ سالم، نفسه، ص٦٤.

(3) دوزى: المسلمون فى الأندلس، ترجمة حسن حبشى، ج١، ص٣٨ وما يليها؛ سالم، نفسه، ص٦٥.

الأعمال المالية ودواوين الدولة والتجارة والصيرفة، وعانت تلك الطبقة أيضاً من الاضطهاد الدينى لفترات طويلة خاصة فى عهد الملك القوطى لذريق، كما اتهم اليهود قبل ذلك بالاتصال بالعرب فى المغرب وتحريضهم على غزو إسبانيا، وتعرض معظمهم للمحاكمة والعقوبات القاسية مثل مصادرة ممتلكاتهم، وتحويلهم للرق، ولذا تطلعت تلك الطبقة المضطهدة للخلاص من الظلم، وقدموا العديد من المساعدات للجيش الإسلامى أثناء فتح إسبانيا أو الأندلس(١).

<u>ثانياً: عوامل ساعدت على تدخل المسلمين فى إسبانيا:</u>

فى الواقع أن المصادر الإسلامية تختلف عن المصادر الإسبانية المسيحية حول العوامل التى دفعت المسلمين إلى التدخل فى إسبانيا. فالمصادر الإسلامية أو العربية أوردت رواية يغلب عليها الطابع الأسطورى، فتذكر أن الأمراء والنبلاء القوط باسبانيا كانوا يبعثون أولادهم الذكور والإناث إلى بلاط القصر الملكى فى العاصمة طليطلة ليكونوا فى خدمة ملكها والتأدب بآداب الملوك والطبقة الحاكمة، حتى إذا وصلوا مرحلة البلوغ تزوج بعضهم من بعض، وتولى الملك تجهيزهم، وكان يليان أمير سبتة قد أرسل إبنته (تدعى فلورندا Florinda) إلى هناك، فأعجب بها الملك لذريق، واعتدى عليها، فكتبت إلى أبيها تخبره

---

(١) بروفنسال: نفسه، ص٤٥-٤٦؛ سالم، نفسه، ص٦٥؛ مونس، فجر الاندلس، ص٢٧؛ العبادى، نفسه، ص٤٥

بذلك، فقرر الانتقام منه بأن حرض موسى بن نصير أمير المغرب على غزو إسبانيا متعهداً له بالطاعة والمساعدة(١).

وأميل إلى رأى أستاذنا د. عبد العزيز سالم الذى يشكك فى صدق تلك الرواية العربية، وأنها غير صحيحة بدليل أن يليان كان على علاقة عدائية بالملك لذريق لأنه من أنصار وحلفاء أبناء غيطشة أى من مؤيدى الملك المخلوع وقله، ولذا فلا يعقل أن يبعث إليه بابنته(٢).

أما المصادر الإسبانية المسيحية، فتشير إلى أن يليان أمير سبتة كان على علاقة ود وصداقة وولاء مع الملك غيطشة فلما ثار عليه لذريق واغتصب العرش من ابنه وقله، وفرت أسرة غيطشة إلى إقليم جليقية النائى، اتجه بعض أعوانهم إلى المغرب حيث حليفهم يليان وطلبوا منه العون، فأخذهم يوليان بدوره إلى موسى أمير المغرب وحرضوه على التدخل بجيشه فى إسبانيا، بعد أن تعهدوا له بالانضمام إليه فى المعركة الحاسمة ضد عدوهم اللدود لذريق(٣)، ونميل إلى ترجيح صحة تلك الرواية الإسبانية لأنها تتفق مع المنطق وسير الحوادث بعد ذلك.

---

(1) راجع: ابن عبد الحكم، نفسه، ص٧٢؛ مؤلف مجهول، أخبار مجموعة فى فتح الأندلس، ص١٦؛ دوزى، نفسه، ج١، ص٤٣.

(2) راجع: سالم، نفسه، ص٦٨؛ مؤنس، فجر الأندلس، ص٥٩؛ حاشية رقم٢.

(3) راجع: ليفى بروفنسال، نفسه، ص٤٩؛ مؤنس، فجر الأندلس، ص٦١ وما يليها؛ العبادى، نفسه، ص٤٧؛ سالم، نفسه، ص٦٧.

ثالثاً: إرسال السرايا الاستطلاعية:

تذكر المصادر الإسلامية أن موسى بن نصير بعث برسالة إلى الخليفة الأموى الوليد بن عبد الملك يخبره فيها بفتوحاته فى المغرب، ويستأذنه فى فتح الأندلس، موضحاً له دعوة يليان له بذلك، وانضمامه إليه، وقد وافق الخليفة على ذلك بعد ن أوصى موسى بضرورة إختبارها أولاً بالسرايا الاستطلاعية، وألا يُغرر "بالمسلمين فى بحر شديد الأهوال...." (١).

وعلى هذا أرسل موسى إلى الأندلس بأول سرية استطلاعية بقيادة حليفه يليان أمير سبتة، ويؤكد ذلك المؤرخ ابن الكردبوس الذى أفاد بأن يليان انصرف إلى سبتة بعد لقائه بموسى "فجمع وحشد وجاز فى مركبين" ونزل بالجزيرة الخضراء، وشن غارة على تلك المنطقة الجنوبية من الأندلس ثم عاد إلى المغرب ظافراً غانماً، "فشاع الخبر بذلك فى كل قطر"(٢).

ونتج عن نجاح تلك السرية الاستطلاعية اطمئنان موسى لما أوضحه يليان عن ضعف المقاومة القوطية فى إسبانيا، غير أنه لم يكتفى بذلك بل جهر سرية ثانية فى رمضان سنة ٩١هـ/٧١٠م بقيادة أحد مواليه ويُدعى طريف بن مالك (أو ملوك) فى أربعمائة من المشاة ومائة من

---

(١) أخبار مجموعة فى فتح الأندلس، ص١٦؛ سالم، نفسه، ص٦٩.

(٢) ابن الكردبوس: تاريخ الأندلس، ص٤٥.

الفرسان، فعبر المضيق فى أربعة مراكب حتى نزل بموضع أو جزيرة عرفت بجزيرة أو مدينة طريف (بالإسبانية Tarifa)، وبعد أن تكاملت قواته أغار على تلك المنطقة، "فأصاب سبياً لم ير موسى مثله ولا أصحابه، ومالاً جسيماً، ورجع سالماً"(١).

رابعاً: حملة طارق بن زياد وبداية الفتح سنة ٩٢هـ/٧١١م:

عقب نجاح السرايا الاستطلاعية التى أرسلها موسى إلى الأندلس، جهزّ جيشاً من حوالى سبعة آلاف غالبيتهم من البربر، وأسند قيادته إلى مولاه طارق ابن زياد، وقد اختلفت المصادر الإسلامية حول أصل طارق، فالبعض يرى أنه فارسى الأصل، بينما معظم المؤرخين يذكرون أنه من البربر، وهو الرأى الصحيح(٢).

كذلك اختلفت الآراء حول كيفية عبور جيش طارق إلى الساحل الجنوبى للأندلس، حيث تذكر بعض المصادر أنه عبر على سفن للأمير يليان- حليف المسلمين، بينما تشير بعض المصادر إلى أن يليان حمل جيش المسلمين على سفن التجار الذين كانوا ينتقلون بين سواحل المغرب والأندلس بغرض التجارة، ولم يشعر أهل إسبانيا أو الأندلس (القوط) بذلك

---

(1) اخبار مجموعة، ص١٧.

(2) ابن عذارى: نفسه، ج٢، ص٥.

لظنهم أن المراكب تختص بالتجارة وتجارتهم، غير أننى أرجح الآراء التى تشير إلى أنه عبرمن سبتة على سفن للمسلمين كانت بسواحل المغرب[١].

وعقب اكتمال وصول جيش طارق إلى الشاطئ الإسبانى، اشتبك مع حامية قوطيه عند جبل كالبى **Calpe** (الذى عُرف بعد ذلك بجبل طارق) فى معركة انتهت بانتصار طارق، ويؤكد ذلك قول المؤرخ ابن الكردبوس "فشن (أى طارق) غارة عليهم وأوقع بهم وغنمهم..." ويضيف بأنه بعد استيلائه على الجبل قام بتحصين هذا الموضع واتخذه قاعدة له، وأسس حوله سوراً سُمى بسور العرب.

وتضيف بعض المصادر بأن القائد طارق قام بعد ذلك بإحراق سفنه حتى لا يفكر جيشه فى الانسحاب إلى المغرب ثم قال لأصحابه "قاتلوا أو موتوا"[٢]. ونحن نميل إلى الرأى الذى يشكك فى إحراق السفن، ويُرجح أنه أخفاها فى أحد الخلجان المحاطة بالجبال[٣].

ولم يلبث طارق أن زحف بجيشه غرباً بعد أن أرسل فرقة استولت على حصن أو قرية مُحصنة شمال جبل طارق تسمى قرطاية **Cartaya** أو حصن قرطاجنة (**Cartagena**)، فى الوقت الذى سيطر فيه طارق على موضع عند المكان الذى يُعرف بالجزيرة الخضراء ووضع به حامية

---

(1) راجع: ابن عذارى، نفسه، ج٢، ص٦؛ ابن الكردبوس، نفسه، ص٤٦.

(2) ابن الكردبوس، نفسه، ص٤٦-٤٧؛ ابن عذارى، نفسه، ج٢، ص٩؛ سالم، نفسه، ص٧٣.

(3) راجع: العبادى، نفسه، ص٥٣.

وجعله قاعدة عسكرية لحماية جيشه إذا اضطر للانسحاب، وقام الأمير يوليان وأتباعه بالتمركز فى تلك القاعدة وحمايتها(١).

وتذكر المصادر أن لذريق ملك القوط فى إسبانيا كان مشغولاً آنذاك- عند نزول حملة طارق على الساحل الجنوبى لإسبانيا- بإخماد ثورة فى الشمال وقيل أنه كان يتصدى لهجوم قام به الفرنجة على إقليم البشكنس وعاصمته بمبلونه (Pamplona)، شمال إسبانيا فعاد على الفور إلى الجنوب، ونزل بمدينة قرطبة لحشد جيوشه، فى الوقت الذى حاولت فيه فرقة من جيش القوط بقيادة بَنْج (يسميه الإسبان بَنْشُو Bancho) التصدى لجيش المسلمين قرب الجزيرة الخضراء، ولكن القوط تعرضوا للهزيمة وقتل قائدهم بنج ومعظم قواته، مما ساعد على تقوية موقف المسلمين، ورفع روحهم المعنوية(٢).

وعندما علم طارق عن طريق عيونه أو جواسيسه بكثرة جيوش لذريق (قيل مائة ألف أو سبعين ألف) وهى أعداد تتسم بالمبالغة ونميل لرأى ابن خلدون الذى حدد جيوش لذريق بأربعين ألف مُقاتل) أرسل يطلب المدد من موسى بن نصير أمير المغرب فبعث إليه بخمسة آلاف فأصبح جيش طارق حوالى ١٢ ألف مقاتل، اتجه بهم طارق نحو الشمال حتى وصل إلى منطقة وادى لكه بكورة (أى إقليم) شَذُونة فى جنوب غرب

---

(1) ابن عذارى: نفسه، ج٢، ص٨-٩؛ مؤنس، نفسه، ص٦٩؛ سالم، نفسه، ص٧٣.

(2) ابن عذارى: نفسه، ج٢، ص٨؛ مؤنس، نفسه، ص٧؛ سالم، نفسه، ص٧٣.

الأندلس قرب مدينة شذونة عاصمة هذا الإقليم، فى الوقت الذى وصل فيه لذريق بجيوشه عند شذونة مصطحباً معه أبناء الملك غيطشة وإخوته مكرهين إلى ميدان المعركة مما كان أحد أسباب هزيمته(١).

على أية حال التقى الجيشان عند شذونة فى ٢٨ رمضان سنة ٩٢هـ/٧١١م وكانت معركة عنيفة استمرت حوالى ثمانية أيام، وتذكر المصادر التاريخية أن المسلمين استبسلوا فى القتال وحملوا على أعدائهم القوط حملة رجل واحد وأنزل بهم المسلمون الهزيمة، وقتل وأسر معظم جيش القوط، "ولم يُعرف لملكهم لذريق خبر ولا بان له أثر"، حيث تشير بعض المصادر إلى أنه مات غريقاً فى أحد الأنهار أثناء فراره شرقاً، وقيل أنه هرب نحو الشمال حيث قتل بعد ذلك فى معركة على أيدى المسلمين عند موضع يسمى السواقى(٢).

ومما لاشك فيه أن معركة شذونة التى انتصر فيها المسلمون على القوط فى إسبانيا تعتبر من المعارك الحاسمة فى التاريخ، إذ نتج عنها إنفتاح الطريق أمام القائد طارق لمواصلة الفتوحات فى الأندلس، كما ساعدت على انتشار قوات المسلمين على الأرض الإسبانية ويؤكد ذلك قول المؤرخ ابن الكردبوس: "وانتشر عسكر المسلمين فى الجزيرة يميناً

---

(١)أخبار مجموعة فى فتح الأندلس، ص١٨؛ ابن الكردبوس، نفسه، ص٤٧؛ ابن عذارى، نفسه، ج٢، ص٨؛ المقرى، نفح الطيب، ج١، ص٢٢١.

(٢) ابن الكردبوس: نفسه، ص٤٨؛ مونس، نفسه، ص٧٣؛ سالم، نفسه، ص٧٦ وما يليها؛ العبادى، نفسه، ص٥٥ وما يليها.

وشمالاً. وكل ما غنم أخذ منه طارق الخمس لبيت المال، وقسم أربعة الأخماس على كل من حضر الوقعة من المسلمين، فتحصل منه مال عظيم، وامتلأت أيدى الناس...." (١).

وعقب انتصار طارق تمكن من الاستيلاء على مدينة شذونة ثم زحف شمالاً نحو مدينة طليطلة عاصمة مملكة القوط فى إسبانيا، فقابله فى الطريق مدينة إستجة، حيث تصدت له هناك بعض فلول جيش القوط المنهزم، فقاتلوه قتالاً شديداً، ولكنهم لم يتمكنوا من الصمود والتصدى لجيش المسلمين وانهزموا وفروا نحو عاصمتهم طليطلة ودخل المسلمون استجة، وهنا تذكر المصادر أن يليان أمير سبتة- حليف المسلمين- وصل إلى طارق قادماً من الجزيرة الخضراء، وأوصاه بأن يأخذ من أصحابه أدلاء وأن يُفَرق معهم جيوشه لفتح بعض المدن الرئيسية(٢)، بينما يزحف هو ببقية الجيش إلى العاصمة طليطلة.

وعلى هذا أرسل طارق من إستجة فرقة من الجيش بقيادة مغيث الرومى تمكنت من فتح مدينة قرطبة عقب حصارها لمدة ثلاثة أشهر، بعد أن ساعدهم أحد الرعاة هناك ودلهم على ثغرة فى سور المدينة، وهرب أمير المدينة وأعوانه إلى كنيسة وتحصنوا بها، وحاول أميرهم الهرب ولكنه وقع فى الأسر، كما تم أسر بقية أعوانه فى تلك الكنيسة التى عُرفت

---

(1) ابن الكردبوس: نفسه، ص٤٨؛ العبادى، نفسه، ص٥٨؛ سالم، نفسه، ص٨١.

(2) ابن عذارى: نفسه، ج٢، ص٩.

باسم كنيسة الأسرى. كذلك تمكنت فرقة أخرى (وكان معها أحد أتباع يوليان كدليل) أرسلها طارق من مدينة إستجة من فتح ريه (أو مالقة)، كما استولت فرقة ثالثة على غرناطة قاعدة كورة البيرة. أما القائد طارق فقد زحف إلى العاصمة طليطلة وفتحها دون مقاومة تذكر بعد أن هرب معظم سكانها عنها وتركوا المدينة شبه خالية إلا من بعض اليهود الذين انضموا إليه، وغنم المسلمون منها غنائم هائلة[1].

خامساً: حملة موسى بن نصير سنة ٩٣هـ ودوره في الفتح:

بعد دخول القائد طارق العاصمة القوطية طليطلة فاتحاً، كان الإجهاد قد أحلّ بجيشه من كثرة المعارك، وصعوبات ومشقة الزحف من جنوب الأندلس حتى طليطلة في وسطها، علاوة على تناقص أعداد جيشه مع توالى المعارك ضد القوط، ولذا أرسل يطلب المدد من القائد الأعلى موسى بن نصير أمير المغرب الذى أسرع على الفور للعبور إلى الأندلس لمعاونته بجيش كبير من العرب في رمضان سنة ٩٣ بعد أن ترك نائباً عنه بالقيروان ابنه عبد الله[2].

وتختلف المصادر التاريخية حول سبب عبور موسى إلى الأندلس، فالبعض يرى أن سببه هو شعوره بالغيرة والحسد لما حققه طارق من انتصارات، وما ظفر به من غنائم وسبايا، بينما يذكر البعض الآخر أنه

---

(1) راجع: ابن عذارى، نفسه، ج٢، ص١٠-١١، ١٢.

(2) راجع: ابن عذارى، نفسه، ج٢، ص١٣؛ المقرى، نفسه، ج١، ص٢٢٣؛ مونس، نفسه، ص٨٤-٨٥؛ العبادى، نفسه، ص٥٩-٦٠؛ سالم، نفسه، ص٩١-٩٢.

عبر لتأديب طارق لتوغله فى بلاد الأندلس أكثر مما ينبغى ودون إذنه، حيث كان أمره بألا يتجاوز مدينة قرطبة، ولم يلتزم القائد طارق بذلك. غير أن تلك الآراء لا نميل إليها، ونتفق مع الرأى الذى يُشير إلى أن عبور موسى كان لمواصلة الفتوحات فى الأراضى الإسبانية المترامية الأطراف، وتدعيم تلك الفتوحات التى تحتاج إلى حاميات عسكرية فى المدن الإسبانية لحمايتها والحفاظ عليها، حتى لا تسقط فى أيدى الإسبان "أو القوط"، مرة أخرى خاصة وأنه من المنطقى أن تكون الخطة الحربية للفتوحات فى إسبانيا سبق الاتفاق عليها بين أمير المغرب موسى وقائده طارق وحليفهما يليان(١).

ونزل موسى بعد عبوره إلى الأندلس فى الجزيرة الخضراء ثم حرص على الزحف فى طريق غربى غير الطريق الذى سار فيه طارق حتى يتمكن من فتح مدن جديدة- كما نصحه بذلك بعض الأدلاء- من أهل البلاد، ومن أهم تلك المدن التى فتحها موسى: قرمونة التى استولى عليها بمساعدة من أتباع يليان، ثم زحف إلى إشبيلية وكانت من أعظم مدن الأندلس شأناً حيث كانت هى عاصمة البلاد فى عصر الرومان، والتى دخلها موسى بعد حصار استمر بضعة أشهر بعد أن هرب منها زعماء وأعيان المدينة، ثم واصل الزحف إلى مدينة ماردة بغرب الأندلس، وكانت مدينة حصينة ذات قصور وكنائس وآثار قديمة، فحاصرها موسى ودار

---

(١) أخبار مجموعة، ص:٢؛ ابن الاثير، الكامل، ج٤، ص٢٦٩؛ مؤنس، معالم، ص٢٣٧.

قتال عنيف مع سكانها، ثم أعد لهم كمائن وأنزل بهم الهزيمة، بعد أن قتل منهم الكثير، واضطر أهلها إلى الاستسلام، ودخلها المسلمون صلحاً فى مستهل شهر شوال سنة ٩٤هـ(١).

غير أنه أثناء انشغال موسى بحصار ماردة، قام سكان إشبيلية من الإسبان بثورة ضد الحامية الإسلامية هناك، وقتلوا بعض المسلمين، وعندما علم موسى بذلك، أرسل فرقة من جيشه بقيادة ابنه عبد العزيز الذى أخمد الثورة وأعاد النفوذ الإسلامى إلى المدينة، بعد أن قتل الكثير من ثوارها، ثم زحف بعد ذلك إلى مدينة لبله وتمكن من فتحها أيضاً(٢).

ولم يلبث موسى أن واصل الزحف للقاء قائده طارق الذى خرج لمقابلته عند مدينة طلبيرة (غرب طليطلة)، وتذكر بعض المصادر أن موسى عامله بعنف حيث قام بتوبيخه، وقيل أنه ضربه بالسوط لمخالفته أوامره، وتوغله بالمسلمين، وتعريضهم للأخطار، ولكننا لا نميل إلى تلك الآراء، والتى نستبعدها، لأن خطة الفتح كان متفقاً عليها من قبل كما سبق الذكر(٣).

وبعد التقاء موسى بطارق اتجها معاً من طليطلة نحو مدينة سرقسطة (شمال شرق الأندلس) وفتحها، كما فتح ما حولها من المدن فى

---

(1) أخبار مجموعة، ص٢٤-٢٥؛ ابن عذارى، نفسه، ج٢، ص١٣-١٤.

(2) ابن عذارى: نفسه، ج٢، ص١٥.

(3) ابن عذارى: نفسه، ج٢، ص١٦؛ سالم، نفسه، ص٩٢.

تلك المنطقة، وأثناء ذلك عاد إلى الأندلس قادماً من دمشق القائد مغيث الرومى مبعوث الخليفة الوليد بن عبد الملك ومعه رسالة يأمر فيها الخليفة قائده موسى بالقدوم إليه بدمشق بصحبة القائد طارق، ورغم ذلك فقد تمهل موسى فى العودة بعد استرضائه لمغيث بمنحه قصر حاكم قرطبة القوطى، وأخذ موسى يواصل فتوحاته، فتم تقسيم الجيش إلى قسمين، قسم بقيادة طارق الذى تمكن من فتح منطقة أراجون (إقليم البشكنس) فى شمال إسبانيا، ودخل زعيم تلك المنطقة ويدعى فرتون فى طاعة المسلمين واعتنق الإسلام، أما موسى فواصل الفتوحات فى شمال غرب إسبانيا حيث إقليم جليقية أو أشتوريش، ودخل بعض حصونه المهمة، وأقام بها حاميات عسكرية وأسند حكم تلك المنطقة لأحد قادته من البربر ويدعى مونوسه(١).

<u>سادساً: دور عبد االعزيز موسى فى استكمال فتح الأندلس (٩٥-٩٧هـ):</u>

عندما غادر موسى بن نصير الأندلس سنة ٩٥هـ قاصداً دمشق ببلاد الشام ترك نائباً عنه بها ابنه عبد العزيز الذى أخذ على عاتقه مهمة استكمال فتح الأندلس، فتذكر المصادر التاريخية أنه اتخذ إشبيلية مركزاً لحكمه وقام بتدعيم نفوذ المسلمين فى الأندلس، وحصن ثغورها، وافتتح عدة مدن ومناطق ومنها استكمال فتح منطقة جنوب شرق الأندلس ثم زحف إلى كورة أو إقليم تدمير (مرسية) فى شرق الأندلس، وكانت قاعدته

---

(١) ابن عذارى، نفسه، ج٢، ص١٦-١٧؛ المقرى، نفسه، ج١، ص٢٢٤؛ سالم، نفسه، ص١٠٢-١٠٣.

مدينة أوربولة ويحكمها أمير من القوط يدعى تدميرأو تيودمير (Teodomiro) الذى دخل فى مفاوضات مع الأمير عبد العزيز بن موسى من أجل الحصول على شروط جيدة عند التسليم، والتى تنص على تمتعه بالاستقلال الذاتى وأن يظل حاكماً على إقليم تدمير فى حياته فقط، على أن يدفع الجزية هو وأتباعه من سكان تلك المنطقة، والمحافظة على كنائسهم واحترام شعائرهم الدينية، وإعطائهم الأمان على أرواحهم وأموالهم(١).

كذلك قام عبد العزيز بحملة فتح خلالها مدن منطقة غرب الأندلس (البرتغال الآن) مثل مدينة يابرة وشنترين وغيرها ولم يبق فى الأندلس دون فتح إلا منطقة جبلية قاحلة باردة بإقليم جليقية تسمى كوفا دونجا (كهف أونجا) فى أقصى الطرف الشمالى الغربى من إسبانيا، تركها المسلمون زهداً لعدم أهميتها حيث تكونت فيها نواة المقاومة الإسبانية المسيحية ضد المسلمين(٢).

---

(1) راجع: العذرى، ترصيع الأخبار، ص٤-٥؛ ابن عذارى، نفسه، ص٢٤؛ سالم، نفسه، ص١١٠-١١١.

(2) انظر مؤنس، نفسه، ص١١١؛ العبادى، نفسه، ص٦٠-٦٢.

الفصْلُ الثالث

جوانب من تاريخ المغرب في العصر الإسلامي

الفصل الثالث

جوانب من تاريخ المغرب فى العصر الإسلامى

أولاً: عصر الولاة فى المغرب وأهم مميزاته:

ثورة البربر ضد العرب:

اتفق الباحثون على أن مصطلح عصر الولاة فى المغرب يقصد به تلك الفترة الواقعة منذ الفتح الإسلامى لبلاد المغرب حتى قيام الدويلات المستقلة فيه خلال النصف الثانى من القرن الثانى الهجرى(١) حيث كانت بلاد المغرب فى هذا العصر تابعة تبعية تامة ومباشرة للخلافة الأموية فى الشرق.

ولعل أهم مميزات عصر الولاة فى المغرب تلك الثورة التى قام بها البربر فى المغرب ضد السيطرة العربية ممثلة فى الخلافة الأموية ومركزها دمشق فى بلاد الشام.

وهناك عدة أسباب دفعت البربر إلى الثورة ضد العرب والدولة الأموية منها سياسة الأمويين فى التعصب للعنصر العربى وتفضيله على الموالى أى العناصر غير العربية التى دخلت فى الإسلام ومنهم البربر (أهل المغرب الأصليين) حيث كان العرب يتمتعون بكل الامتيازات والحقوق والتى حُرم منها البربر، رغم مشاركتهم مع العرب فى الفتوحات سواء فى بلاد المغرب أو الأندلس، كذلك فإن السياسة المالية للدولة

---

(١) انظر، مونس، معالم تاريخ المغرب والأندلس، ص٥٧.

الأموية بعد وفاة الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز قد أسهمت فى إثارة غضب وسخط البربر، نتيجة كثرة الضرائب التى أثقلت كاهل البربر خاصة فى عهد أمير المغرب عبيد الله بن الحبحاب الذى أسند إليه الخليفة الأموى هشام بن عبد الملك ولاية افريقية وجميع بلاد المغرب فى سنة ١١٦هـ، ويؤكد ذلك قول المورخ ابن عذارى بأن ابن الحبحاب قام بتولية عمر المرادى على طنجة وما جاورها فاساء السيرة وتعدى فى الصدقات (أى الزكاة) والعشر... وزعم أن البربر سبىّ المسلمين وذلك ما لم يرتكبه عامل قبله "فكان هذا من أسباب السخط الذى انتشر بين البربر ودفعهم للثورة ضد العرب، ووقوع الفتن(١).

وتضيف المصادر التاريخية أن خلفاء الأمويين بالشام كانوا يستحبون طرائف أى هدايا المغرب، ويبعثون فى طلبها من ولاتهم بالمغرب، الذين كانوا يرسلون إليهم بالجوارى البربريات، فلما تولى ابن الحبحاب "منّاهم بالكثير، وتكلف لهم أو كلفوه أكثر مما كان، فاضطر إلى التعسف وسوء السيرة"، مما ساعد على ثورة البربر(٢).

كذلك كان لانتشار أفكار الخوارج بين البربر فى المغرب والتى تدعو إلى المساواة بين المسلمين جميعاً أثرها الكبير فى سخط البربر على

---

(١) أنظر: الرقيق القيروان، تاريخ افريقية والمغرب، ص١٠٩؛ ابن الاثير، الكامل، ج٤، ص٤١٦؛ ابن عذارى، نفسه، ج١، ص٥١-٥٢؛ سعد زغلول، نفسه، ج١، ص٨٣؛ مونس، معالم، ص٦٣؛ سالم، نفسه، ص١٥٤؛ ليفى بروفنسال، نفسه، ص٦٢.

(٢) ابن عذارى: نفسه، ج١، ص٥٢.

سياسة الأمويين أو العرب، ودفعهم إلى الثورة على تلك السياسة الظالمة(١).

وتذكر بعض الروايات التاريخية أن السبب المباشر لتلك الثورة يتلخص فى أن وفداً من بربر المغرب الأقصى بزعامة ميسرة المدغرى الزناتى وهو من أتباع مذهب الخوارج قد اتجه إلى دمشق عاصمة الخلافة الأموية لعرض شكواهم على الخليفة هشام بن عبد الملك، ومطالبتهم بالمساواة مع العرب، غير أن حاشية ورجال قصر الخلافة لم يسمحوا لهم بذلك، ووعدوهم بإبلاغ مطالبهم إلى الخليفة، الذى كان غائباً آنذاك عن العاصمة دمشق ولكن ذلك لم يتحقق أيضاً، مما أدى إلى عودتهم إلى المغرب ساخطين، فأعلنوا الثورة بزعامة ميسرة فى سنة ١٢٢هـ(٢).

ويتضح من المصادر أن البربر بقيادة ميسرة تمكنوا من الانتصار على الجيش العربى (الأموى) الذى أرسله الوالى ابن الحبحاب فى معركة قرب طنجة التى استولى عليها وساعد ذلك على إزدياد نفوذه، فاغتر بقوته واساء السيرة فى أتباعه، وادعى الخلافة، فثاروا عليه، وقتلوه، واسندوا قيادتهم إلى خالد بن حُميد الزناتى، الذى تمكن من الانتصار على الجيش العربى فى معركة أخرى عند طنجة سنة ١٢٣هـ، وقتل فيها

---

(١) الرقيق، نفسه، ص١٠٩؛ مونس، معالم، ص٦٢-٦٣؛ العبادى، نفسه، ص٧٠.

(٢) راجع ذلك فى: سعد زغلول، نفسه، ج١ ن ص٢٨٤؛ العبادى، نفسه، ص٧١؛ سالم، نفسه، ص١٥٤؛ مونس، فجر الأندلس، ص١٦٤ وما يليها.

جماعة كبيرة من أشراف العرب وفرسانهم ولذا عُرفت "بغزوة الأشراف"[١].

وقد نتج عن تلك الهزائم المتوالية التى مُنى بها الأمويون (العرب) على أيدى البربر أن حدثت اضطرابات فى بلاد المغرب، وامتد تأثيرها إلى أهل الأندلس من البربر عندما بلغتهم أنباء ثورة إخوانهم البربر فى المغرب، كما أدت إلى غضب الخليفة الأموى هشام بن عبد الملك، الذى صمم على الثأر من البربر حيث تذكر المصادر أنه "قال: والله لاغضبن لهم غضبة عربية ولأبعثن إليهم (أى للبربر) جيشاً أوله عندهم وآخره عندى..." [٢] ثم ارسل إلى ابن الحبحاب والى المغرب يأمره بالقدوم عليه والعودة إلى الشام سنة ١٢٣هـ.

ولم يلبث أن أرسل الخليفة هشام إلى المغرب بجيش كثيف من عرب الشام (حوالى ٣٠ألف) بقيادة كُلثوم بن عِياض القُشيرى الذى أصبح والياً على المغرب، وبصحبته ابن أخيه بَلْج بن بشر، وأوصاه باستخدام الشدة فى إخماد ثورة البربر، وأن يخلفه بلج (ابن أخيه) فى القيادة إذا قُتل. ورغم الكثرة العددية للجيوش العربية إلا أنها لم تكن متماسكة، حيث سادت بينها العصبية القبلية، لأنها كانت تضم عرب الشام، الذين قدموا مع كلثوم من الشام، وعرب المغرب (ويُطلق عليهم البلديين) الذين خاضوا

---

(١) الرقيق: نفسه، ص١١٠-١١١؛ سعد زغلول، نفسه، ج١، ص٢٩ وما يليها.

(٢) ابن الأثير: الكامل، ج٤، ص٤١٧.

المعارك السابقة وفشلوا فى مواجهة البربر مما أضعف من موقفهم(١)، كما أن العرب الحجازيين بالمغرب رفضوا مساعدة القائد كلثوم وجيشه الشامى.

على أية حال دارت المعركة الحاسمة بين العرب والبربر عند موضع يسمى بقدورة على ضفاف وادى سبُو (نهر فاس)، وتذكر المصادر التاريخية أن عدة معارك نشبت هناك بين العرب والبربر، وتعرض فيها العرب للهزيمة وقتل قائدهم كلثوم بن عياض والعديد من قادة العرب وأعيانهم (أواخر سنة ١٢٣هـ)، وانسحب بعضهم مهزوماً إلى إفريقية، "وأتبعوهم (أى البربر) يقتلونهم ويأسرونهم، فثلث الجيش مقتول، وثلث مهزوم، وثلث مأسور" على حد قول صاحب كتاب أخبار مجموعة (٢).

أما فلول الجيش الشامى (العربى) بقيادة بَلْج الذى تولى القيادة حسب وصية الخليفة هشام- بعد مقتل كلثوم، فقد انسحبت إلى مدينة سبته، وتحصنت بداخلها حيث كانت تمتاز بأنها مدينة منيعة محصنة، فحاصرتهم قوات البربر حصاراً شديداً، ودارت بين الطرفين عدة مناوشات ومعارك حول سبتة، حتى نفذت المؤن من جيش بَلْج، وانتشرت المجاعة وساءت أحوالهم حتى اضطروا إلى أكل دوابهم، وهنا أرسل بلج يستنجد بوالى الأندلس العربى عبد الملك بن قطن، ويلتمس منه أن يمدهم بالمؤن،

---

(١) ابن عبد الحكم: نفسه، ص٩٨؛ سعد زغلول، نفسه، ص٢٩٤.

(٢) انظر: مؤلف مجهول، اخبار مجموعة، ص٣٨ وما يليها؛ سعد زغلول، نفسه، ص٢٩٥ وما يليها.

أو يبعث لهم بسفن تنقلهم إلى ساحل الأندلس لأنهم مثله من العرب(١)، ولكن ابن قطن رفض مساعدتهم بدافع التعصب القبلى حيث أنه من عرب الحجاز ويكره عرب الشام (قوات بلْج) لما أحدثوه فى المدينة المنورة وأهلها من العرب الحجازيين من قتل وتنكيل أثناء وقعة الحرة سنة ٦٣، غير أن قيام البربر فى الأندلس بثورة ضد العرب هناك مثلما حدث فى المغرب، وعجز ابن قطن والى الاندلس عن التصدى لها وإخمادها، دفعه إلى الموافقة على عبورهم إلى الأندلس على ألا يمكثوا بها أكثر من عام، حيث ساعدوه على إخماد ثورة البربر بها(٢).

أما البربر فى المغرب فإن الخليفة الأموى هشام عندما بلغه نبأ انتصارهم على كُلثوم وجيشه الشامى، أرسل إلى بلاد المغرب والياً جديداً هو حنظلة بن صفوان على رأس جيش كبير فى سنة ١٢٤هـ، الذى اتجه إلى القيروان ونزل بجيشه من العرب (الأمويين) هناك، فى الوقت الذى حاول فيه البربر والخوارج بافريقية مهاجمة حنظلة هناك بقيادة زعيمهم عُكاشة الصُفرى الخارجى إلا أن حنظلة نجح فى التصدى لهم، وأنزل بهم الهزيمة عند موضع يُعرف بالأصنام غرب القيروان، كما ألتقى بهم فى معركة أخرى تسمى القرْن قرب القيروان، أواخر سنة ١٢٤هـ، وهزمهم للمرة الثانية، وقتل منهم أعداداً هائلة، كما وقع قائدهم عُكاشة الخارجى

---

(١) ابن عذارى: نفسه، ج١، ص٥٥-٥٦؛ العبادى، نفسه، ص٧٢؛ سالم، نفسه، ص١٥٧.

(٢) ابن عذارى: نفسه، ج١، ص٥٥-٥٦؛ العبادى، نفسه، ص٧٢.

فى الأسر، فأتوا به إلى واليهم حنظلة بن صفوان الذى أمر بقتله فى أوائل سنة ١٢٥هـ، وكتب بتلك الانتصارات التى حققها على البربر إلى الخليفة هشام، "فسُرَّ بذلك سروراً عظيماً..." وبذلك تمكنت الخلافة الأموية فى نهاية الأمر من إخماد ثورة البربر والخوارج الخطيرة فى بلاد المغرب(١).

---

(١) راجع: ابن عبد الحكم، نفسه، ص١٠٢ وما يليها؛ الرقيق، نفسه، ص١١٥ وما يليها؛ أخبار مجموعة، ص٤١؛ سعد زغلول، نفسه، ص٣٠٢ وما يليها؛ مونس، نفسه، ص٦٥.

ثانياً: دور عبد الرحمن بن حبيب الفهرى فى إفريقية (١٢٧-١٣٧هـ)

(استقلال الفهريين بافريقية)

عبد الرحمن بن حبيب الفهرى هو أحد أحفاد القائد الشهير عقبة بن نافع الفهرى الذى قام بدور بارز فى الفتح الإسلامى المنظم لبلاد المغرب، وقد شارك مع والده حبيب الفهرى فى الحرب التى خاضها العرب ضد البربر فى المغرب، وقتل والده فى معركة بقدورة مع كُلثوم بن عِياض، أما عبد الرحمن فقد هرب بعد ذلك إلى بلاد الأندلس، وحاول هناك- معتمداً على رصيد أسرته وجده عقبة- أن يستغل سوء الأوضاع الداخلية فى الأندلس، وعدم الاستقرار وانتشار الفوضى والفتن هناك بين العصبيات العربية خاصة بين الشاميين والحجازيين، وأراد بسط سيطرته على الأندلس إلا أنه فشل فى ذلك(١)، واضطر للهرب مرة أخرى إلى إفريقية بالمغرب، عندما أرسل أمير المغرب حنظلة بن صفوان والياً جديداً على الأندلس يُدعى أبا الخطّار الحُسام بن ضرار الكلبى فى سنة ١٢٥هـ، فنظم أمورها وأعاد إليها الأمن والهدوء والاستقرار(٢).

وقد نزل عبد الرحمن الفهرى عقب هروبه من الأندلس فى مدينة تونس فى جمادى الأول سنة ١٢٧هـ، ودعا الناس هناك إلى الدخول فى

---

(1) راجع: الرقيق، نفسه، ص١٢٣.

(2) ابن عذارى: نفسه، ج١، ص٦٠؛ سعد زغلول، نفسه، ص٣١٣-٣١٤.

طاعته، فأجابوه إلى ذلك، وحشد منهم جيشاً لقتال حنظلة بن صفوان والى افريقية والمغرب والاستيلاء على حكم افريقية فى الوقت الذى كانت فيه الخلافة الأموية فى الشام منشغلة بالاضطرابات الداخلية والانقسام بين أفراد الأسرة الأموية، حيث استولى أحد الأمراء الأمويين ويدعى مروان بن محمد حاكم أو أمير أرمينية على العاصمة دمشق واعتلى الخلافة بحد السيف، بعد عزل الخليفة الأموى ابراهيم بن الوليد بن عبد الملك سنة ١٢٦هـ(١).

وحاول حنظلة إقناع عبد الرحمن الفهرى بالدخول فى الطاعة وحقن الدماء، فأرسل إليه وفداً من أعيان وزعماء العرب بالقيروان إلى تونس لهذا الغرض، ولكن الفهرى قام باعتقالهم لتذبذب موقفهم حيث "كانوا قد كاتبوه قبل ذلك سراً من حنظلة بدخولهم فى طاعته، فلما بلغتهم ولاية مروان (أى تولى مروان بن محمد الخلافة) نزعوا عن ذلك". كما تذكر بعض المصادر التاريخية(٢). وهنا زحف الفهرى بجيشه نحو القيروان وبصحبته الرهائن القيروانيين، وعندا اقترب منها أرسل تحذيراً لأمير افريقية حنظلة يهدده بقتل الرهائن إذا حاول أحد قتاله واضطر حنظلة حقناً للدماء، وميله للسلم، لقبول الأمر الواقع، فدعا القاضى والعلماء والأعيان بالقيروان إلى لقائه وفتح أمامهم بيت المال وأخذ منه

---

(1) الرقيق: نفسه، ص١٢٣؛ وراجع مونس، فجر الأندلس، ص١٧٩ وما يليها.

(2) ابن عبد الحكم، نفسه، ص١٠٥؛ سعد زغلول. نفسه، ص٣١٥.

ما يكفيه أثناء رحيله، (ألف دينار فحسب) وترك الباقى، وغادر افريقية متجهاً إلى المشرق (أو الشام) فى جمادى الآخرة سنة ١٢٧هـ، وهذا أتاح الفرصة لعبد الرحمن الفهرى لدخول مدينة القيروان وسيطرته عليها(١).

ويذكر المؤرخ ابن عذارى أن الفهرى بعد استيلائه على افريقية واستقرار أموره بالعاصمة القيروان دخل فى طاعة الخليفة الأموى مروان بن محمد (آخر خلفاء الأمويين) وبعث إليه برسالة فى ذلك وأهدى إليه الهدايا، وقد أقره الخليفة على ولاية افريقية، وارسل يطلب منه القدوم عليه بالشام، غير أن انشغال الخليفة بحروبه ضد أعدائه العباسيين حال دون تحقيق ذلك(٢).

وحاول عبد الرحمن الفهرى تأسيس دولة بافريقية له ولأسرته من العرب الفهريين، غير أنه واجه عدة مشكلات لتدعيم نفوذه فى تلك المناطق، والتوسع فى المغرب الأوسط أيضاً، فتشير المصادر التاريخية إلى أنه قام بحملة على تلمسان (غرب المغرب الأوسط) سنة ١٣٥ه وانتصر على قبائل البربر هناك ثم عاد ظافراً إلى عاصمته مدينة القروان كما قام بعدة حملات على قبائل البربر بالمغرب وانتصر عليهم فيقول ابن عذارى بأنه دَوَّخ المغرب كله وأذل من به من القبائل، لم يهزم له عسكر... وتضيف المصادر أنه قام بعدة حملات بحرية منها غزوة إلى

---

(١) راجع ابن عبد الحكم: نفسه، ص١٠٥؛ ابن الاثير، نفسه، ج٤، ص٥٠٠؛ ابن عذارى، نفسه، ج١، ص٦٠.

(٢) ابن عذارى: البيان المغرب، ج١، ص٦٠-٦١.

جزيرة صقلية وعادت محملة بالغنائم والسبايا كما أرسل حملة إلى جزيرة سردانية وقتل من بها قتلاً ذريعاً. واضطروا إلى عقد الصلح معه وتعهدوا بدفع الجزية ومن ناحية أخرى نشبت فى عهده عدة ثورات داخلية منها ثورة عروة بن الوليد الصدفى الذى استولى على تونس وامتدت الثورة إلى اقليم الساحل حيث ثار هناك العرب بقيادة ابن عطاف الأزدى كما ثار البربر بالمناطق الجبلية بافريقية، وثار ثابت الصنهاجى من زعماء البربر بباجه واستولى عليها، فأرسل إليه عبد الرحمن الفهرى أخاه إلياس بن حبيب الفهرى على رأس فرقة من ستمائة فارس واستطاع بالحيلة والخديعة أن يهاجم اتباع الصنهاجى وأنزل بهم الهزيمة. كما قتل ابن عطاف الازدى وتم القضاء على ثورته ١٣٠هـ وقتل أعداد من البربر الذين ثاروا بافريقية كما تم إخماد ثورة عروة بن الوليد وقتله واستعادة تونس على يد إلياس الفهرى.

ومن أخطر المشكلات التى واجهت الأمير عبد الرحمن ابن حبيب الفهرى ثورة البربر من اتباع مذهب الخوارج الإباضية فى منطقة طرابلس وتذكر المصادر أن سبب ثورتهم يرجع إلى مقتل أحد زعمائهم ويدعى عبد الله بن مسعود التجيبى على يد إلياس الفهرى والى طرابلس، مما أدى إلى غضب الاباضية البربر، وأعلنوا الثورة على الفهرى، الذى فشل فى إخضاعهم باللين والسياسة، فاضطر إلى إرسال جيوشه إليهم، والتى منيت بالهزيمة فى عدة معارك، مما دفع عبد الرحمن الفهرى إلى الخروج بنفسه على رأس جيشه لمواجهة الخوارج البربر بقيادة إمامهم

إسماعيل النفوسى الذى كان قد بسط سيطرته على مدينة قابس أيضاً، ودارت المعركة الحاسمة قرب مدينة قابس، ونزلت هزيمة ساحقة بالخوارج، وقتل زعيمهم إسماعيل والكثير من أتباعه علاوة على العديد من الأسرى، ونتج عن ذلك الانتصار استرداده طرابلس من أيدى الخوارج فى أواخر سنة ١٣١هـ وأوائل سنة ١٣٢هـ(١).

وفى تلك الأثناء كانت الخلافة الأموية قد سقطت على أيدى العباسيين، وقتل مروان بن محمد آخر خلفاء الأمويين، وقامت الدولة العباسية سنة ١٣٢هـ، بمبايعة أبى العباس السفاح بالخلافة فأرسل إليه الفهرى كتاباً يخبره فيه بدخوله فى الطاعة وإعلان الولاء له وللخلافة العباسية كما استمر على الطاعة فى أوائل عهد الخليفة العباسى أبى جعفر المنصور(٢)، ثم خرج عن الطاعة وأعلن استقلاله بافريقية عن العباسيين فى سنة ١٣٧هـ، ذلك أن عبد الرحمن الفهرى بعث إلى الخليفة العباسى المنصور يقول له بأن افريقية أصبحت "إسلامية كلها وقد انقطع السبى منها، فلا تسألنى ما ليس قبلى" فغضب أبو جعفر وكتب إليه يتوعده، وردّ عبد الرحمن الفهرى على ذلك بإعلانه الاستقلال عن العباسيين، غير أنه لم يلبث أن قتل على يد أخيه إلياس، لأنه خلعه من ولاية العهد التى أسندها إلى ابنه حبيب، فاجتمع رأى إلياس وأخيه عبد الوارث على قتل

---

(1) الرقيق: نفسه، ص١٢٨-١٢٩؛ سعد زغلول، نفسه، ج١، ص٣١٨ وما بعدها.

(2) الرقيق: نفسه، ص١٣٣؛ سعد زغلول، نفسه، ص٣٢٥؛ مونس، معالم، ص٦٧.

أخيهما عبد الرحمن وانضم إليهما جماعة من عرب القيروان وغيرهم، وتم ذلك فى أواخر سنة ١٣٧هـ وخلفه فى الحكم أخوه إلياس الفهرى، ولكن الصراع نشب عقب ذلك بين أفراد الأسرة الواحدة من الفهريين، فقد دارت الحرب بين حبيب بن عبد الرحمن الفهرى وعمه إلياس، وانتهت بانتصار حبيب وأتباعه من البربر ومقتل عمه، وتوليه الحكم، غير أن هذا الوضع لم يدم طويلاً، إذ ثار عليه عمه الآخر عبد الوارث واستأثر بالسلطة، وانتهى الأمر بتدخل البربر ومن معهم من الخوارج الصفرية واستيلائهم على القيروان وإنهاء حكم الفهريين(١).

---

(١) الرقيق: نفسه، ص١٣٣-١٣٤، ١٤١؛ سعد زغلول، نفسه، ج١، ص٣٢٤ وما بعدها؛ مؤنس، معالم، ص٦٨ وما بعدها.

ثالثاً: لمحات من عصر دولة الأغالبة فى إفريقية

(١٨٤-٢٩٦هـ)

١- أصل الأغالبة وقيام دولتهم فى افريقية

ينتسب الأغالبة إلى جدهم الأغلب بن سالم التميمي وأصله من عرب مصر وهو والد ابراهيم الذى أسس دولة وراثية لأسرته لأول مرة بافريقية وكان شبه مستقل عن الخلافة العباسية، ويعتبر المؤسس الحقيقى لدولة الأغالبة.

وكان الأغلب من القادة العباسيين فى جيش أبى مسلم الخراسانى، ومن الذين أسهموا فى نشر الدعوة العباسية بمنطقة خراسان، واشتهر بالشجاعة وسداد الرأى، وعندما اشتعلت فى بلاد المغرب ثورات الخوارج والبربر، شارك الأغلب فى إخمادها فى حملة محمد بن الأشعث والى مصر وافريقية العباسى فى عهد الخليفة العباسى أبى جعفر المنصور، وولاه ابن الأشعث على الزاب(١) وطبنة.

وفى تلك الأثناء اندلعت ثورة الجند المضرية فى القيروان ضد ابن الأشعث، وخلعوه من ولاية افريقية، وطردوه إلى المشرق، فأمر الخليفة أبو جعفر المنصور بإسناد ولاية افريقية إلى القائد الكفء، الأغلب بن

---

(١) الزاب: تقع الزاب على أطراف الصحراء، وهى من عمل افريقية، ويصفها الحميرى بأنها شديدة الحرارة كثيرة النخيل، وتشتمل على عدة مدن وقرى، وبها أنهار وعيون كثيرة، فمن مدنها طنبة وبمكسره وتهوده وغيرها، وبينها وبين القيروان مسافة عشر مراحل (الروض المعطار، ص٢٨١).

سالم فى سنة ١٤٨هـ، الذى تصفه المصادر بأنه من أهل الرأى وذوى المشورة، وقد بعث إليه الخليفة المنصور يأمره بالعدل فى الرعية وحسن السيرة فى الجند، وتحصين مدينة القيروان وإقامة خندق حولها، وتنظيم حاميتها العسكرية(١).

وخاض الأغلب عدة حروب فى بلاد المغرب ضد بربر زناتة والخوارج إلى أن قتل أثناء إحدى حروبه ضد الخارجين عن طاعته فى سنة ١٥٠هـ.

وعندما تولى هَرْثمة بن أعين ولاية إفريقية فى عهد الخليفة هارون الرشيد، سنة ١٧٩هـ أسند حكم منطقة الزاب إلى إبراهيم بن الأغلب بن سالم التميمى غير أن كثرة الثورات بافريقية دفعت واليها ابن أعين إلى طلب الاستعفاء من الخليفة العباسى الرشيد فأعفاه واستقدمه إلى العاصمة بغداد فى سنة ١٨١هـ، وتولى بعده محمد بن مقاتل العكى الذى أثار الجند بسبب سوء سياسته وسيرته، وتعددت الثورات ضده، واخرجه الثوار من القيروان بالأمان فى سنة ١٨٣هـ(٢).

---

(١) انظر: ابن عذارى، البيان المغرب، ج١ ن ص٧٤؛ حسين مؤنس، معالم، ص٨٢؛ عبد العزيز سالم، تاريخ المغرب فى العصر الاسلامى، ص٢٦٠-٢٦١؛ محمد الطالبى، الدولة الأغلبية، ص٨٤-٨٥.

(٢) ابن عذارى: نفسه، ص٨٩-٩٠؛ سالم، تاريخ المغرب، ص٢٧٧؛ مؤنس، نفسه، ص٨٢؛ الطالبى، نفسه، ص٨٦ وما بعدها.

وعندما علم بذلك إبراهيم بن الأغلب والى الزاب أعد جيشاً وزحف به إلى القيروان، فدخلها، ثم اتجه إلى المسجد الجامع بها وأخضع الثوار وقضى على التمرد هناك وأعاد الأمن والاستقرار إلى ربوع البلاد، وأصبح هو سيد الموقف فى افريقية بلا منازع، خاصة عندما ألحَّ عليه جماعة من الجند والأهالى بالقيروان بأن يرسل إلى الخليفة الرشيد يطلب منه إقراره على ولاية افريقية، فأرسل للخليفة بذلك، وهنا أشار هرثمة بن أعين على الخليفة الرشيد أن يسند ولاية إفريقية إلى والٍ قوى مثل "ابراهيم بن الأغلب" فوافق الخليفة وأرسل إليه العهد بذلك فى سنة ١٨٤، وقد التمس ابن الأغلب من الخلافة العباسية أن تقيمه بصفة دائمة على ولاية افريقية، خاصة وأنه على رأس عرب بنى تميم وهم أكثرية بين عرب افريقية، علاوة على ما يتميز به من ولاء وإخلاص للخلافة العباسية(١).

وبتولية إبراهيم بن الأغلب على ولاية إفريقية يبدأ عصر جديد فى تاريخ افريقية، وهو عصر الأغالبة (من سنة ١٨٤- ٢٩٦هـ) والذى يمثل تجربة سياسية جديدة فى تاريخ افريقية، حيث تولت أسرة عربية محلية حكم افريقية بالوراثة ولكن فى ظل التبعية الاسمية للخلافة العباسية(٢).

وقد امتدحت المصادر التاريخية شخصية إبراهيم بن الأغلب. (حكم من سنة ١٨٤-١٩٦هـ) وما يتصف به من صفات تؤهله لحكم ولاية

---

(١) ابن عذارى: نفسه، ص٩١-٩٢؛ مؤنس، نفسه، ص٨٢؛ سالم، نفسه، ص٢٧٨-٢٧٩؛ الطالبى، نفسه، ص٨٨-١٢٢.

(٢) مؤنس، نفسه، ص٨٢؛ سالم، نفسه، ص٢٧٩.

افريقية، فيذكر المورخ ابن عذارى أنه كان فقيهاً أديباً خطيباً، ومن ذوى الرأى والبأس والشجاعة والحزم، له علم بالحروب ومكايدها، ويضيف أنه لم يحكم افريقية من هو أحسن منه سيرة ولا أحسن سياسة، ولذلك طاعته قبائل البربر واستقرت أمور إفريقية فى عهده[1].

<u>ولعل من أهم أعمال إبراهيم بن الأغلب ما يلى:</u>

(١) <u>إنشاء قوة عسكرية:</u>

اهتم ابن الأغلب بإعداد جيش قوى يستطيع أن يعتمد عليه فى مواجهة المشاكل أو الصعاب التى قد تواجهه أثناء حكمه خاصة من ناحية البربر والخوارج، وقد ساعد ابن الأغلب عنى تشكيل هذا الجيش توفر الأموال لديه من كثرة الخراج، وأصبح لديه قوة عسكرية تتكون من عنصرين: الأول- هم البربر المستعربةالذين كانوا يمثلون الجند المرتزقة فى جيش الأغالبة، والثانى- من الصقالبة وهم فى الأصل من بلاد الصقالبة بشرق أوروبا، وكانوا يباعون كرقيق منذ الطفولة ويربون تربية إسلامية عسكرية ويستخدمون فى العمل فى الجيش أو القصور وخدمة الدولة[2].

---

(1) ابن عذارى: البيان المغرب، ج١، ص٩٢.

(2)مونس، نفسه، ص٨٤-٨٥.

ثم أضاف ابن الأغلب إلى جيشه جماعات أخرى اتخذها لحراسته من عنصر السود أو السودان، واعتنى بجيشه، فمنح أفراده الأعطيات والرواتب الجزيلة، وأحاط القادة بالرعاية والإكرام والتقدير(١).

(٢) إنشاء مدينة العباسية أو القصر القديم:

استقر إبراهيم ابن الأغلب فى بداية الأمر بمدينة القيروان التى اتخذها عاصمة له، ثم لم يلبث أن قرر إنشاء مدينة جديدة تكون بمثابة قاعدة عسكرية له ولأسرته يستطيع أن يلجأ إليها فى الأوقات العصيبة، ولهذا بدأ منذ سنة ١٨٥هـ فى تأسيس مدينة العباسية قرب القيروان تعبيراً عن ولائه للعباسيين ثم أطلق عليها القصر القديم، ونقل إلى هناك السلاح والعدة وأسكن حوله عبيده وأهل الثقة من رجال الدولة(٢).

(٣) القضاء على الثورات والفتن الداخلية:

نشبت فى عهد إبراهيم بن الأغلب عدة فتن وثورات داخلية تمكن من إخمادها ومن ذلك ثورة حمديس فى تونس، وهو من الزعماء العرب بمدينة تونس الذى أعلن الخروج عن طاعة العباسيين وخلع السواد شعار الدولة العباسية، فأرسل إليه ابن الأغلب جيشاً تمكن من القضاء على ثورته وقتل معظم جنده واستعادة مدينة تونس، كذلك ثار عليه أهل طرابلس فى سنة ١٨٩هـ وخلعوا طاعتهم له، وطردوا عامله (ويدعى ابن

---

(١) محمد الطالبى، نفسه، ص١٤٩.

(٢) ابن عذارى: نفسه، ج١، ص٩٢؛ سعد زغلول عبد الحميد، تاريخ المغرب العربى، ج١، ص٣٨؛ سالم، نفسه، ص٢٨٩-٢٩٠.

المضاء)، من المدينة فأرسل إليهم ابن الأغلب جيشاً، أنزل بهم الهزيمة ودخل طرابلس وقضى على ثورتها وأعاد إليها الأمن والاستقرار[1].

(1) ابن عذارى: نفسه، ص٩٢-٩٣؛ سالم، نفسه، ص٨٩؛ سعد زغلول عبد الحميد، تاريخ المغرب العربي، ج١، ص٣١-٣٤.

٢- فتح جزيرة صقلية فى عهد زيادة الله بن الأغلب سنة ٢١٢هـ:

بعد وفاة إبراهيم بن الأغلب تولى بعده ابنه أبو العباس فى سنة ١٩٦هـ، الذى أساء السيرة فى الرعية، واتبع سياسة التعسف والظلم وأثقل كاهل الناس بالضرائب.

ولم يستمر طويلاً فى الإمارة حيث توفى فى سنة ٢٠١هـ، وخلفه فى الحكم أخوه زيادة الله بن الأغلب الذى واجه عدة مشاكل من ناحية جنده الذين كثر عددهم منذ عهد والده إبراهيم، فكثرت مطالبهم ورواتبهم، فكان عليه ان يفكر فى الاستفادة منهم وتوجيه نشاطهم إلى ميدان خارجى مما يساعد على التخلص من مشكلة شغب جنده وثوراتهم، وهذا كان مقدمه للتفكير فى فتح جزيرة صقلية فى عهده.

أما عن أسباب فتح جزيرة صقلية فيمكن أن نلخصها فيما يلى:

١- وضع حد لغارات الروم على سواحل افريقية حيث كانت سفن الروم تقوم بغارات بحرية على سواحل افريقية علاوة على قيامهم بأعمال القرصنة ضد سفن المسلمين.

٢- كثرة خيرات وثروات صقلية حيث كانت منطقة مليئة بالموارد الاقتصادية فهى منطقة جديدة يمكن فتحها واستغلالها.

٣- العامل الدينى المتمثل فى الجهاد لإعلاء كلمة الله ونشر الإسلام، فقد عُرف أهل افريقية والمغرب عامة بميلهم إلى العلوم الدينية وحبهم للجهاد وإقامة الرباطات التى كونت طبقة من الفقهاء والمتصوفة والمجاهدين الذين يسَخرون حياتهم لجهاد الروم.

٤- محاولة زيادة الله بن الأغلب أن يظهر أمام رعيته بصورة الأمير المجاهد الذى يعمل على إعلاء كلمة الله وحماية سواحل المسلمين مما يدعم مركزه ويرفع منزلته ويستميل قلوب رعيته.

٥- أما السبب المباشر لفتح صقلية فيذكر ابن الأثير أن الامبراطور البيزنطى (ميخانيل الثانى) أسند حكم صقلية إلى بطريق أو أمير يدعى قسطنطين سنة ٢١١هـ، الذى ولى قائداً على الأسطول يدعى فيمى (بوفيميوس) كان يتسم بالحزم والشجاعة، غير أن الامبراطور غضب على فيمى هذا وأمر باعتقاله وتعذيبه، ولكن فيمى نجح فى الهرب وجمع أتباعه وأعلن التمرد على الامبراطور، واستولى على مدينة سرقوسة وانتصر على قسطنطين حاكم صقلية واستقل بشرق الجزيرة وأصبح ملكاً عليها، ولم يلبث بعض أتباعه أن خرجوا عن طاعته وحاربوه بقيادة أمير مدينة بلرم Palermo الذى تمكن من إنزال الهزيمة بفيمى واسترداد سرقوسة من يده، واضطر فيمى وأنصاره إلى الإبحار فى سفنهم إلى افريقية حيث لجأ إلى الأغالبة والتمس منهم المعونة، مما كان سبباً مباشراً فى تفكير زيادة الله بن الأغلب فى فتح صقلية(١).

---

(١) ابن الاثير: الكامل فى التاريخ، ج٥، ص٤٣٦؛ إحسان عباس، العرب فى صقلية، ص٣٢؛ سالم، نفسه، ص٣٠١.

على أية حال أعد زيادة الله أسطولاً ضخماً من مائة سفينة عدا سفن فيمى وعهد بقيادته إلى القاضى الشهير أسد بن الفرات فى ربيع الأول سنة ٢١٢هـ، وخرج الأسطول من سوسه وتونس، ونجحت قوة من الأسطول الإسلامى فى النزول فى حصن (ثغر) مازر على الساحل الجنوبى للجزيرة، بينما تمكنت قوة أخرى من النزول فى ميناء يسمى رجوسه لنجدة القائد فيمى، وغنم المسلمون غنائم كثيرة من تلك المناطق.

وعقب ذلك زحف أسد بن الفرات بجيشه إلى وسط الجزيرة واستولى على بعض المدن مثل قصريانه ثم اتجه إلى سرقوسه وحاصرها لمساعدة فيمى حليف المسلمين هناك ولكن الجيش الإسلامى تعرض لوباء شديد فتك بآلاف المسلمين منهم القائد أسد بن الفرات وذلك فى ربيع الثانى سنة ٢١٢هـ، مما أصابه بالاضطراب وأثر على الروح المعنوية لديه، فانتهز الروم الفرصة وهاجموا مدينة قصريانه واستولوا عليها بينما لجأ المسلمون إلى حصن قريب يسمى ميناو فاحتموا به مما صعَّب موقفهم بالجزيرة، وأرسلوا يطلبون المدد من إفريقية.

وفى ظل هذا الموقف العصيب حدث أن أقبل أسطول أندلسى يحمل مجاهدين بحريين أندلسيين بقيادة إصبغ بن وكيل المعروف بفرغلوش فى أوائل سنة ٢١٤هـ، كما بعث الأغالبة بمدد من افريقية إلى المسلمين بصقلية، وبفضل هذه الإمدادات نجح المسلمون بقيادة فرغلوش فى فك الحصار حول ميناو بعد إنزال الهزيمة بالروم هناك، واسترد المسلمون أيضاً قصريانه، ثم زحف فرغلوش إلى مدينة بلرم الشهيرة (على الساحل

الشمالى) وحاصرها وتمكن من فتحها، ولكن الوباء أصاب معسكر المسلمين للمرة الثانية، ومات بسببه القائد الأندلسى فرغلوش مما ساعد الروم على استرداد قصريانه من أيدى المسلمين.

وعندما علم الأمير زيادة الله بذلك أرسل قائداً جديداً من خيرة قادته يدعى أبا فهر التميمى سنة ٢١٧هـ الذى اتخذ من مدينة بلرم عاصمة له، وأخذ يوجه غاراته إلى المناطق المجاورة الخاضعة للروم، وغنم منها غنائم كثيرة، ولكن يبدو أن الأمير زيادة الله لم يرض عن سياسة القائد أبى فهر فى صقلية، فأسند القيادة هناك إلى أخ لأبى فهر يسمى أبى الأغلب فى سنة ٢٢٠هـ الذى أحرز عدة انتصارات على الروم خاصة فى مدينة مسينا أو مسينه شمال جزيرة صقلية التى استولوا عليها فى سنة ٢٢١هـ كما فتح عدة مدن وحصون بالجزيرة مثل قصريانه فى الوقت الذى وصلت فيه الأنباء بوفاة الأمير زيادة الله بن الأغلب فى سنة ٢٢٣هـ.

وهكذا تمكن المسلمون من فتح الجزء الغربى من جزيرة صقلية التى أصبحت فى عصر الأغالبة مركزاً للجهاد، واستقرت الأمور لهم فى النصف الغربى من الجزيرة، أما الجزء الشرقى فقد استغرق فتحه عدة سنوات، حيث لم يتمكنوا من السيطرة عليه وإتمام فتح معظم الجزيرة إلا فى عهد الأمير إبراهيم بن أحمد بن الأغلب (٢٦١- ٢٨٩هـ)، الذى خرج على رأس الجيش للجهاد فى صقلية فى سنة ٢٨٤هـ واستطاع فتح مدينة

طبرمين المهمة، وغزا جنوب إيطاليا أيضاً، وتوفى هناك أثناء حصاره لإحدى مدنها فى سنة ٢٨٩هـ(١).

٣- المنشآت الدينية والمدنية والحربية فى عصر الأغالبة

أولاً: المنشآت الدينية:

اهتم أمراء الأغالبة بالعمارة الدينية التى تُظهر ميلهم لأعمال الخير والتقوى كبناء المساجد والرباطات التى يتعبد ويرابط فيها المجاهدون من العُباد وأهل التصوف، ومن أهم المنشآت الدينية تجديد مسجد القيروان الجامع وجامع الزيتونة بتونس، وهما لا يزالا على نفس صورتهما حتى يومنا هذا، كما أنشأوا مسجداً جامعاً فى مدينة سوسه قرب باب البحر، علاوة على مسجد آخر صغير بها يسمى مسجد أبى فتاتة، وهناك مساجد أخرى شيدها أناس من أهل الخير والصلاح على نفقتهم مثل جامع سفاقس والمسجد ذى الأبواب الثلاثة بالقيروان(٢).

ثانياً: المنشآت المدنية(٣)

---

(1) انظر التفاصيل عن فتح صقلية فى: ابن الاثير، نفسه، ج٥، ص٤٣٦ وما بعدها؛ ابن عذارى، نفسه، ج١، ص١٠٢ وما يليها؛ إحسان عباس، نفسه، ص٣٢-٣٩؛ سالم، نفسه، ص٣٠١-٣٠٦؛ سعد زغلول عبد الحميد، تاريخ المغرب العربى، ج٢، ص١٤٨؛ محمد الطالبى، نفسه، ص٤٤١ وما يليها.

(2) سالم: نفسه، ص٣٣٦-٣٦١؛ سعد زغلول، نفسه، ص٧٣.

(3) انظر عنها: سالم، نفسه، ص٣٦٨ وما بعدها؛ مونس، نفسه، ص٩٧؛ سعد زغلول، نفسه، ص٧٢.

لعل من أهم المنشات المدنية فى عصر الأغالبة قيامهم بتأسيس مدينة العباسية أو القصر القديم جنوبى القيروان سنة ١٨٥هـ قاعد للحكم ومقراً لهم- سبقت الاشارة- فقد اشترى إبراهيم بن الأغلب لهذا الغرض أرضاً من أصحابها، وبنى فيها القصور للإمارة ونقل إليها السلاح والعدة وأسكن حوله عبيده ومواليه وخراسه وأهل الثقة من خدمه، وفى عهد زيادة الله ابن الأغلب اتسعت المدينة ببناء القصور والمنيات فيها وقام بتحصينها، وكان لتلك المدينة أيضاً جامع له صومعة (أى مئذنة) مستديرة.

كذلك أنشأ الأغالبة مدينة رقادة على مسافة ثمانية أميال جنوب القيروان وهى الحاضرة الثانية للأغالبة، وقد بدأ الأمير إبراهيم بن أحمد الأغلبى فى بنائها سنة ٢٦٣هـ وانتهى من ذلك فى سنة ٢٦٤هـ وقد صارت رقادة منذ ذلك الحين هى مقر أمراء الأغالبة حتى نهاية دولتهم فى سنة ٢٩٦هـ.

ومن المنشآت المدنية أيضاً التى اهتم الأغالبة بإقامتها: قناطر وصهاريج وجباب المياه، فالصهاريج خزانات مياه فوق الأرض أما الجباب فهى لا تكون إلا فى باطن الأرض كما بنوا المواجل (مفردها ماجل) وهى صهاريج أو خزانات مكشوفة دائماً، وهذه المنشآت المائية ذات منفعة عامة للناس، ومن أمثلة القناطر: قنطرة باب أبى الربيع بالقيروان التى كانت عبارة عن قناة تحمل الماء من الجبل القريب عبر الوادى.

ثالثاً: المنشآت الحربية

وجه أمراء الأغالبة عنايتهم لتحصين مدن افريقية بإقامة القلاع أو الحصون والمحارس أو الأربطة والأسوار والأبراج، ومن أبرز منشآتهم الحربية رباط سوسه وهذه الأربطة ساهمت فى حماية سواحل افريقية لمواجهة غارات الروم، كما كانت الأربطة أو الرباطات مركزاً يرابط فيها المجاهدون من العُباد والمتصوفة، وكان الرباط يزود عادة بمنار توقد فيه النار ليلاً فى حالة وجود خطر للعدو، وعن طريق تلك الإشارات كانت بقية الرباطات تقوم بالاستعداد لمواجهة العدو براً وبحراً، وكانت الأسوار تحيط بالرباط، وهى مزودة أيضاً بالأبراج.

كذلك أحاط الأغالبة مدينة سوسة بسور من الحجر، ويدعم السور من الخارج مجموعة من الأبراج الضخمة، كذلك أنشأوا سوراً من اللبن والتراب حول مدينة سفاقس ثم رُمم بعد ذلك بالأحجار لتحصينه، كما دعموا السور بأبراج مستطيلة الشكل(١).

---

(١) عن العمارة الحربية فى عصر الاغالبة انظر التفاصيل فى: سالم، تاريخ المغرب، ص٣٦٢-٣٨٦.

الفصْلُ الرابع

جوانب من تاريخ الأندلس

(عصر الولاة)

٩٥-١٣٨هـ

الفصل الرابع

جوانب من تاريخ الأندلس

عصر الولاة فى الأندلس وأهم مميزاته (٩٥-١٣٨هـ)

يقصد بعصر الولاة فى الأندلس الفترة منذ ولاية عبد العزيز بن موسى بن نصير فى سنة ٩٥هـ نيابة عن والده الذى رحل إلى دمشق بالشام لمقابلة الخليفة الأموى الوليد، وحتى دخول الأمير عبد الرحمن الداخل الأموى الأندلس واستيلانه على العاصمة قرطبة وتأسيسه للدولة الأموية هناك فى سنة ١٣٨هـ. وخلال تلك الفترة (عصر الولاة) كانت الأندلس مجرد ولاية إسلامية تابعة للخلافة الأموية وعاصمتها دمشق، وكانت تحت حكم والٍ أو أمير يتبع من الناحية الإدارية أمير افريقية أو المغرب فى العاصمة القيروان، ويتميز هذا العصر بفتوحات أو غزوات للمسلمين فى بلاد غاله (فرنسا حالياً) ونشوب إضطرابات وصراعات داخلية بين العرب والبربر وكذلك بين العصبيات العربية كالصراع بين العرب الشاميين والعرب الحجازيين وبين القيسية (عرب الشمال) واليمنية (عرب الجنوب) [١].

على أية حال يبدأ عصر الولاة فى الأندلس بتولى الأمير عبد العزيز بن موسى الحكم فى سنة ٩٥هـ، ولكنه لم يستمر طويلاً، إذ سرعان ما قتل على يد بعض قادة جيشه، قيل بسبب تشبهه بملوك إسبانيا من

---

[١] أنظر . العبادى: نفسه، ص٦٧؛ مونس، معالم، ص٢٤١.

القوط حيث شاهده بعض أعوانه وهو يرتدى التاج على رأسه بتحريض من زوجته إخيلونا (أم عاصم) أرملة الملك لذريق، وقيل بأنه غضب لسوء معاملة الخليفة الأموى سليمان بن عبد الملك لوالده وتنكيله به رغم خدماته للأمويين، فتحدث بذلك أمام قادة جنده من الزعماء العرب، فتآمروا عليه وقتلوه لاعتقادهم أنه يعتزم الخروج عن طاعة الخليفة، وعندما علم بذلك والده موسى رد على تلك الافتراءات عن ابنه بقوله: "قتلتم والله صواما قواما"، وتذكر المصادر أن ما فعله الخليفة سليمان بموسى وابنه عبد العزيز "من كبار زلاته التى لم تزل تنقم عليه"(١).

(١) غزوات المسلمين فى بلاد غاله (فرنسا):

توالى على حكم الأندلس بعد مقتل عبد العزيز بن موسى عدة ولاة كانوا يتولون لفترات قصيرة تمتد ما بين عدة أشهر أو بضع سنوات قليلة، غير أن أبرز هؤلاء الولاة هو السمح بن مالك الذى اختاره الخليفة عمر بن عبد العزيز لصلاحه وفضله لولاية الأندلس فى سنة ١٠٠هـ، وامتثل السمح ما أمره به الخليفة من القيام بالحق والعدل(٢).

ومن أهم أعمال السمح الإصلاحية أو العمرانية فى الأندلس وخصوصاً فى العاصمة قرطبة: قيامه بإصلاح وترميم قنطرة قرطبة الواقعة على نهرها المعروف بالوادى الكبير، فتذكر المصادر التاريخية أن

---

(١) راجع: أخبار مجموعة، ص٢٧-٢٨؛ ابن عذارى، نفسه، ج٢، ص٢٣-٢٥.

(٢) ابن عذارى: نفسه، ج٢، ص٢٦.

المسلمين عندما فتحوا قرطبة وجدوا بها آثار قنطرة فوق نهرها قد تهدمت بعض حناياها أى أقواسها وتصدعت القنطرة بسبب السيول من النهر على مر الأزمان، واستشار السمح الخليفة عمر فى إصلاحها فأمره فى سنة ١٠١هـ بإعادة بنائها وإصلاحها "فصُنعت على أتم وأعظم مما بنى عليه جسر من حجارة سور المدينة"، كما قام بإعادة بناء سور مدينة قرطبة باللبن(١).

غير أن أبرز أعماله هو أنه فتح الطريق أمام المسلمين فى الأندلس للقيام بسلسلة من الحملات أو الغزوات فى بلاد غاله أو بلاد الفرنجة (فرنسا حالياً) فإليه ينسب قيادة أول حملة إسلامية لبدء الفتوحات فى بلاد غالة وخاصة فى جنوبها حيث إمارتى سبتمانيا وأكيتانيا أو أقطانية. فقد زحف السمح على رأس جيشه وعبر جبال البرتات (التى تفصل الأندلس عن بلاد غالة) ودخل إمارة سبتمانيا، وتمكن من فتح عاصمتها مدينة أربونة (Narbonne) ثم زحف غرباً، ودخل إمارة اكيتانيا، واستولى على مدينة طرسكونة (Tarascona)، واستمر فى زحفه حتى أصبح على مشارف مدينة طولوشه Toulouse، فأسرع أميرها الدوق أودو أو يودو (Yudo) للتصدى له، والتقى بالمسلمين فى معركة قرب طولوشه انتهت بهزيمة المسلمين واستشهاد قائدهم السمح

---

(١) أخبار مجموعة، ص٣٠-٣١؛ ابن عذارى، نفسه، ج٢، ص٢٦.

بن مالك سنة ١٠٢هـ، وانسحاب بقية جيش المسلمين بقيادة عبد الرحمن الغافقى إلى أربونة ومنها إلى بلاد الأندلس(١).

وبعد استشهاد السمح واصل عَنْبسة بن سُحيم الكلبى الذى تولى حكم الأندلس فى سنة ١٠٣هـ غزوات المسلمين فى بلاد غالة، فخرج من الأندلس وزحف شمالاً، وعبر جبال البرتات وفتح مدينة قرقشونة (غرب أربونه) ثم زحف إلى الإمارات الواقعة شرق بلاد غالة، ولم يتجه غرباً نحو إمارة أكيتانيا لأن أميرها أودو أصبح على علاقة طيبة مع المسلمين بعد أن ساءت علاقته بشارل (قارله) حاجب مملكة الفرنجة الشمالية وصاحب النفوذ فيها، وقيل أن أودو كان على علاقة مصاهرة مع المسلمين بأن زوجَ ابنته من والى جليقية (شمال غرب الأندلس) مونوسة البربرى، وأنه ساعد المسلمين فى حملة عنبسة لابعادهم عن إمارته(٢).

على أية حال توغل عنبسة فى إمارة بروفانس واستولى على عدة مدن مثل نيمه وليون، كما اقتحم إمارة برجنديا (برغونة) واستولى على مدينة أوتون، ووصلت جيوشه حتى مدينة ساس فى الشمال حيث تصدى إيبون أسقف تلك المدينة للمسلمين وأوقف تقدمهم، وهنا قرر عنبسة العودة إلى بلده الأندلس، خاصة وأن أنباء قد وصلته بنشوب إضطرابات،

---

(١) راجع: ابن عذارى، نفسه، ج٢، ص٢٦؛ مؤنس، فجر الأندلس، ص٢٤٤-٢٤٥؛ سالم، نفسه، ص١٣٧-١٣٨؛ العبادى، نفسه، ص٦٨؛ شكيب أرسلان، تاريخ غزوات العرب فى فرنسا وسويسرا وايطاليا وجزائر البحر المتوسط، ص٧١.

(٢) مؤنس، فجر الأندلس، ص٢٤٦؛ سالم، نفسه، ص١٣٨-١٣٩.

داخلية فى العاصمة قرطبة، ولكن أثناء عودته تمكن أهالى تلك البلاد الفرنجة وقوات من مناطقها المختلفة من قطع خط الرجعة عليه، وأحاطوا به من كل ناحية، وانتهى الأمر باستشهاده سنة ١٠٧هـ، فتولى قيادة الجيش غذره بن عبد الله الفهرى، الذى عاد به إلى قاعدة المسلمين فى بلاد غالة وهى مدينة أربونة ومنها إلى الأندلس(١).

وقد توقفت غزوات المسلمين فى بلاد غالة عدة سنوات عقب استشهاد عنبسة بسبب نشوب الصراعات بين العصبيات العربية فى الأندلس، ولم تُستأنف إلا بعد تولية عبد الرحمن الغافقى حكم الأندلس فى سنة ١١٢هـ، حيث قام أولاً بتنظيم الأمور الداخلية، وأعاد إلى الأندلس الهدوء والاستقرار، وعقب ذلك واصل حملات المسلمين فى بلاد غالة فى سنة ١١٤هـ، فخرج على رأس جيشه، وعبر جبال البرتات، واقتحم إمارة أكيتانيا التى استشهد فيها من قبل صاحبه السمح- واستولى على مدينة برديل أو بوردو وغنم منها غنائم هائلة، وأنزل الهزيمة بالدوق أودو (أمير اكيتانيا) الذى فشل فى هذه المرة فى التصدى للمسلمين، أو إيقاف تقدمهم، مما دفعه إلى الاستنجاد بخصمه شارل (قارله) حاجب القصر بمملكة الفرنجة فى الشمال وصاحب النفوذ فيها(٢)، وبالفعل وجد شارل أن

---

(١) راجع: ابن عذارى، نفسه، ج٢، ص٢٧؛ أرسلان، نفسه، ص٧٣ وما يليها؛ مونس، فجر الأندلس، ص٢٤٦، وما يليها؛ سالم، نفسه، ص١٣٨-١٤٠؛ العبادى، نفسه، ص٦٨.

(٢) راجع التفاصيل فى: ارسلان، نفسه، ص٨٩ وما بعدها؛ سالم، نفسه، ص١٤٢-١٤٤؛ مونس، فجر الأندلس، ص٢٦٣-٢٦٧.

من مصلحته التحالف مع أودو، ومساعدته فى مواجهة المسلمين، ولذا انضمت قوات عديدة من جميع جهات بلاد غالة أو بلاد الفرنجة تحت قيادة شارل فى الوقت الذى دخل فيه المسلمون مدينة تور وأصبحوا على مشارف أملاك شارل (مملكة الفرنجة)، وهناك بين بلدتى تور وبواتييه التقى جيش المسلمين بقيادة الغافقى بجيوش الفرنجة بقيادة شارل، ودارت بين الطرفين معركة عنيفة، رجحت فى بدايتها كفة جيش المسلمين، غير أن الفرنجة أعادوا تنظيم صفوفهم، وصمدوا أمام هجوم المسلمين الذين شغلوا عقب ذلك بجمع الغنائم، ومحاولة استنقاذها من أيدى الفرنجة، وكانت بمؤخرة جيش المسلمين مما أدى إلى ارتباك صفوفهم، وأحاطت بهم قوات الفرنجة، وقتلوا أعداداً كبيرة من جند المسلمين، واستشهد قائدهم عبد الرحمن الغافقى سنة ١١٤هـ/٧٣٢م، ولذا عرفت فى المصادر الإسلامية باسم معركة بلاط الشهداء(١).

وكانت لهزيمة المسلمين فى بلاط الشهداء أصداء سيئة فى بلاد المغرب والأندلس، حيث نتج عنها توقف التوسع الإسلامى فى بلاد غالة أو ما وراء جبال البرتات، ولم يقم الجيش الإسلامى من بعدها بحملات ضخمة فى تلك المناطق مثلما كان فى السابق، وكان الاهتمام الأول لوالى الأندلس الجديد عبد الملك بن قطن (تولى سنة ١١٤هـ) ينصب على تدعيم

---

(١) انظر: ابن عذارى، نفسه، ج٢، ص٢٨؛ أرسلان، نفسه، ص٩٠-١٠٣؛ مونس، نفسه، ص٢٦٨ وما يليها؛ سالم، نفسه، ص١٤٤-١٤٥.

قواعد وحصون الحاميات الإسلامية فى جنوب غالة وخاصة فى منطقة سبتمانيا وقاعدتها أربونة(١).

(٢) الصراع بين العصبيات العربية فى الأندلس

بدأ الصراع بين العصبيات العربية يشتد فى ولاية عبد الملك بن قطن الثانية على الأندلس، والتى تولاها فى سنة ١٢٢هـ ذلك أن ابن قطن وهو من العرب الحجازيين استعان بعرب الشام بقيادة بلج من بشر- كما سبقت الإشارة- فى القضاء على ثورة البربر فى الأندلس، وعندما طالب بعودتهم إلى المغرب تنفيذاً للاتفاق بينهما، ثاروا عليه، وأخرجوه من قصر الإمارة بقرطبة، واستولى بلج والشاميون على القصر فى سنة ١٢٣هـ، وانتهى الأمر بعد ذلك إلى مقتله على أيدى اليمنيين من عرب الشام ثأراً لأحد قتلاهم على يد ابن قطن، وانفرد بلج بحكم الأندلس(٢).

غير أن أبناء ابن قطن وأنصاره حشدوا جيشاً كبيراً بجهة سرقسطة بعد أن هربوا من قرطبة، وذلك للثأر لأبيهم، وانضم إليهم الحجازيون والبربر (وهم من البلديين) وبعض أعداء بلج من الزعماء العرب، ورغم انتصار الشاميين إلا أن زعيمهم بلج بن بشر تعرض لجُرح خطير أودى بحياته فى المعركة التى نشبت بين الطرفين عند موضع يسمى أقوه برطورة قرب العاصمة قرطبة، وذلك بعد حوالى إثنى عشر

---

(١) مونس، نفسه، ص٢٧٦؛ سالم، نفسه، ص١٤٦؛ العبادى، نفسه، ص٦٩-٧٠.

(٢) أخبار مجموعة، ص٤٥؛ ابن عذارى، نفسه، ج٢، ص٣٢؛ ليفى بروفنسال، نفسه، ص٦٥.

شهراً من ولايته على الأندلس، وتضيف المصادر التاريخية أن "تلك المعركة إنجلت عن أحد عشر ألف قتيل من الجانبين"(١).

وبعد موت بلج خلفه فى حكم الأندلس وقيادة العرب الشاميين هناك ثعلبة بن سلامة فى سنة ١٢٤هـ، وكان عرب الشام قد أسندوا له الولاية بالأندلس لأن الخليفة الأموى هشام بن عبد الملك كان قد أوصى عند خروج جيش الشام بقيادة كلثوم لحرب البربر، أنه فى حالة مقتله يتولى القيادة بلج، ومن بعده ثعلبة، فقام الشاميون بتنفيذ ما أوصى به الخليفة هشام، وبايعوه بالإمارة وقد نشبت فى عهده أيضاً ثورة بسبب العصبيات القبلية، حيث أعلن البلديون من العرب اليمنية من الحجازيين والبربر الثورة فى مدينة ماردة بغرب الأندلس، فزحف إليهم ثعلبة وجند الشام وأنزلوا بهم الهزيمة وقتلوا منهم خلقاً كثيراً علاوة على الأسرى والسبايا(٢).

وفى سنة ١٢٥هـ أرسل حنظلة بن صفوان أمير المغرب والياً جديداً على الأندلس وهو الحسام بن ضرار الكلبى (من قبيلة اليمنية)، وكان من خيرة عرب الشام وقام عقب وصوله إلى العاصمة قرطبة بإطلاق سراح الأسرى والسبايا ممن وقعوا فى أيدى الشاميين، وأعطى الأمان لأبناء عبد الملك بن قطن وجمع شمل أهل الأندلس، واستقامت أحوال

---

(١)أخبار مجموعة، ص٤٦؛ ابن عذارى، نفسه، ج٢، ص٣٢؛ سالم، نفسه، ص١٦٠.

(٢)أخبار مجموعة، ص٤٧-٤٨؛ ابن عذارى، نفسه، ج٢، ص٣٢-٣٣؛ سالم، نفسه، ص١٦١؛ مونس، فجر الأندلس، ص٢١٨-٢١٩.

الناس بعد فترة من الصراعات القبلية والحروب الداخلية. وبذلك استقرت له الأمور، ونعمت الأندلس فى عهده بالأمن والهدوء. خاصة بعد أن قام بتوزيع جند الشام على الكور أو الأقاليم الأندلسية لكسر شوكتهم وإضعاف عصبيتهم، ومنعاً للفتن، فأنزل جند دمشق فى البيرة (غرناطة)، وجند حمص فى إشبيلية، وجند فلسطين بشذونة، وجند الأردن برية (مالقة) وجند قنسْرين بجيان وجند مصر بباجة وتدمير(١).

ولم تستمر حالة الاستقرار طويلاً فى الأندلس، إذ سرعان ما عادت العصبية القبلية، عندما نشب خلاف بسيط بين رجل يمنى وآخر قيسى، واحتكما لابن ضرار والى الأندلس الذى حكم لصالح اليمنى، وهنا غضب الرجل القيسى وأسرع يشكو لزعيم القيسية- آنذاك- وهو الصميل بن حاتم، الذى اتجه بدوره إلى الوالى ابن ضرار لمناقشته فى الأمر، غير أنه تعرض للإهانة فى مجلسه، فخرج غاضباً مصمماً على الانتقام من اليمنية وعلى رأسها الوالى ابن ضرار(٢).

وعلى هذا ثارت القيسية بقيادة الصميل ضد اليمنية، وتمكنت من إنزال الهزيمة باليمنية عند موضع يسمى شقنده (جنوب قرطبة) وقتل فيها العديد منهم، كما أسر ابن ضرار، ووضع فى السجن ثم قتل عقب ذلك واتفقت القيسية بزعامة الصميل على أن يتولى حكم الأندلس قائد جيشهم

---

(١) راجع: ابن عذارى، نفسه، ج٢، ص٣٣.

(٢) أخبار مجموعة، ص٥٨؛ ابن عذارى، نفسه، ج٢، ص٣٣؛ سالم، نفسه، ص١٦٢.

ويدعى ثوابه بن سلامة فى سنة ١٢٨هـ، ولكنه مكث فى الولاية عاماً واحداً، وتوفى فى سنة ١٢٩هـ، فاجتمعت كلمة القيسية بزعامة الصميل على أن يتولى الحكم يوسف بن عبد الرحمن الفهرى (من أحفاد عقبة بن نافع)، وكان شيخا طاعناً فى السن، ولذا أصبح الصميل بن حاتم هو مدبر الأمور وصاحب السلطة الحقيقى فى الأندلس[١]، فى الوقت الذى كانت فيه الدولة الأموية فى المشرق تحتضر وذلك لقيام الثورة العباسية. وقد ظل الأمر هكذا إلى أن وصل الأمير الأموى عبد الرحمن الداخل بن معاوية (الملقب بصقر قريش) إلى بلاد الأندلس هارباً من بلاد الشام عقب سقوط دولة آبائه وأجداده (الدولة الأموية) على أيدى العباسيين فى سنة ١٣٢هـ.

---

[١]أخبار مجموعة، ص٥٩-٦٠؛ ابن عذارى، نفسه، ج٢، ص٣٦؛ المقرى، نفح الطيب، ج١، ص٢٢٧؛ العبادى، نفسه، ص٧٣-٧٤؛ سالم، نفسه، ص١٦٣-١٦٤.

الفصْلُ الخامس

عصر الدولة الأموية فى الأندلس

(عصر الامارة)

الفصل الخامس

عصر الدولة الأموية فى الأندلس
(عصر الإمارة الأموية)
(١)الأمير عبد الرحمن الداخل (١٣٨-١٧٢هـ)
مؤسس الدولة الأموية فى الأندلس
(أ) قيام الدولة الأموية وإحيائها فى الأندلس سنة ١٣٨هـ

أدت هزيمة الأمويين على أيدى العباسيين فى معركة الزاب الأعلى (قرب الموصل شمال العراق) إلى انهيار الدولة الأموية وسقوطها وخاصة بعد مقتل آخر خلفائهم مروان بن محمد سنة ١٣٢هـ.

ولم يكتف العباسيون بذلك بل اخذوا يتعقبون أفراد الأسرة الأموية بالتنكيل والقتل، واشتهر منهم فى ذلك عبد الله بن على العباسى والى الشام الذى دبر لهم مذبحة رهيبة عندما دعاهم إلى وليمة عند نهر أبى فطرس جنوب الشام بعد أن كان قد أعطاهم الأمان، فغدر بهم هناك، وأمر بقتلهم جميعاً(١)، غير أن قلة من الأسرة الأموية، لم يحضروا عند أبى فطرس ونجوا من المذبحة وعلى رأسهم الأمير عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك الذى كان غائباً آنذاك فى رحلة صيد، فلما علم بما حدث

(١) راجع: المقرى، نفسه، ج١، ص٣١٣-٣١٤؛ مونس، معالم، ص٢٤٩؛ سالم، نفسه، ص١٧٤-١٧٥؛ العبادى، نفسه، ص٧٤.

لأفراد أسرته، تمكن من التخفى بعيداً عن عيون العباسيين، وهرب إلى فلسطين حيث لحق به هناك مولاه بدر، ومعه بعض المال الذى يعينه على رحلة الهروب من الشام إلى المغرب بعيداً عن أعدائه العباسيين[١].

ولم يلبث عبد الرحمن بن معاوية أن هرب إلى مصر، ومنها إلى برقة عندما أدرك أن العباسيين ما زالوا يطاردون أبناء البيت الأموى، وظل فى برقة مستتراً مدة، ثم اتجه إلى افريقية وعاصمتها القيروان، وكانت آنذاك تحت حكم عبد الرحمن بن حبيب الفهرى الذى خشى على نفوذه من وجود الأمير الأموى عبد الرحمن بن معاوية، فأخذ يعمل على اعتقاله، والتخلص منه، ويؤكد ذلك قول المورخ ابن عذارى أن الفهرى صار "يقتل الواصلين إليه من بنى أمية، ويأخذ أموالهم"، ولذا اضطر الأمير عبد الرحمن بن معاوية إلى الهرب مرة أخرى بصحبة مولاه بدر صوب المغرب الأقصى حيث التجأ إلى أخواله من قبيلة نَفْزَة البربرية قرب طنجة[٢]، وبعد أن استقر الأمير عبد الرحمن بن معاوية الأموى بالمغرب الأقصى بدأ يتطلع بأنظاره نحو بلاد الأندلس خاصة وأن الأحوال الداخلية فيها كانت سيئة للغاية بسبب

---

(1) المقرى، نفسه، ج١، ص٣١٤؛ سالم، نفسه، ص١٧٤-١٧٥.

(2) ابن عذارى، نفسه، ج٢، ص٤٠-٤١؛ ابن الأبار، الحلة السيراء، ج١، ص٣٥؛ مونس، فجر الأندلس، ص٦٦٤؛ ليفى بروفنسال، نفسه، ص١٠٥-١٠٦.

الصراع بين العصبيات العربية، وكان نفوذ يوسف الفهرى واليها قد بدأ فى الضعف بسبب الفتن والثورات الداخلية ضده، وانتشار القحط والمجاعة مما أدى إلى تدهور الحالة الاقتصادية فى البلاد، وعلى هذا قرر الأمير عبد الرحمن بن معاوية أن يستغل تلك الأوضاع المواتية فى الأندلس لتحقيق أهدافه وطموحاته السياسية بالسيطرة على الأندلس وإحياء دولة آبائه وأجداده الأمويين (الدولة الأموية) من جديد فى أقصى الغرب الإسلامى(١).

على أية حال ارسل الأمير عبد الرحمن بن معاوية مولاه بدراً إلى زعماء موالى بنى أمية- وعلى رأسهم عبيد الله بن عثمان- وعرض عليهم مساعدته على العبور إلى الأندلس، والسيطرة عليها، فرحبوا بذلك إخلاصاً منهم لسادتهم الأمويين، ثم أخذ موالى بنى أمية بدراً والتقوا بالصميل بن حاتم زعيم المضرية (القيسية) فى الأندلس، وطلبوا منه مساعدة سيدهم الأمير الأموى عبد الرحمن بن معاوية(٢).

وقد رحب بهم الصميل فى البداية وأحسن إليهم، وأبدى استعداده لنصرته، وأن يزوجه من ابنته، ثم لم يلبث أن تراجع عن

---

(١)ابن عذارى؛ نفسه، ج٢، ص٤١-٤٢.

(٢)راجع العبادى، نفسه، ص٧٤.

موقفه، ورفض تقديم أى مساعدة له خوفاً على نفوذه فى الأندلس، فى حالة وصول الأمير عبد الرحمن إلى الحكم(١).

وعلى هذا اتجه بدر وموالى بن أمية إلى الحزب الآخر المتمثل فى اليمنية (أعداء الصميل ويوسف الفهرى والى الأندلس)، وهنا أبدى اليمنية ترحيبهم بقدوم عبد الرحمن، وأعلنوا استعدادهم لمعاونته لتحقيق أهدافه كيداً فى المضرية (القيسية) وللثأر منهم، وعقب ذلك عاد بدر إلى سيده الأمير عبد الرحمن فى المغرب الأقصى وأخبره بما تم الاتفاق عليه فى الأندلس، وانضمام الموالى الأمويين واليمنية إليه(٢).

وفى تلك الأثناء كان يوسف الفهرى والى الأندلس قد أرسل جيوشه إلى شمال إسبانيا لمحاربة النصارى الإسبان بالشمال فى منطقتى جليقية والبشكنس، ومنيت جيوشه بالهزيمة، فى الوقت الذى وصلت إليه الأخبار فى قرطبة العاصمة بعبور الأمير عبد الرحمن بن معاوية إلى الشاطئ الجنوبى للأندلس ونزوله فى ساحل ميناء المنكب (Almunecar) حيث استقبله هناك موالى بنى أمية فى غرة ربيع الأول سنة ١٣٨هـ، ثم زحف بعد ذلك شمالاً ونزل بحصن طرُش بكورة البيرة (غرناطه)،

---

(١)ابن عذارى؛ نفسه، ج٢، ص٤٤.

(٢)نفس المصدر السابق، ص٤٤.

وانضم إليه هناك جماعة من الأمويين وعرب الشام وأنصاره اليمنية والبربر، وقام بتنظيم صفوفه ثم واصل الزحف شمالاً نحو العاصمة قرطبة، وفى طريقه مرَّ بكور (أقاليم) ريه وشذونه ثم إشبيلية، وكان أهل تلك المناطق يتلقونه بالترحيب والتأييد وإعلان الطاعة له(١)، وعندما اقترب عبد الرحمن من قرطبة أصبح النهر (أى نهر قرطبة المعروف بالوادى الكبير) حاجزاً بين جيشه وجيش يوسف الفهرى وحليفه الصميل، وبدأ عبد الرحمن فى استخدام أسلوب الخديعة والمكر بأن أظهر ليوسف الفهرى ميله إلى الصلح وحقن الدماء خاصة وأن اليوم هو الوقوف بعرفة (٩ ذى الحجة سنة ١٣٨هـ) والمسلمين على وشك الاحتفال بعيد الأضحى، وانخدع يوسف الفهرى بذلك وبعث إلى جيش عبد الرحمن بالطعام، كما سمح لهم بعبور النهر، حيث أعلن عبد الرحمن عن موقفه الرافض للصلح إلا بعد الاعتراف به أميراً على الأندلس، وعلى هذا دارت المعركة الفاصلة بين الطرفين عند موضع يسمى المصارة خارج قرطبة، وانتهت بانتصار ساحق لعبد الرحمن بن معاوية يوم عيد الأضحى ١٠ ذى الحجة سنة ١٣٨هـ ودخوله العاصمة قرطبة ظافراً فعرف بالداخل لأنه أول من دخل الأندلس من الأسرة الأموية، ودخل قصر الإمارة بها، وتمت مبايته

---

(١)ابن عذارى؛ نفسه، ج٢، ص٤٥-٤٦.

بالإمارة(١)، وبذلك قامت الدولة الأموية فى الأندلس فى عام ١٣٨هـ.

ب- أهم المشكلات والثورات التى واجهته أثناء حكمه:

(١) ثورة يوسف الفهرى:

عقب هزيمة يوسف الفهرى (والى الأندلس السابق) والصميل على يد جيش الأمير عبد الرحمن الداخل فى موقعة المصارة قرب قرطبة سنة ١٣٨هـ، هربا إلى غرناطة التى احتمى بها الفهرى، وحاصره الأمير عبد الرحمن هو وجيشه حصاراً شديداً سنة ١٣٩هـ، واضطر إلى الاستسلام مقابل الأمان له وللصميل، فوافق عبد الرحمن على ذلك، وأسكنهما العاصمة قرطبة، وأحسن إليهما وكان يستشيرهما فى أمور الدولة، ومنع جنده من اليمنية أن يتعرضوا لأسرة الفهرى أو أمواله وممتلكاته(٢).

وبذلك استقرت الأمور للأمير عبد الرحمن، غير أن هذا لم يستمر طويلاً، إذ سرعان ما أعلن يوسف الفهرى الثورة ونقض العهد وهرب من قرطبة فى سنة ١٤١هـ واتجه إلى مدينة مارده بغرب الأندلس وانضم إليه هناك أنصاره خاصة من البربر وغيرهم، وبعد أن رأى كثرة جيشه بدأ فى الزحف نحو قرطبة، وفى الطريق التقت به قوات الأمير عبد الرحمن

---

(1)أخبار مجموعة، ص٨١ وما يليها؛ مؤنس، فجر الأندلس، ص٦٨١ وما يليها؛ سالم، نفسه، ص١٨٥-١٩٠.

(2)أخبار مجموعة، ص٨٧؛ ابن عذارى، نفسه، ج٢، ص٤٨.

وأنزلت به الهزيمة، وتفرق أتباعه عنه، بينما هرب الفهرى متخفياً نحو طليطلة، وانتهى الأمر بمقتله على يد بعض أعوانه سنة ١٤٢هـ تقرباً للأمير عبد الرحمن. أما الصميل- حليف يوسف الفهرى- فقد سجنه الأمير عبد الرحمن متهماً إياه بالتحريض على الثورة، ثم أمر بقتله عقب ذلك بأن أدخل عليه من خنقه فى السجن، وانتهت بذلك أولى المشكلات التى واجهته فى بداية حكمه للأندلس(١).

(٢) ثورة هشام بن عروة الفهرى:

عقب مقتل يوسف الفهرى أعلن أحد أعوانه من زعماء القيسية ويدعى هشام بن عروة الفهرى الثورة فى طليطلة أواخر سنة ١٤٤هـ وأوائل سنة ١٤٥هـ ضد الأمير عبد الرحمن الداخل، واحتمى بمدينته طليطلة التى تشتهر بالحصانة والمنعة، واستقل بذلك عن الحكومة المركزية بقرطبة فزحف إليه الأمير عبد الرحمن على رأس جيشه، وحاصره حصاراً شديداً وأجبره على الدخول فى الطاعة والخضوع، ثم عاد الأمير بجيشه إلى قرطبة(٢)، ولكنه لم يلبث أن علم بعودة هشام الفهرى إلى التمرد والعصيان مرة أخرى، فأرسل إليه جيشه بقيادة مولاه بدر، وتم حصار طليطلة ثانية مما أرهق أهلها فاضطروا إلى الاتفاق سراً مع قادة جيش الأمير عبد الرحمن بمقتضاه تم اعتقال زعماء الثورة،

---

(1) أخبار مجموعة، ص٨٨-٩٢؛ ابن عذارى، نفسه، ص٤٩؛ سالم، نفسه، ص١٩١ وما بعدها؛ العبادى، نفسه، ص٨١؛ ليفى بروفنسال، نفسه، ص١١١-١١٢.

(2) أخبار مجموعة، ص٩٢-٩٣.

وتسليمهم لجيش الأمير مقابل فك الحصار عن مدينة طليطلة، وأرسل زعماء الثورة إلى قرطبة حيث أمر عبد الرحمن الداخل بقتلهم جميعاً(١).

<u>(٣) ثورة العلاء بن مغيث الجذامى سنة ١٤٦هـ:</u>

من المشكلات الخطيرة التى تعرض لها الأمير عبد الرحمن ثورة العلاء ابن مغيث فى مدينة باجة بغرب الأندلس سنة ١٤٦هـ بتحريض من الخليفة العباسى أبى جعفر المنصور الذى كان يتطلع إلى إعادة الأندلس إلى حوزة الخلافة، وكان العلاء أحد الزعماء العرب من اليمنية فى باجة، الذين التفوا من حوله، وهؤلاء اليمنية سخطوا على الأمير عبد الرحمن لمنعهم من القيام بأعمال السلب والنهب فى قرطبة عقب هزيمة يوسف الفهرى، ودعا العلاء إلى طاعة الخليفة المنصور العباسى سراً فى سنة ١٤٦هـ (لأنه وعده بولاية الأندلس)، ورفع الأعلام السوداء (شعار العباسيين) (٢)، وكثر جنده من اليمنية، وشكل خطراً كبيراً على الدولة الأموية، وبدأ فى الزحف نحو العاصمة قرطبة سنة ١٤٧هـ، حيث اتجه أولاً إلى اشبيلية وانضمت إليه جماعات كبيرة من اليمنية، وواصل زحفه حتى وصل إلى مدينة قرمونة التى تحصن بداخلها الأمير عبد الرحمن الداخل وجيشه، وحاصرهم العلاء بها حصاراً شديداً دون أن ينجح فى اقتحام المدينة مما أدى إلى تسرب اليأس إلى نفوس أتباعه، وحدوث

---

(١)مولف مجهول، اخبار مجموعة، ص٩٥-٩٦؛ البيان المغرب، ج٢، ص٥٣؛ سالم، نفسه، ص١٩٧ وما بعدها؛ ليفى بروفنسال، نفسه، ص١١٣.

(٢)ابن عذارى، نفسه، ج٢، ص٥٢.

اضطراب بينهم، ووصلت الأخبار بذلك للأمير عبد الرحمن، فانتهز تلك الفرصة، وحشد قواته، وأثار حماسهم بأن أوقد ناراً ثم "أمر بأغمدة سيوف أصحابه، فأحرقت، وقال لهم: أخرجوا معى لهذه الجموع خروج من لا يحدث نفسه بالرجوع"،... وامتثل الجند لأوامر قائدهم، ثم انقضوا على جيش العلاء، ودارت معركة عنيفة بين الطرفين انتهت بهزيمة العلاء ومقتله، وغالبية أتباعه، وتشتت شمل من ظل حياً منهم، وتذكر المصادر التاريخية أن الأمير عبد الرحمن أرسل رأس االعلاء مع بعض الحُجاج الأندلسيين إلى الخليفة العباسى المنصور وكان يحج بمكة آنذاك، وعندما شاهدها المنصور قال: "إنا لله! عرضنا بهذا المسكين للقتل، الحمد لله الذى جعل بيننا وبين هذا الشيطان بحراً" (يقصد به الأمير عبد الرحمن)، وأطلق عليه عقب ذلك لقب "صقر قريش"(١).

٤- ثورة سعيد اليَحْصَبى بكورة لبلة سنة ١٤٩هـ:

فى سنة ١٤٩هـ أعلن سعيد اليحصبى المعروف بالمطرى الثورة فى كورة لبلة بغرب الأندلس، وانضمت إليه اليمنية حيث أنه من زعمائهم، وزحف بعد ذلك إلى اشبيلية التى استولى عليها بقوته العسكرية، ثم تحصن بقلعة قرب اشبيلية، وحاصرها بها الأمير عبد الرحمن، وأجبره على الخروج لمحاربته فى قواته من اليمنية والبربر (أتباع المطرى)

---

(١)راجع: أخبار مجموعة، ص٩٣-٩٤؛ البيان المغرب، ج٢، ص٥١-٥٢؛ المقرى، نفح، ج١، ص٣١٦؛ سالم، نفسه، ص١٩٧-١٩٨؛ العبادى، نفسه، ص٨١-٨٢؛ بروفنسال، نفسه، ص١١٣-١١٤.

وأنزل بهم الأمير عبد الرحمن الداخل الهزيمة، وقتل المطرى ومعظم أتباعه(١).

٥- ثورة البربر بقيادة شقيا المكناسى سنة ١٥٢هـ:

أعلن البربر الثورة ضد الأمير عبد الرحمن الداخل فى سنة ١٥٢هـ، وتزعمهم رجل منهم هو شقيا بن عبد الواحد المكناسى الذى لقب نفسه بالفاطمى لادعائه أنه من نسل على بن أبى طالب وزوجته فاطمة الزهراء. والتف البربر من حوله فى منطقة جبال وسط الأندلس قرب شنتبريه التى عاث فيها فساداً، فزحف إليه الأمير عبد الرحمن الداخل بجيشه، فهرب المكناسى إلى الجبال الوعرة، فانصرف عنه الأمير، مما أدى إلى ازدياد نفوذه وقوته بتلك المنطقة الجبلية؛ وظل الأمير يرسل إليه بالحملات دون جدوى لاختبائه بالجبال، ثم نجح الأمير عبد الرحمن فى اجتذاب بعض البربر وزعمائهم فى تلك المنطقة إلى جانبه، مما أضعف من قوة المكناسى وتفرقت كلمة البربر هناك، إلى أن تمكن قادة جيش الأمير عبد الرحمن من استمالة بعض أتباعه فغدروا به وقتلوه سنة ١٦٠هـ(٢).

---

(١) ابن عذارى، نفسه، ج٢، ص٥٣؛ سالم، نفسه، ص٢٠٠.

(٢) أخبار مجموعة، ص٩٧ وما بعدها؛ البيان المغرب، ج٢، ص٥٤-٥٥؛ سالم، نفسه، ص٢٠٠؛ العبادى، نفسه، ص٨٤-٨٥.

٦- تآمر ثوار أندلسيين وتحالفهم مع قوى خارجية ضد الأمير عبد الرحمن:

من أخطر المؤامرات التى تعرض لها عبد الرحمن تلك المؤامرة التى شاركت فيها قو داخلية متمثلة فى بعض الولاة فى الأندلس الثائرين من جند الأمير عبد الرحمن خاصة من اليمنية، مثل سليمان الأعرابى والى سرقسطة وحليفه الحسين بن يحيى الأنصارى من زعماء المدينة، والرماحس والى الجزيرة الخضراء، وساندهم فى ذلك قوى خارجية مثل الخليفة العباسى المهدى، وشارلمان امبراطور الفرنجة، وعبد الرحمن الفهرى المعروف بالصقلبى وهو من الزعماء العرب بالمغرب الذين طمعوا فى ولاية الأندلس.

وقد اتفق المتآمرون على أن يعبر الصقلبى بأسطوله وجيشه من البربر إلى ساحل كورة تدمير شرق الأندلس، ويعلن الولاء للعباسيين (أى للخليفة المهدى العباسى)، وفى نفس الوقت يعبر شارلمان بجيشه جبال البرتات، ويتجه إلى مدينة سرقسطة ليسلمها له واليها الثائر سليمان الأعرابى كما يعلن الرماحس الثورة فى الجزيرة الخضراء، وبذلك يتم حصار الأمير عبد الرحمن من الشمال والجنوب، تمهيداً للقضاء عليه.

غير أن تلك المؤامرة لم تُنفذ كما خُطط لها، وبالتالى فشلت فى تحقيق أهدافها، ذلك أن الصقلبى عندما نزل بأسطوله وقواته بساحل كورة تدمير (مرسية بشرق الأندلس سنة ١٦٢هـ) طلب المساعدة من الأعرابى، فلم يستجب له، بحجة أن شارلمان لم يصل بعد إلى سرقسطة، وهنا انتهز

الأمير عبد الرحمن الفرصة واسرع إليه بجيشه وأحرق أسطوله، وهرب الصقلبى إلى كورة بلنسية حيث قتل هناك على يد أحد البربر[1].

وبعد ذلك اتجه شارلمان بجيشه عبر جبال البرتات نحو سرقسطة لكى يتسلمها من واليها الأعرابى تنفيذاً للاتفاق بينهما، غير أن أهالى المدينة بزعامة الحسين بن يحيى الأنصارى ثاروا ضد الأعرابى ورفضوا تسليم مدينتهم لملك فرنجى، مما أدى إلى غضب شارلمان، وأخذه الأعرابى كأسير وحصاره لسرقسطة، فى نفس الوقت وصلته أنباء بحدوث اضطرابات داخلية فى بلاده، فاضطر إلى رفع الحصار والعودة إلى بلاد الفرنجة مصطحباً معه الأعرابى، وعند مرور جيشه بأحد ممرات جبال البرتات (المعروف بباب الشزرى) تعرضت موخرة جيشه لهجوم قاده أبناء الأعرابى وحلفاء لهم من قبائل البشكنس الإسبانية وانتهى الهجوم بتحرير الأعرابى من الأسر، والقضاء على موخرة جيش شارلمان بقيادة رولان[2].

وعقب ذلك استولى الحسين بن يحيى الأنصارى على مقاليد الأمور فى سرقسطة سنة ١٦٥هـ، فحاصره الأمير، واضطر الأنصارى إلى الدخول فى الطاعة وإعلان الولاء، ولكنه لم يلبث أن تمرد وأعلن الثورة من جديد، فحاصره الأمير مرة ثانية ودخل سرقسطة عنوة، وأنزل الهزيمة

---

(1) البيان المغرب، ج٢، ص٥٦؛ العبادى، نفسه، ص٨٣.

(2) راجع: ليفى بروفنسال، نفسه، ص١١٧ وما بعدها.

بأتباع الأنصارى وقتله، ومعظم أتباعه، أما الرماحس فعندما سمع بوصول قوات الأمير عبد الرحمن إلى مشارف الجزيرة الخضراء أسرع بالهرب بأهله فى أحد المراكب إلى المغرب، ومنها التجأ إلى العباسيين فى المشرق(١).

٧- مؤامرات وثورات أخرى:

واجه عبد الرحمن الداخل مؤامرات وثورات أخرى فى أواخر عهده منها مؤامرة دبرها أحد أفراد أسرته ويدعى المغيرة بن الوليد بن معاوية بالاشتراك مع هذيل بن الصميل بن حاتم للقضاء على الأمير عبد الرحمن سنة ١٦٨هـ، غير أن أحد أتباعهما كشف المؤامرة وأبلغها للأمير، وتم اعتقال المتآمرين وقتلهما كما قام محمد بن يوسف الفهرى بثورة فى طليطلة ثم زحف إلى مدينة قسطلونة بشرق الأندلس، فخرج إليه الأمير بجيشه وأنزل به الهزيمة وقتل معظم أتباعه سنة ١٦٩هـ، بينما فر الثائر محمد بن يوسف الفهرى نحو الجبال، وباءت ثورته بالفشل(٢). ولم يلبث أن توفى الأمير عبد الرحمن بعد ذلك بثلاث سنوات أى فى سنة ١٧٢هـ.

---

(١)أخبار مجموعة، ص١٠٠ وما يليها؛ البيان المغرب، ص٥٦-٥٧؛ العبادى، نفسه، ص٨٢-٨٤؛ سالم، نفسه، ص٢٠١ وما يليها؛ ليفى بروفنسال، نفسه، ص١١٧ وما يليها.

(٢) أخبار مجموعة، ص١٠٥؛ البيان المغرب، ص٥٧.

ج- بعض مظاهر الحضارة الأندلسية فى عهده: (التأثيرات الحضارية الشامية فى الأندلس):

رغم ما شهده عهد الأمير عبد الرحمن الداخل من ثورات ومشكلات داخلية إلا أنه لم يغفل الجوانب الحضارية، فكان كما تصفه المصادر التاريخية فصيحاً بليغاً، شاعراً، وتأثرت الأندلس فى عهده بمظاهر الحضارة الشامية، ولعل هذا يرجع إلى مولده ونشأته ببلاد الشام موطن أبائه وأجداده الأمويين والتى ازدهرت فيها الحضارة فى العصر الأموى، وعلاوة على ذلك فإن جند الشام الذين استقروا فى الأندلس بعد الفتح نقلوا معهم الكثير من العادات والتقاليد الشامية.

فمن الناحية الأدبية: تأثر شعراء الأندلس فى تلك الفترة الأولى بشعراء الشام فى الالتزام بالوزن والقافية، ومن ناحية أخرى كانت للأمير عبد الرحمن الداخل عدة أشعار ورسائل وخطب تشبه ما كان لدى امراء وخلفاء الأمويين فى الشام وخاصة رسائله إلى عماله (ولاته) بالاقاليم أو الثائرين عليه، ومن أمثلة أشعاره فى الحنين إلى وطنه الشام:

أيها الراكب الميمم أرضى　　　إقرأ من بعضى السلام لبعضى

إن جسمى كما تراه بأرض　　　وفـــــؤادى ومالكيــــه بأرض(١)

---

(١)راجع: ابن عذارى، نفسه، ج٢، ص٥٨ وما بعدها؛ ابن الابار، الحلة، ج١، ص٣٦؛ سالم، نفسه، ص٢٠٦-٢٠٨؛ العبادى، نفسه، ص٨٥-٨٧؛ ليفى بروفنسال، نفسه، ص١٢٧.

ومن شعره أيضا عندما شاهد نخلة فى منية الرصافة بقرطبة أثارت شجونه وتذكر وطنه الشام:

تبدت لنا وسط الرصافة نخلة تناءت بأرضالغرب عن بلد النخل

فقلت: شبيهى فى التغرب والنوى وطول التنائى عن بنىوعن أهلـــى(١)

ومن ناحية تعمير العاصمة قرطبة بالقصور والمساجد والبساتين: فقد اهتم الأمير عبد الرحمن بالعمران اهتماماً بالغاً، وحرص على أن تشبه قرطبة عاصمة حكمه مدينة دمشق حاضرة أجداده الأمويين فى الشام، ولذا اعتنى بقصر الإمارة فى قرطبة، وهو قصر قديم سكنه بعض الملوك والحكام فى إسبانيا فى العصور السابقة على الحكم الإسلامى، وتذكر المصادر أن الحكام الأمويين أضافوا العديد من المحاسن إلى قصر الإمارة، وأجروا فيه المياه العذبة المجلوبة من جبال قرطبة، وكان يضم البساتين والحدائق الأنيقة(٢).

كذلك أعاد الأمير عبد الرحمن بناء جامع قرطبة فى سنة ١٦٩هـ وتأثر فى ذلك بمؤثرات شامية خاصة فى زخارفه المعمارية ونظام العقود المزدوجة والسقف ووضع المئذنة ويبدو أنه استعان فى بنائه ببنائيين شاميين(٣).

---

(1) البيان المغرب، ج١، ص٦٠؛ الحلة السيراء، ج١، ص٣٦-٣٧.

(2) نفح الطيب، ج٢، ص١٢ وما يليها.

(3) سالم، قرطبة حاضرة الخلافة، ج١، ص٥٣.

وحرص الأمير عبد الرحمن أيضاً على بناء القصور الخلوية خارج العاصمة فأقام قصر الرصافة في ضواحي قرطبة تشبهاً برصافة جده هشام ببادية الشام، وتذكر المصادر أن قصر الرصافة ابتناه الأمير عبد الرحمن في بداية عهده في شمال غرب قرطبة لتنزهاته، وسكن فيه بعض الفترات للراحة والتمتع بجمال الطبيعة، بعيداً عن صخب العاصمة قرطبة وازدحامها بالسكان، فاتخذ بمنيته الرصافة قصراً حسناً وأحاطه بالبساتين "ونقل إليها الغروس وأكارم الشجر من كل ناحية وأودعها ما كان استجلبه يزيد وسفر مولاه من الشام من النوى والحبوب الغريبة حتى نمت، وأثمرت بغرائب من الفاكهة انتشرت بعد قليل في كل نواحي الأندلس، ومن ذلك الرمان السفرى الذى ينتسب إلى سفر الكلاعى من عرب الشام(١).

أما من الناحية المذهبية فيذكر أستاذنا د. مختار العبادى أن الأندلسيين تأثروا أيضاً بأحد المذاهب الفقهية التى ظهرت فى الشام وهو مذهب الإمام الأوزاعى فقيه الشام المعروف (ت سنة ١٥٧هـ) وكان فقيهاً مرابطاً فى ثغر بيروت فى مواجهة الخطر البيزنطى على السواحل الشامية، ولذا اهتم مذهبه بأحكام الحرب والجهاد، وهو ما يتناسب مع ظروف أهل الأندلس واهتمامهم فى تلك الفترة، حيث كانوا فى حالة جهاد دائم ضد الامارات الإسبانية والفرنجية المسيحية فى الشمال، ولذا كانوا

---

(١)المقرى، نفسه، ج٢، ص١٥؛ سالم، قرطبة، ص٤٩-٥٠.

يميلون إلى مذهب الفقيه الأوزاعى، وقد قام بنقل مذهبه من الشام إلى بلاد الأندلس بعض الفقهاء الأندلسيين(١).

---

(١)العبادى، نفسه، ص٨٨.

(٢) الأمير هشام الرضا ١٧٢-١٨٠هـ

بعد وفاة الأمير عبد الرحمن الداخل تولى الحكم من بعده ابنه هشام سنة ١٧٢هـ، وقد لقب بالرضا لعدله وصلاحه وفضله، فكان كما يصفه المورخون خيراً فاضلاً، جواداً كريماً مع حسن سيره فى رعيته[١].

أولاً: أهم المشكلات الداخلية فى عهده:

(١) مشكلة أخيه سليمان:

تذكر المصادر التاريخية أن الأمير عبد الرحمن الداخل أسند قبل وفاته ولاية طليطلة لابنه الأكبر سليمان، وولاية ماردة لابنه هشام، وعندما حضرته الوفاة كان معه بقصر الامارة بقرطبة ابنه الأصغر عبد الله فأوصاه بأن من يصل أولاً من أخويه إلى العاصمة قرطبة عليه أن يسلم له الأمور ويتولى حكم الأندلس من بعده، وكان مما قاله لابنه عبد الله: "فإن سبق إليك هشام له فضل دينه وعفافه واجتماع الكلمة عليه، وإن سبق إليك سليمان فله فضل سنه ونجدته وحب الشاميين له"، وقد حدث أن وصل هشام من ماردة قبل أخيه سليمان، فاستقبله أخوه عبد الله على مشارف العاصمة قرطبة، وبايعه بإمارة الأندلس وأدخله قصر الإمارة تنفيذاً لوصية والده[٢].

---

(١) أخبار مجموعة، ص١٠٩؛ ابن الأبار، نفسه، ج١، ص٤٢.

(٢) ابن عذارى، نفسه، ج٢، ص٦١-٦٢؛ العبادى، نفسه، ص٨٩-٩٠؛ سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم فى الأندلس، ص٢١٣؛ ليفى بروفنسال، نفسه، ص١٢٩-١٣٠.

وتذكر المصادر أن أخاه سليمان عندما علم بذلك، رفض الاعتراف بالأمر الواقع، وأعلن التمرد في طليطلة وبايعه أهلها والمناطق المحيطة بها التي أصبحت تحت سيطرته، ولم يلبث أن انضم إليه أخوه عبد الله سنة ١٧٣هـ ربما لأنه كان يطمع في نفوذ أكبر مما كان عليه، ثم زحف سليمان من طليطلة نحو العاصمة قرطبة، ولكنه تعرض للهزيمة أمام قوات الأمير هشام، وولى الأدبار نحو اقليم تدمير بشرق الأندلس، بينما حاصر الأمير هشام طليطلة حصاراً شديداً حوالى شهرين مما أرهق أهلها ثم عاد إلى عاصمته قرطبة، حيث لحق به هناك أخوه عبد الله سنة ١٧٤هـ طالبا الصفح والصلح، فصالحه الأمير هشام وعفا عنه، ولم يلبث أن انضم إليه سليمان في الصلح، وطلب الأمان، فأمنه الأمير هشام بعد أن اشترط عليهما الرحيل إلى المغرب بعد أن عوضهما مالاً جزيلاً، وبذلك انتهت مشكلة أخويه(١).

(٢) الثورة في منطقة الثغر الأعلى:

اندلعت عدة ثورات في منطقة الثغر الأعلى ومركزها سرقسطة والمدن المجاورة لها، وقد تزعمها بعض الثوار من الزعماء العرب في تلك المنطقة البعيدة عن العاصمة قرطبة (مقر الحكومة المركزية) ففي اقليم طرطوشة أعلن الثورة سعيد بن الحسين الأنصاري الذي استولى على سرقسطة وأثار الفتنة والصراعات القبلية بين العصبيات العربية

---

(١) ابن عذارى، نفسه، ج٢، ص٦٢-٦٣؛ العبادي، نفسه، ص٨٩-٩٠؛ سالم، تاريخ المسلمين، ص٢١٤؛ بروفنسال، نفسه، ص١٣٠.

هناك، وانتهى الأمر بهزيمته ومقتله، ولكن الأوضاع لم تستقر فى منطقة الثغر الأعلى، إذ ثار عقب ذلك أيضاً مطروح بن سليمان الأعرابى فى برشلونة وزحف إلى سرقسطة وسيطر عليها أيضاً وعلى مدن الثغر الأعلى، وزاد نفوذه فى تلك المنطقة مما شكل تهديداً خطيراً للأمير هشام الرضا، غير أنه قتل على يد بعض أتباعه الذين غدروا به أثناء رحلة صيد، وأرسلوا برأسه إلى ابن عثمان قائد جيش الأمير هشام الذى زحف إلى سرقسطة، ودخلها دون مقاومة، وأعاد الأمير هشام الهدوء والأمن والاستقرار إلى تلك المدينة المهمة التى تمثل قاعدة الثغر الأعلى الأندلسى(١).

(٣) ثورة البربر فى تاكرنا سنة ١٧٨هـ:

فى سنة ١٧٨ أعلن البربر فى تاكرنا بجنوب الأندلس الثورة وعاثوا فساداً ونهباً وقتلاً فى تلك المنطقة المتطرفة البعيدة عن مقر الحكومة الأموية المركزية فى قرطبة، فأرسل إليهم الأمير هشام جيشه الذى أنذرهم فى البداية، وعندما رفضوا الطاعة واستمروا فى العصيان والفساد، قام بمهاجمتهم وأنزل بهم الهزيمة وقتل منهم أعداداً كبيرة، وتشتت الباقون(٢).

---

(١) ابن عذارى، نفسه، ج٢، ص٦٣؛ ليفى بروفنسال، نفسه، ص١٣٠.

(٢) ابن عذارى، نفسه، ج٢، ص٦٤؛ ليفى بروفنسال، ص١٣٠؛ سالم، تاريخ المسلمين، ص٢١٥-٢١٦.

ثانياً: أعماله الإصلاحية ودخول المذهب المالكى فى عهده:

امتدحت المصادر التاريخية شخصية الأمير هشام الرضا وأعماله الإصلاحية فى قرطبة وبقية مناطق الأندلس، فتذكر أنه كان حاكماً بالكتاب والسنة محباً لأهل الخير والصلاح، لم تأخذه فى الله لومة لائم، ولم يتعلق به ظلم، وأنه من محاسن أعماله كثرة الصدقات، وكان يجبى الزكاة من طرقها الشرعية على كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، كما كان يبعث إلى الكور أى الأقاليم برجال من أهل الصلاح والتقوى يسألون الناس عن سيرة ولاتهم ثم ينصرفون إليه بأخبارهم من أجل الاطمئنان على الرعية ولكى يحسنوا السيرة فيهم(١).

كذلك يرجع الفضل اليه فى إعادة بناء واصلاح قنطرة قرطبة على نهر الوادى الكبير بعد أن أصابها التصدع بسبب السيول، وأنفق على ذلك أموالاً كثيرة، وأشرف على ذلك بنفسه، وعندما انتهى من إصلاحها، أشاع بعض الناس فى قرطبة بأنه "إنما بناها لقنصه أى (صيده) ونزهته، فأقسم حين بلغه ذلك بألا يعبر عليها إلا لغزو أو مصلحة للمسلمين وأوفى بما أقسم عليه(٢).

كذلك اهتم الأمير هشام بتعمير المساجد وبنائها، فقام باستكمال بناء سقائف جامع قرطبة، وابتنى منارته (أى مئذنة) القديمة وبنى

---

(١) ابن عذارى، نفسه، ج٢، ص٦٥-٦٦؛ النويرى، نهاية الارب، ج٢٣، ص٣٥٨.

(٢) ابن عذارى، نفسه، ص٦٦؛ المقرى، نفسه، ج١، ص٣٢٤.

الميضاة فى صحن الجامع، وكان يُشَبه فى سيرته وشخصيته بالخليفة الأموى عمر بن عبد العزيز فى زهده وصلاحه وعدله(١).

ومن ناحية أخرى شهد عهد الأمير هشام الرضا دخول المذهب المالكى إلى الأندلس، الذى أصبح المذهب الرسمى فيها واعتنقه الغالبية العظمى من الأندلسيين، ولعل السبب فى انتشار مذهب الامام مالك (أمام دار الهجرة أو المدينة المنورة، ت سنة ١٧٩هـ) فى بلاد الأندلس يرجع إلى تلاميذه من الفقهاء الأندلسيين الذين تتلمذوا على يديه فى المدينة ثم عادوا إلى بلدهم الأندلس ونشروا مذهب شيخهم الإمام مالك، ومن أمثلة هؤلاء الفقهاء زياد بن عبد الرحمن ويحيى بن يحيى الليثى وعيسى بن دينار، الذين أصبحوا من المقربين للأمير هشام ومن حاشيته ومستشاريه وأصحاب النفوذ فى عهده، وكان زياد بن عبد الرحمن هو أول من أدخل كتاب الموطأ للإمام مالك إلى الأندلس، وأخذه عنه العديد من الفقهاء فى العاصمة قرطبة(٢).

---

(1) ابن عذارى، نفسه، ج٢، ص٦٨؛ المقرى، نفسه، ج١، ص ؛ سالم، تاريخ المسلمين، ص٢١٩؛ بروفنسال، نفسه، ص١٣٣.

(2) المقرى، نفسه، ج٢، ص٢٢١ وما يليها؛ النويرى، نفسه، ج٢٣، ص٣٥٨؛ ٢٥٥ وما يليها.

ثالثاً: سياسته الخارجية:

أ- نحو الممالك الإسبانية المسيحية فى الشمال:

وصفت المصادر التاريخية الأمير هشام بأنه كثير الغزو والجهاد، واستطاع بذلك أن يحمى ثغور الأندلس الشمالية من خطر الأعداء سواء من النصارى الإسبان أو الفرنجة، ونجح فى ردعهم وأنزل بهم عدة هزائم، ففى سنة ١٧٦هـ أرسل الأمير هشام حملة بقيادة عبيد الله بن عثمان إلى منطقة ألبة والقلاع (من أراضى مملكة اشتوريش أو جليقية الاسبانية المسيحية) فتصدت له جموعهم هناك، وأنزل بهم الهزيمة، وقتل أعداداً كبيرة منهم، وفى نفس العام أرسل الأمير حملة أخرى بقيادة يوسف بن بخت إلى ناحية الشمال الغربى حيث مملكة جليقية، والتقى بجيش الملك برمودو الأول (Bermudo)، وانتصر الجيش الإسلامى للمرة الثانية، وغنم المسلمون غنائم كثيرة وعادوا ظافرين غانمين إلى العاصمة قرطبة(١)، كما حقق الجيش الإسلامى بقيادة عبد الكريم بن مُغيث انتصاراً ثالثاً وعلى جيش جليقية بقيادة الملك الفونسو الثانى وقتل وأسر العديد منهم، وذلك فى سنة ١٧٩هـ.

---

(١) ابن عذارى، نفسه، ج٢، ص٦٣-٦٤؛ ليفى بروفنسال، نفسه، ص١٣١؛ سالم، تاريخ المسلمين، ص٢١٦.

ب- نحو الفرنجة فى بلاد غالة:

فى سنة ١٧٧هـ أرسل الأمير هشام حملة كبيرة إلى بلاد الفرنجة بقيادة عبد الملك بن مغيث ووصل فيها إلى جرنده أو جيرونا (Gerona) التابعة لإمارة اكيتانيا الفرنجية وحصارها حصاراً شديداً، وقتل الكثير من المدافعين عنها وهدم بعض أسوارها وأبراجها، ثم زحف عقب ذلك إلى مدينة أربونة فأحرق ما حولها وخربها وغنم وسبى الكثر من بلاد الفرنجة، وكان فتحاً عظيماً على حد قول المصادر التاريخية، وعاد الجيش الإسلامى ظافراً غانماً إلى العاصمة قرطبة[1].

(٣) الأمير الحكم الأول (الملقب بالربضى) ١٨٠- ٢٠٦هـ:

عقب وفاة الأمير هشام الرضا بويع ابنه الحكم بالإمارة تنفيذاً لوصية والده فى شهر صفر سنة ١٨٠هـ، وكان كما تصفه المصادر التاريخية شجاعاً باسلاً، أديباً شاعراً، وخطيباً مفوهاً[2].

---

(1) ابن عذارى، نفسه، ج٢، ص٦٤؛ ليفى بروفنسال، نفسه، ص١٣٢-١٣٣؛ سالم، نفسه، ص٢١٦-٢١٧.

(2) ابن الأبار، نفسه، ج١، ص٤٣؛ ابن عذارى، نفسه، ج٢، ص٦٨.

أولاً: أهم المشكلات والثورات الداخلية في عهده:

(١) المشكلة مع عميه:

كانت أولى المشكلات الخطيرة التى واجهها الأمير الحكم الأول ثورة أو مشكلة عميه سليمان وعبد الله، وكانا قد اعتقدا أن الأمير الحكم لقلة خبرته وحداثة سنه (تولى الحكم وعمره ٢٦ سنة) لن يتمكن من السيطرة على مقاليد الأمور فى الدولة بعد وفاة أبيه، وبالتالى طمعاً فى الوصول إلى الحكم، وإقصائه عن الإمارة.

فعقب وفاة الأمير هشام ووصول الأنباء إلى سليمان وعبد الله ببلاد المغرب، أسرع عبد الله وعبر البحر سنة ١٨٠هـ، واتجه إلى الأندلس لعله يسبق أخاه سليمان فى ذلك، فاتجه أولاً إلى سرقسطة قاعدة الثغر الأعلى ونزل عند الثائر بها ويدعى بهلول بن مرزوق الذى كان يسيطر آنذاك على مدينة سرقسطة، وحاول عبد الله هناك استمالة أهلها إلى جانبه ومساعدته فى الوصول إلى إمارة الأندلس، ولكنهم أعرضوا عن مساعدته، فاضطر إلى الخروج نحو مملكة الفرنجة سنة ١٨١هـ، طالباً العون من الامبراطور شارلمان، ولكنه بعد عودته تراجع عن موقفه، ورفض فكرة الاستعانة بالفرنجة ضد المسلمين فى ألأندلس، فاتجه إلى الثغر الأعلى، فتصدى له الثائر بهلول، فاضطر إلى الزحف نحو بلنسيه بشرق الأندلس، ورفض أهلها أيضاً الانضمام إليه، وهنا لم يجد أمامه سوى طلب الصلح مع ابن أخيه الأمير الحكم الذى صفح عنه وتم الصلح بين الطرفين سنة ١٨٧هـ. واستقر عبد الله أخيراً فى مدينة بلنسية ولقب

من ذلك الوقت بعبد الله البلنسى، وأجرى عليه الأمير الحكم الأرزاق بإعطائه ألف دينار كل شهر علاوة على الأعطيات السنوية(١).

أما عمه الآخر سليمان فقد عبر أيضاً إلى الأندلس سنة ١٨٢هـ على رأس جيش من أتباعه البربر، وحاول الزحف نحو العاصمة قرطبة، ودارت بينه وبين جيش ابن أخيه الأمير الحكم عدة معارك انتهت بهزيمة سليمان ووقوعه فى الأسر ومقتله سنة ١٨٤هـ(٢).

(٢) ثورة المولدين بطليطلة سنة ١٨١هـ:-

كان معظم سكان مدينة طليطلة من عنصر المولدين أى من ذوى أصول إسبانية، ولذا اتجهوا دائماً إلى التمرد والثورة على ولاتهم وعلى الحكومة المركزية فى قرطبة، منتهزين فرصة حصانة بلدهم طليطلة وبعدها نسبياً عن العاصمة قرطبة.

ففى سنة ١٨١هـ أى عقب تولى الأمير الحكم إمارة الأندلس، قام بعض زعماء طليطلة بالثورة، فأرسل إليهم الأمير بقائد من المخلصين له وينتمى مثلهم إلى المولدين وهو عمروس بن يوسف والى ثغر وشقه وعهد إليه بمهمة القضاء على الثوار، واستخدم عمروس معهم الحيلة

---

(١) ابن عذارى، نفسه، ج٢، ص٦٩-٧٠؛ ليفى بروفنسال، نفسه، ص١٣٦-١٣٧؛ العبادى، نفسه، ص٩٤-٩٥.

(٢) ابن عذارى، نفسه، ص٧٠؛ ليفى بروفنسال، نفسه، ص١٣٦؛ سالم، تاريخ المسلمين، ص٢٢٠-٢٢١.

والمكر، فبدأ فى التقرب إليهم حتى وثقوا فيه وأدخلوه مدينتهم، والتفوا من حوله، ثم قام ببناء قصر حصين ودعاهم لحضور وليمة به احتفالاً بالانتهاء من تشييده، وبمجرد دخول زعماء طليطلة من مثيرى الفتنة إلى القصر أمر بقتلهم جميعاً، والقى بجثتهم فى حفرة خلف القصر ولذا عرفت تلك الحادثة أو المذبحة بوقعة الحفرة، ويذكر المؤرخ ابن عذارى أنه قتل منهم حوالى سبعمانة(١)، واعاد بذلك الهدوء والاستقرار إلى تلك المدينة الثائرة دائماً.

(٣) ثورة سكان ربض قرطبة سنة ٢٠٢هـ:

يطلق مصطلح الربض (والجمع أرباض) فى الأندلس على الأحياء الواقعة خارج سور المدينة أى الضواحى، وكان سكان ربض قرطبة معظمهم من عنصر المولدين، ومن أصحاب الحرف وصغار التجار، كما أقام فى الربض بعض الفقهاء المالكية (من تلاميذ الإمام مالك) الذين لم ينظروا بعين الارتياح إلى سياسة الأمير الحكم التى تركز على الحد من نفوذ الفقهاء المالكية (مستشارى والده الأمير هشام) وتقليص امتيازاتهم، وإبعادهم عن حاشيته وانغماسه فى حياة اللهو والملذات، ومخالفته سياسة والده هشام المعتدلة والإصلاحية، وبالتالى سخطوا عليه، وبدأوا

---

(١) ابن عذارى، نفسه، ج٢، ص٦٩-٧٠؛ سالم، نفسه، ص٢٢٢؛ العبادى، نفسه، ص٩٥-٩٦؛ بروفنسال، نفسه، ص١٣٩.

فى تحريض العامة خاصة فى الأرباض ضده، وكان على رأس هؤلاء الفقهاء يحيى بن يحيى الليثى وطالوت بن عبد الجبار.

ومن ناحية أخرى كان أهل الربض بقرطبة يشكون دائماً من كثرة الضرائب المفروضة عليهم، وعجزهم فى أغلب الأحيان عن أدائها(١)، وبالتالى انقادوا لتحريض الفقهاء ضد الأمير، واصبح لديهم الاستعداد الداخلى للثورة.

وعلاوة على ذلك سبقت ثورة ربض قرطبة وقوع حوادث دامية فى العاصمة قرطبة وأرباضها منها قيام الأمير الحكم سنة ١٨٩هـ بصلب ٧٢ رجلاً بقرطبة لتدبيرهم مؤامرة لخلعه عن الإمارة وتولية أحد أقربائه، غير أنها كشفت قبل تنفيذها، ولكنها تدل على مدى كراهيتهم للأمير الحكم(٢).

أما السبب المباشر الذى أشعل نار الثورة فيتلخص فى أن جندياً من حرس الأمير الحكم ذهب إلى حى الربض ليصلح سيفه عند أحد الحدادين هناك، فتباطأ الحداد فى إصلاح السيف، فتشاجر معه الجندى،

---

(1) النويرى: نفسه، ج٢٣، ص٣٧٠-٣٧١.

(2) ابن عذارى، نفسه، ص٧١؛ ليفى بروفنسال، نفسه، ص١٤٢.

وقام بقتل الحداد، مما أدى إلى غضب أهل الربض، وتكتلوا على حارس الأمير وقتلوه[١].

وتذكر المصادر أن أول من حمل السلاح وأعلن الثورة هم سكان الربض القبلى (الجنوبى)، وانضم إليهم جميع أهل الأرباض الأخرى حول قرطبة، وأخذوا فى الزحف نحو قصر الأمير الحكم فى محاولة للقضاء عليه، وعندما علم بذلك قام على الفور بحشد الحرس والجند وأفراد الأسرة الأموية والعبيد بالقصر ووزع عليهم السلاح والذخيرة، وقام بتنظيم صفوفهم للدفاع عن القصر وحراسة أبوابه، غير أن ثوار الربض تمكنوا من الوصول إلى أسوار القصر ومحاصرته دون أن ينجحوا فى اقتحامه بعد أن وقعت اشتباكات بين الطرفين، وهنا لجأ الأمير إلى أسلوب الدهاء والمكر، فاستدعى ابن عمه وقائد جيشه عبيد الله بن عبد الله البلنسى وأمره أن يحاول اختراق الحصار والوصول إلى حى الربض، وبالفعل تمكن عبيد الله من تسلق السور على رأس فرقة وعبر النهر (الوادى الكبير) دون أن يشعر به ثوار الربض، ثم وصل أخيراً إلى حى الربض وأشعل فيه النيران، وعندما شاهد الثوار النار مشتعلة فى بيوتهم ومتاجرهم، حدث ارتباك واضطراب فى صفوفهم، وأسرعوا لإخمادها وإنقاذ أهليهم من الموت، وهنا أحاطت بهم قوات الأمير من كل جانب،

---

(١) النويرى، نفسه، ج٢٣، ص٣٧١؛ ليفى بروفنسال، نفسه، ص١٤٣؛ سالم، نفسه، ص٢٢٣.

وانهزموا بعد مقتل معظمهم، كما وقع فى الأسر من هرب من ثوار الربض وكانوا حوالى ثلاثمائة فأمر بصلبهم أيضاً على نهر قرطبة بينما هرب بعض الفقهاء من محرضى الثورة، وأباح الأمير الحكم أرباض قرطبة لجنده، فقاموا بأعمال السلب والنهب والقتل والحرق لمدة ثلاثة أيام، ولم يكتف

بذلك بل قام بنفى من ظل حياً منهم إلى المغرب الأقصى، ثم أمر بهدم الربض القبلى- مركز الثورة- وحرثه وزراعته حتى لا يفكر سكانه فى العودة إليه مرة أخرى. أما الفقهاء فقد صفح عنهم الأمير وأعطاهم الأمان ونتيجة لتلك القسوة التى استخدمها الأمير الحكم فى إخماد الثورة بالربض فقد لقبه المورخون بالربضى(١).

(٣) ثورات أخرى:

واجه الأمير الحكم عدة ثورات أخرى خاصة فى سرقسطة التى أعلن فيها بهلول بن مرزوق (وهو من زعمائها) الثورة والتمرد واستولى على مدينة وشقه سنة ١٨٤هـ وزاد نفوذه فى منطقة الثغر الأعلى، وهنا أرسل إليه الأمير الحكم بقائده المخلص عمروس فزحف من طليطلة، وحارب بهلول بسرقسطة وأنزل به الهزيمة، وتم قتل الثائر بهلول سنة

(١) ابن عذارى، نفسه، ص٧٥ وما يليها؛ النويرى، نفسه، ج٢٣، ص٣٧١-٣٧٢؛ سالم، نفسه، ص٢٢٣-٢٢٤؛ العبادى، نفسه، ص٩٦-٩٧.

١٨٦ه، ونجح بذلك فى إعادة الهدوء والاستقرار إلى تلك المنطقة الثائرة(١).

كذلك أعلنت ماردة بغرب الأندلس الثورة بزعامة أصبغ بن عبد الله بن وانسوس سنة ١٩٠ه وكان والياً عليها ومن الزعماء البربر هناك، ثم غضب عليه الأمير الحكم بسبب وشايات أحد أعداء أصبغ الذى أوقع بينهما، مما دفعه إلى إعلان التمرد على الأمير الذى ظل يرسل إليه الحملات لإخضاعه مدة سبع سنوات إلى أن اضطر إلى الاستسلام بعد إعطائه الأمان، وخرج من ماردة وأسكنه الأمير الحكم معه بالعاصمة قرطبة(٢).

---

(1) ابن حيان، السفر الثانى من كتاب المقتبس، تحقيق د.محمود مكى، الرياض سنة ٢٠٠٣، ص١١٨؛ ابن عذارى، نفسه، ج٢، ص٦٩؛ ليفى بروفنسال، نفسه، ص١٣٨.

(2) ابن عذارى، نفسه، ص٧٢؛ سالم، نفسه، ص٢٢٥.

ثانياً: السياسة الخارجية فى عهده:

أ- نحو الممالك الاسبانية المسيحية فى الشمال:

عقب تولى الأمير الحكم إمارة الأندلس سنة ١٨٠هـ بعث بجيوشه إلى منطقة الثغور الأندلسية فى الشمال، وأغارت على الأراضى الإسبانية المجاورة خاصة فى منطقة القلاع (قشتالة القديمة)، وعادت سالمة غانمة إلى العاصمة قرطبة بعد أن تمكنت من حماية الثغور، وردع النصارى الإسبان فى الشمال[١].

وفى سنة ١٨٥هـ أرسل الأمير الحكم حملة إلى منطقة ألبة والقلاع بمملكة جليقية (اشتوريش) بقيادة أخيه معاوية غير أنها فشلت فى تحقيق أهدافها ومنيت بالهزيمة عند موضع يسمى فج أرغنسون (Arganzon) وهو ممر بجبال كنتبريا فى شمال إسبانيا، وفيها قتل الكثير من جند المسلمين، ونجا القائد معاوية من الموت بأعجوبة وعاد إلى العاصمة قرطبة مع فلول قواته. ورغم ذلك لم ييأس الأمير الحكم فبعث بحملة أخرى بقيادة ابنه هشام سنة ١٩٢هـ ضد مملكة جليقية، فاتجهت أولاً نحو غرب الأندلس (أراضى البرتغال حالياً) ثم زحفت شمالاً ودخلت

---

(١) ابن عذارى، نفس المصدر السابق، ص٦٩؛ بروفنسال، نفسه، ص١٤٧.

أراضى مملكة جليقية، وأغارت على تلك المناطق الإسبانية وعادة ظافرة غانمة إلى قرطبة بعد أن ثارت لهزيمة المسلمين السابقة(١).

ب- الحملة الفرنجية على برشلونة وسقوطها سنة ١٨٥هـ:

من الحوادث الخطيرة التى شهدها عهد الأمير الحكم الربضى سقوط مدينة برشلونة فى أيدى الفرنجة وملكهم شارلمان فى سنة ١٨٥هـ وذلك لانشغال الأمير باخماد الثورات الداخلية، ولم يتمكن المسلمون فى الأندلس من استردادها مرة أخرى، وكانت مدينة مهمة تمثل ثغراً للمسلمين فى أقصى الشمال الشرقى للأندلس على ساحل البحر المتوسط. وتذكر المصادر الفرنجية أن حصار قوات الفرنجة للمدينة استمر لمدة عامين، ونتيجة لطول فترة الحصار وعدم وصول إمدادات أو قوات إسلامية من قرطبة، اضطرت المدينة للاستسلام للفرنجة(٢).

وعلى الرغم من ذلك فقد قام الأمير الحكم الربضى بمحاولة لاستعادة برشلونة، فيذكر المورخ ابن عذارى أنه أرسل فى سنة ١٩٩هـ جيشاً بقيادة ابن عمه وقائد جيشه عبيد الله بن عبد الله البلنسى الذى التقى عند برشلونة بالحامية العسكرية الفرنجية ورغم هزيمة الفرنجة فى تلك المعركة ومقتل العديد منهم وإعادة الهيبة للجيش الإسلامية فى تلك

---

(1) ابن حيان، قطعة من المقتبس (السفر الثانى، تحقيق د.محمود مكى)، ص١١٧؛ ليفى بروفنسال، نفسه، ص١٤٨-١٤٩؛ سالم، نفسه، ص٢٢٥.

(2) راجع التفاصيل فى: ابن حيان، نفسه، ص١١٦-١١٧؛ ليفى بروفنسال، نفسه، ص١٥٠-١٥١.

المنطقة النائية البعيدة عن العاصمة قرطبة، إلا أنها لم تؤدى إلى إعادة السيطرة الإسلامية على برشلونة(١).

وفاة الأمير الحكم الربضى سنة ٢٠٦هـ:

فى سنة ٢٠٦هـ توفى الأمير الحكم الربضى بعد حياة حافلة بالحوادث الدامية على أرض الأندلس نتيجة لكثرة الفتن والثورات الداخلية فى عهده. ورغم قسوته المفرطة فى معاملة الثوار إلا أن المصادر تشيد بشجاعته وإقدامه وشدة بأسه، فتذكر أنه يشبه الخليفة العباسى المنصور فى توطيد الدولة وقمع الأعداء وتوطأة الملك لعقبه أى لأبنائه من بعده، وتضيف بأنه أول من جنَّد المرتزقة فى الأندلس، واتخذ المماليك وكان يسميهم الخُرس لعجمتهم، واستكثر من الخدم والحرس، وجمع السلاح والعُدة، وكان يباشر الأمور بنفسه، وله عيون تخبره بأحوال الرعية(٢).

---

(1) ابن عذارى، البيان المغرب، ج٢، ص٧٤؛ ليفى بروفنسال، نفسه، ص١٥٣.

(2) المقرى، نفح الطيب، ج١، ص٣٢٦-٣٢٧.

(٤)الأمير عبد الرحمن الأوسط (الثانى) ٢٠٦-٢٣٨هـ

يعتبر عبد الرحمن الأوسط من أشهر أمراء بنى أمية بعد جده مؤسس الدولة الأمير عبد الرحمن الداخل (الأول)، وتعتبر فترة حكمه الطويلة نسبياً من أزهى فترات الحكم فى الأندلس سواء من الناحية السياسية أو الحضارية، وقد تولى إمارة الأندلس عقب وفاة والده الأمير الحكم أواخر شهر ذى الحجة سنة ٢٠٦هـ.

أولاً: أهم المشكلات والثورات الداخلية فى عهده:

رغم أن شخصية الأمير عبد الرحمن الأوسط تميل إلى الاعتدال وتجنح للسلام، وتتجنب الشدة والعنف إلا أن عهده شهد بعض المشكلات والثورات والفتن الداخلية من أهمها ما يلى:

(١) تمرد عبد الله البلنسى[١] (عم والده)

عندما تولى عبد الرحمن الأوسط إمارة الأندلس سنة ٢٠٦هـ، لم يبادر عبد الله البلنسى (عم ابيه) والمستقر ببلنسية إلى مبايعة الأمير الجديد، وبدأ يطمع فى حكم الأندلس، ولم يلبث أن أعلن التمرد والعصيان فى بلنسية سنة ٢٠٧هـ، وجمع أتباعه وزحف بهم نحو كورة تدمير بشرق الأندلس واستولى عليها، ولكنه أصيب هناك بمرض أقعده عن الحركة (مرض الفالج أو الشلل) فحمله أتباعه إلى مدينة بلنسية حيث توفى بعد

---

(١) راجع عن ثورة عبد الله البلنسى: ابن حيان، نفس المصدر السابق، ص٤٠٧-٤٠٩؛ ليفى بروفنسال، نفسه، ص١٧٢-١٧٣.

قليل فى سنة ٢٠٨هـ وعادت بذلك بلنسية وتدمير إلى حظيرة الحكومة المركزية فى قرطبة.

٢- الفتنةوالصراع القبلى بين اليمنية والمضرية بكورة تدمير سنة ٢٠٧هـ:

بدأت الصراعات العصبية أو القبلية تندلع من جديد فى كورة تدمير سنة ٢٠٧هـ، وكثيراً ما كانت تنشب الفتنة بين اليمنية والمضرية لأسباب واهية، وقد استمرت الفتنة بين الطرفين فى بداية عهد الأمير عبد الرحمن الأوسط لمدة سبع سنوات، مما أحدث تخريباً وقلاقل واضطرابات فى إقليم تدمير، وظل الأمير يرسل إليهم الحملات من قرطبة فتعيد الاستقرار والأمن والهدوء، ثم تتكرر الصراعات عقب عودة الجيش الأموى إلى قرطبة، وأخيراً أرسل الأمير إليهم حملة قوية قضت على زعماء الفتنة هناك، وأمر بهدم بلدة آله عاصمة تلك المنطقة والتى انبعثت منها الفتنة، وقام ببناء مدينة جديدة عامرة مكانها هى مدينة مرسية Murcia سنة ٢١٦هـ والتى أصبحت هى حاضرة أى عاصمة الكورة أو الإقليم ومقر الوالى الذى تبعث به الحكومة المركزية بقرطبة(١).

٣- ثورات البربر:

قام البربر بعدة ثورات فى جنوب الأندلس منها ثورة قامت فى سنة ٢١١هـ تزعمها رجل منهم يدعى طوريل الذى ثار بمنطقة تاكرنا قرب

---

(١) ابن عذارى، نفسه، ج٢، ص٨١؛ بروفنسال، نفسه، ص١٧٣.

الجزيرة الخضراء، فأرسل إليه الأمير عبد الرحمن فرقة، قضت على ثورته وتم قتله، وانهت فساده بتلك المنطقة(١).

كذلك اندلعت ثورة خطيرة للبربر فى ماردة بغرب الأندلس تزعمها محمود بن عبد الجبار سنة ٢١١هـ وانضم إليه أحد زعماء المولدين هناك وهو ابن مرتين، وقتلوا والى المدينة مروان الجليقى وتحصنوا بأحد حصون تلك المنطقة، وظل الأمير عبد الرحمن يرسل إليهما بالحملات من قرطبة دون نتيجة تذكر، ولم يتمكن من إخضاع مارده والقضاء على ثورتها إلا فى سنة ٢١٩هـ، واضطر الثوار للهرب حيث قتل ابن مرتين على يد قوات الأمير عبد الرحمن، أما ابن عبد الجبار فقد هرب إلى مملكة جليقية والتجأ إلى ملكها الفونسو الثانى، وانتهى الأمر بمقتله هو أيضاً بأمر ملك جليقية سنة ٢٢٥هـ عندما علم باتصاله سراً بالأمويين فى قرطبة لكى يدخل فى طاعتهم(٢).

وعلاوة على ذلك قام البربر بثورة أخرى فى جبال الجزيرة الخضراء فى سنة ٢٣٦هـ تزعمها حبيب البرنسى أو البرانسى، وانضم إليه بعض أهل الشر، وعاثوا فساداً فى تلك المنطقة، فأرسل إليهم الأمير عبد الرحمن جيشاً من قرطبة، وقبيل وصول الجيش ثار سكان تلك المنطقة من

---

(١) ابن عذارى، نفسه، ج٢، ص٨٢.

(٢) راجع: ابن حيان، نفسه، ص٣٦؛ وما بعدها؛ ليفى بروفنسال، نفسه، ص١٧٨ وما بعدها؛ سالم، نفسه، ص٢٣١-٢٣٢.

البربر على حبيب البرنسى واستولوا على حصنه الذى يتحصن بداخله، فاضطر للهرب والاختفاء بين الناس، بينما تشتت أتباعه(١).

٤- ثورة طليطلة بزعامة هاشم الضَّراب:

لم تهدأ الثورات فى طليطلة منذ قيام الدولة الأموية كما سبقت الإشارة، فقد عاد أهلها للتمرد والعصيان وإعلان الثورة على الحكومة المركزية للأمويين فى قرطبة بزعامة هاشم الضراب الذى كان قد سكن العاصمة قرطبة بعد قيام الامير الحكم الربضى بالقضاء على الثوار بها فاشتغل فى حى الحدادين فكان يضرب بالمعول أجيراً عند أحد الحدادين بقرطبة ولذا عرف بالضراب، ثم هرب منها والتجأ إلى بلده طليطلة، والتف من حوله بعض المتمردين وتزعم الثورة سنة ٢١٤هـ، وأخذ يغير على العرب والبربر فى المناطق المحيطة بطليطلة وعاث فساداً ونهباً فيها، وزاد نفوذه هناك، فأرسل إليه الأمير عبد الرحمن حملة دون أن تنجح فى القضاء عليه، وأخيراً بعث إليه بجيش آخر فى سنة ٢١٦هـ بقيادة ابن رستم والى الثغر، ودارت الحرب بين الطرفين، وانتهت بهزيمة ومقتل الضراب ومعظم أعوانه(٢).

---

(1) ابن عذارى، نفسه، ص٨٩-٩٠؛ سالم، نفسه، ص٢٣١؛ بروفنسال، نفسه، ص١٧٣-١٧٤.

(2) ابن عذارى، نفسه، ص٨٣؛ ليفى بروفنسال، نفسه، ص١٧٤؛ سالم، نفسه، ص٢٣٠-٢٣١.

٥- مشكلة أو فتنة المستعربين المتطرفين بقرطبة:

المستعربون (بالإسبانية Mozarabes) هم النصارى الإسبان الذين خضعوا للدولة الإسلامية فى الأندلس ولكنهم تعربوا أى أجادوا العربية وكانوا على إلمام كبير بالثقافة العربية، وعاملتهم السلطات الإسلامية الحاكمة بالتسامح، واستعانت بهم فى الإدارة والجيش والشئون المالية فى الدولة، ولذا كانت العلاقات بين المسلمين وأهل الذمة فى الأندلس يسودها المودة والوئام والتسامح والبعد عن التعصب الدينى، وتمتع المستعربون فى عهد الأمير عبد الرحمن الأوسط بحياة هانئة ومزدهرة(١).

غير أنه فى أواخر عهد الأمير عبد الرحمن الأوسط نشبت مشكلة أو فتنة تزعمها جماعة من القساوسة والرهبان المتعصبين والمتطرفين فى العاصمة قرطبة مثل إيلوخيو Eulogio وصديقه البارو Alvaro، وغيرهم من المتطرفين المسيحيين الذين لم ينظروا بعين الارتياح إلى هذا الإقبال المتزايد من الشباب المسيحى على الثقافة العربية وإهمالهم للغة اللاتينية (لغة الكتاب المقدس أو الإنجيل)، وعندما فشلوا فى إيقاف هذا التيار بين المستعربين من المسيحين الإسبان بدأوا يتحولون إلى مهاجمة الإسلام والتطاول على النبى صلى الله عليه وسلم، فقد حدث (سنة ٢٣٥هـ) أن دار جدال بقرطبة بين أحد قساوسة كنيسة قرطبة وهو برفكتو

---

(١) راجع؛ ليفى بروفنسال، نفسه، ص١٩١-١٩٢.

(Perfecto) وبعض المسلمين حول فضائل المسيح عيسى عليه السلام والرسول عليه الصلاة والسلام ثم تطور الحوار إلى تهور برفكتو وفقدانه صوابه وبدأ فى الاساءة لرسول الله وللإسلام، فاقتادوه إلى القاضى واستمع لشهادتهم ورغم أنه أنكر ما نسبوه إليه لعل فيه إنقاذه، إلا أن الاتهام ثبت عليه وتم سجنه إلى أن حكم عليه القاضى بالموت ونفذ ذلك يوم عيد الفطر (الأول من شوال سنة ٢٣٥هـ) (١).

وعقب ذلك تكررت حالات السب والتجريح فى الإسلام والنبى صلى الله عليه وسلم فكان القاضى يطلب من المتهمين بذلك إنكار ما نسب إليهم والتوبة ولكنهم يصممون على موقفهم، فلا يجد أمامه إلا الحكم بإعدامهم، وفى أقل من شهرين تم إعدام أحد عشر مستعرباً من النصارى الإسبان المتعصبين المتطرفين الذين كانوا ينظرون إلى هذا العمل على أنه استشهاد فى سبيل المسيحية، كما تم الحكم على الفتاتين فلورا **Flora** وماريا **Maria** بالإعدام أيضاً بنفس التهمة لأنهما أعادا السب والتجريح أمام القاضى(٢).

وقد واجه الأمير عبد الرحمن الأوسط هذه الفتنة الخطيرة التى تهدد الوئام والسلام الاجتماعى فى الأندلس بالحكمة والعقلانية والصبر، بأن عقد مجلساً دينياً أو كنسياً برئاسة ريكافريدو **Recafredo** أسقف اشبيلية

---

(1) راجع التفاصيل فى: دوزى، المسلمون فى الأندلس، ج١، ترجمة حسن حبشى، ص٩٥ وما يليها؛ بروفنسال، نفسه، ص١٩٢-١٩٣.

(2) بروفنسال، نفسه، ص١٩٤.

وحضره الأساقفة من مختلف أقاليم الأندلس وكان يمثل الأمير عبد الرحمن أحد رجال البلاط (الحاشية) ويدعى جومث Gomez بن أنطونيان وانتهى الاجتماع الكنسى إلى الإعلان بأن هذه الأعمال الاستشهادية التى يقوم بها المستعربون المتعصبون إنما هى بمثابة انتحار، وأنها تخالف تعاليم المسيحية السمحة، وأن الكنيسة تستنكر تلك الحركة المتطرفة التى يتزعمها إيلوخيو وغيره من الرهبان والقساوسة المتعصبين.

ونتج عن ذلك هدوء تلك الفتنة نسبياً أواخر عهد الأمير عبد الرحمن الأوسط، وإن كانت لم تنته تماماً من الأندلس إلا فى سنة ٢٤٥هـ فى عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن الأوسط الذى أمر باعتقال الراهب إيلوخيو بعد أن عاد لزعامة أعمال السب والتجريح والتطرف والتعصب من جديد، ثم صدر الحكم بإعدامه فى نفس السنة (٢٤٥هـ/٨٥٩م) (١).

ثانياً: بعض المظاهر الحضارية فى عهده:

أ- تأثيرات الحضارة العراقية فى الأندلس:

ازدهرت الحضارة العباسية فى العاصمة بغداد وبلاد العراق بصفة عامة ازدهاراً كبيراً منذ عهد الخليفة أبى جعفر المنصور العباسى وانتهائه من تأسيس مدينة بغداد سنة ١٤٩هـ، والتى أصبحت منذ ذلك الوقت عاصمة الخلافة العباسية ومحط أنظار المسلمين شرقاً وغرباً، ومركزاً

---

(١) راجع: بروفنسال، نفسه، ص١٩٤-١٩٦؛ سالم، نفسه، ص٢٤١-٢٤٢؛ العبادى، نفسه، ص١١٢-١١٤؛ مونس، معالم، ص٢٨٣.

للتجارة العالمية، وغمرت أسواقها السلع والبضائع من شتى أنحاء العالم نتيجة للتطور الاجتماعى وانتشار حياة الترف والبذخ فى المجتمع العباسى ببغداد، وعلاوة على ذلك كانت بغداد أحد المراكز المهمة للثقافة والعلم، ووفد عليها العلماء وطلاب العلم والتجار وأهل الحرف والصناعات، وشجع خلفاء الدولة العباسية تلك النهضة مما كان له أثره فى ازدهار الحضارة الإسلامية وخاصة فى العصر العباسى الأول(١).

وعندما تولى الأمير عبد الرحمن الأوسط حكم الأندلس سنة ٢٠٦هـ كان ميالاً لمجالسة العلماء وأصحاب المواهب الفنية حيث أنه كان أميراً مثقفاً مستنيراً له اهتمام بالعلوم الشرعية والفلسفة كما تذكر المصادر(٢)، ولذا لم ينعزل عن تلك الحضارة العراقية المزدهرة عند العباسيين رغم العداء السياسى معهم، وحرص على الاستفادة منها، ونتيجة لتشجيعه توافد التجار من العراق على الأندلس فى عهده، وبدأت البضائع العراقية الثمينة تملأ أسواق قرطبة وحواضر الأندلس الأخرى، فتذكر المصادر أنه فى عهده دخلت النفانس وغرائب الأشياء وسيق ذلك إليها من بغداد، ومن ذلك عقد الشفا الشهير وكان لزبيدة (زوجة الخليفة هارون الرشيد) (٣)،

---

(1) العبادى، نفسه، ص١٠٠-١٠١.

(2) المقرى، نفسه، ج١، ص٣٣٢.

(3) ابن عذارى، نفسه، ج٢، ص٩١.

كما أحضر من العراق بعض الكتب أو المؤلفات فى علم الفلك (علم النجوم) خاصة لعلماء من بلاد الهند والسند[١].

كذلك هاجر من العراق إلى الأندلس فى عهده المغنى والموسيقى العراقى الشهير زرياب سنة ٢٠٦هـ، فركب الأمير بنفسه لاستقباله، وبالغ فى إكرامه ومنحه الاقطاعات وأجرى عليه الأرزاق، وأصبح من المقربين له فى قصر الإمارة، ويرجع الفضل لزرياب فى نقل العديد من التأثيرات الحضارية العراقية إلى الأندلس[٢].

ففى فن الغناء والموسيقى: أسس ما يشبه المدرسة لتعليم هذا الفن لأصحاب المواهب من الأندلسيين والأندلسيات خاصة من الجوارى، وعلم الأندلسيين طريقة ابتداء الغناء وكيفية إنهائه، وجعل مضراب العود أو الريشة من قوادم النسر عوضاً عن قطعة الخشب، مما كان له أثره فى نقاء الصوت وسلامة الوتر، وهو أول من أنشأ الفرق الموسيقية التى تجمع بين العازفين والمنشدين، وأقام الستارة أو المسرح الذى تجلس عليه الفرقة الموسيقية[٣].

وفى المطبخ أو فن الطهى: علم الأندلسيين طرق الطهى العراقية وأدخل عدة أصناف من الأطعمة أو المأكولات البغدادية عرفت باسمه، كما

---

(1) بروفنسال، نفسه، ص٢١٥.

(2) المقرى؛ نفسه، ج١، ص٣٢٩.

(3) راجع ابن حيان، نفسه، ص٣١٧؛ ليفى بروفنسال، نفسه، ص٢١٤؛ العبادى، نفسه، ص١٠٣؛ سالم، قرطبة، ج١، ص٥٧.

علمهم طريقة ترتيب المائدة واستخدام الأوانى أو الكئوس الزجاجية بدلاً من الفضية أو الذهبية، واستعمال الملاعق بدلاً من الأكل بالأيدى.

أما فى مجال الزى أو الملابس: فقد علم الأندلسيين كيفية تصفيف الشعر برفعه خلف الأذن حتى لا تنسدل على جباههم، وأوصاهم بارتداء الملابس المناسبة لكل فصل من فصول السنة، ففى فصل الصيف يتم ارتداء الملابس القطنية والكتانية وفى فصل الشتاء ترتدى الملابس الصوفية والمبطنة والمعاطف الجلدية أو المصنوعة من الفراء. وبذلك يمكن القول بأن زرياب تمكن من إحداث نقلة أو طفرة حضارية ملموسة فى المجتمع الأندلسى(١).

ب- الإصلاحات الإدارية والأعمال العمرانية:

أشارت المصادر التاريخية إلى الإصلاحات الإدارية التى قام بها الأمير عبد الرحمن الأوسط فتذكر أنه زاد من عدد الوزراء فى دولته وكان لكل واحد منهم اختصاصات معنية، وخصص لهم قاعة أو مكاناً داخل قصره ليجتمع بهم فيه يسمى بيت الوزارة، كما أنه أول من رتب للوزراء موعداً للحضور إلى قصر الإمارة كل يوم للتشاور معهم بشأن أمور الدولة، وكان يرأس الوزراء ما يعرف باسم الحاجب(٢).

---

(1) راجع ابن حيان، نفسه، ص٣١٩ وما يليها؛ ليفى بروفنسال، نفسه، ص٢١٤-٢١٥؛ العبادى، نفسه، ص١٠٣-١٠٤؛ مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس، ص٢٩٠.

(2) ابن حيان، نفسه، ص٢٩٤-٢٩٥؛ بروفنسال، نفسه، ص٢٠٧-٢٠٨..

كذلك قام بتنظيم الشرطة- أو الأمن الداخلى فى العاصمة قرطبة وذلك بتحديد اختصاصات صاحب السوق أو المحتسب الذى يشرف على الأسواق، كما نظم الشرطة ووظيفة صاحب الشرطة للأشراف على الأمن الداخلى، كما أنشأ وظيفة جديدة فى العاصمة قرطبة هى صاحب المدينة الذى ينوب عن الأمير فى حالة غيابه عن العاصمة، ويشرف على المرافق العامة وحفظ الأمن والنظام داخل المدينة وتنفيذ الأحكام التى يُصدرها القاضى والقبض على الجناة والإشراف على السجون(١).

وعلاوة على ذلك قام الأمير عبد الرحمن الأوسط بالعديد من أعمال العمران أى البناء والتشييد، فقد شيد عدة قصور وجلبت إليها المياه وبنى العديد من الجوامع فى الأندلس ووسع جامع قرطبة فزاد فيه رواقين وأسس داراً للسكة (سك العملة) فى العاصمة قرطبة واصلح الرصيف بها الواقع غلى ضفة نهر الوادى الكبير للحماية من السيول أو تيار المياه الجارف، وأحاط مدينة إشبيلية بسور حصين من الحجارة عقب غارة للنورمانديين عليها وأقام بها مسجداً جامعاً، وأسس مدينة مرسية سنة ٢١٦ه كما سبقت الإشارة(٢).

---

(1) بروفنسال، نفسه، ص٢٠٨، العبادى، نفسه، ص١١٦-١١٧؛ كمال أبو مصطفى، أضواء على الحياة اليومية فى اشبيلية، بحث منشور بمجلة كلية الآداب بجامعة طنطا سنة ٢٠١٣، ص٥٥٣-٥٥٤.

(2) ابن عذارى نفسه، ج٢، ص٩١؛ العبادى، نفسه، ص١١٧؛ ليفى بروفنسال، نفسه، ص٢٠٩.

ثالثاً: سياسته الخارجية وموقفه من الخطر النورماندى:

أ- موقفه من الممالك الاسبانية المسيحية فى الشمال:

سار الأمير عبد الرحمن الأوسط على نفس نهج سياسة والده الحكم الربضى فى الاهتمام بحماية ثغور الأندلس الشمالية، والدفاع عنها ضد خطر الممالك الإسبانية المسحية، ولذا أرسل إلى هناك عدة حملات من أهمها صائفة بعث بها فى سنة ٨ ٠ · بقيادة عبد الكريم بن مغيث ضد أراضى ألبه (Alava) والقلاع (Castillas)، واقتحم تلك المنطقة بقواته التى قامت بأعمال النهب واحراق المحاصيل فى القرى دون مقاومة تذكر، ثم عادت الحملة ظافرة غانمة إلى قرطبة(١).

كذلك خرجت صائفة أخرى فى سنة ٢١٠ه بقيادة عبيد الله بن عبد الله البلنسى الملقب بصاحب الصوانف واقتحم ألبه مرة أخرى والتقى بقوات نصارى جليقية (أشتوريش) وأنزل بهم الهزيمة عند سفح جبل يسمى جبل المجوس، وقتل العديد منهم فى غزوة عرفت "بغزوة الفتح"(٢).

ولم يغفل أيضاً الأمير عبد الرحمن عن إرسال عدة حملات إلى مملكة البشكنس (أو نافار أو نبَّره) الإسبانية فى الشمال، فقاد بنفسه حملة

---

(١) ابن حيان، نفسه، ص٤١٨؛ بروفنسال، نفسه، ص١٧٥-١٧٦.

(٢) نفس المصدر السابق، ص٤١٩-٤٢٠.

سنة ٢٢٧هـ فاقتحمها: وعاث فيها نسفاً وسبياً وعاد ظافراً غانماً إلى قرطبة، ثم قاد حملة ثانية فى العام التالى (سنة ٢٢٨هـ) إلى بمبلونه عاصمة مملكة البشكنس، وتوغل فيها، واستطاع أن ينزل الهزيمة بقوات غرسيه **Garcia** وقيل فرتون أمير البشكنس وحلفائه بنى قسى المولدين المتمردين بالثغر الأعلى، وقتل فى تلك الحملة قائد البشكنس فرتون، وحملت راسه هو والعديد من كبار فرسانهم إلى العاصمة قرطبة[١].

ب- الخطر البحرى النورماندى على سواحل الأندلس:

النورمانديون أو الأردمانيون كما تسميهم المصادر العربية هم سكان شبه جزيرة اسكنديناوه فى أقصى الشمال الغربى من أوروبا ويطلق عليهم أيضاً اسم الفايكنج أو رجال الشمال، وهم من قراصنة البحر الذين يقومون بأعمال السلب والنهب والتخريب فى المدن الساحلية خاصة التى تفتقر إلى وسائل الدفاع والحماية البحرية والقواعد البحرية والأساطيل، سواء أكانت فى الغرب الأوروبى أو سواحل إسبانيا المسيحية والإسلامية (الأندلس) [٢].

وقد ظهر أسطول النورمانديين أولاً فى أواخر سنة ٢٢٩هـ عند سواحل جليقية وعندما واجه مقاومة، اتجه جنوباً نحو سواحل الأندلس الغربية المطلة على المحيط الأطلنطى، حيث وصلت سفنهم إلى سواحل

---

(١) ابن حيان، نفسه، ص٤٤٧-٤٤٩؛ بروفنسال، نفسه ١٨١ وما يليها.

(٢) ليفى بروفنسال، نفسه، ص١٨٤.

مدينة أشبونة بغرب الأندلس فى ذى الحجة سنة ٢٢٩هـ، وظلت هناك ثلاثة عشر يوماً ودارت هناك ثلاثة معارك بينهم وبين المسلمين من سكانها، واضطروا فى أعقابها إلى مغادرتها ومواصلة الإبحار جنوباً، فى الوقت الذى بعث فيه ابن حزم والى مدينة أشبونة برسالة إلى الأمير عبد الرحمن بقرطبة يخبره فيها بالخطر النورماندى على سواحل الأندلس الغربية، وقام الأمير بدوره بتحذير ولاته على أقاليم السواحل وأن يستعدوا ويحتاطوا لمواجهتهم(١).

وفى تلك الأثناء كان أسطول النورمانديين قد وصل إلى مصب نهر الوادى الكبير فى أوائل ٢٣٠هـ واستولى النورمانديون على ميناء قادس وعاثوا فيه نهباً وتخريباً، ثم دخلت بعض سفنهم فى النهر، واستولت على بعض القرى الواقعة عليه قرب إشبيلية مثل جزيرة قبطيل وقرية قورة مواصلين أعمال التخريب والنهب، ووصلوا أخيراً إلى مدينة إشبيلية التى نزلوا فيها، وقاموا بأعمال النهب والقتل لمدة أسبوع، وسبوا النساء وأحرقوا جامع اشبيلية. وهنا استنفر الأمير عبد الرحمن قواته للجهاد، وأرسلها على الفور براً إلى اشبيلية ولحقت بها سفن الأسطول الأموى من الساحل الجنوبى حيث اشتبكت القوات الإسلامية فى معركة حاسمة مع قوات النورمانديين عند قرية طلياطة (قرب إشبيلية) وانتهت بانتصار ساحق للمسلمين ومقتل العديد من النورمانديين كما أحرق من مراكبهم

---

(١) راجع التفاصيل فى: ابن حيان، نفسه، ص٥٠٤ وما بعدها. بروفنسال، نفسه، ص١٨٤ وما بعدها؛ سالم، تاريخ المسلمين، ص٢٣٥-٢٣٧.

ثلاثون مركباً، واضطروا للانسحاب من إشبيلية بعد أسر بعضهم بينما فر الباقون فى سفنهم فى المحيط، وزال خطرهم وانقطعت أخبارهم.

وقد نبهت تلك الغارة النورماندية الأمير عبد الرحمن الأوسط لضعف السواحل الغربية للأندلس وعدم وجود قواعد بحرية لها، ولذا اهتم بتحصينها وتوفير وسائل الدفاع البحرى وإنشار العديد من دور صناعة السفن هناك خاصة فى اشبيلية وقادس وأشبونة[١].

ج- علاقته الدبلوماسية مع الدولة البيزنطية:

يتميز عهد الأمير عبد الرحمن الأوسط بقيام علاقات دبلوماسية لأول مرة بين الأمويين فى الأندلس وبين الدولة البيزنطية وذلك بسبب المصالح السياسية والعداء المشترك للدولة العباسية، فالدولة العباسية هى التى قضت على الدولة الأموية فى المشرق، ولذا فإن هناك عداء قديم بين الأمويين والعباسيين، ومن ناحية أخرى قام الجيش العباسى فى عهد الخليفة المعتصم بالله بالهجوم على مدينة عمورية مسقط رأس الامبراطور البيزنطى تيوفيل (ثيوفيلوس)، وخرب حصنها، ومن هنا بدأ التقارب بين الأمويين والبيزنطيين، وبدأت علاقات دبلوماسية بين الطرفين.

ففى سنة ٢٢٥هـ وصلت سفارة من القسطنطينية عاصمة الروم (البيزنطيين) إلى العاصمة قرطبة على رأسها قرطيوس الرومى الذى يجيد

---

(١) بروفنسال، نفسه، ص١٨٧؛ سالم، نفسه، ص٢٣٧-٢٣٨.

العربية بعثه الامبراطور تيوفيل إلى الأمير عبد الرحمن الأوسط، وكان المبعوث البيزنطى يحمل الهدايا للأمير ومعه رسالة، وأورد فى رسالته أنه يطلب التحالف معه عسكرياً ضد العباسيين(١)، الذين اغتصبوا الحكم من أسرته، ويحرضه على استرجاع حقه وملك آبائه وأجداده.

كما يطلب منه مساعدته فى طرد البحريين الأندلسيين الذين استولوا على جزيرة كريت، وكذلك معاونته فى محاربة الأغالبة- حلفاء العباسيين وأتباعهم- الذين سيطروا على جزيرة صقلية(٢).

وقد استقبل الأمير عبد الرحمن مبعوث الامبراطور البيزنطى استقبالاً حافلاً فى العاصمة قرطبة، وتقبل هدايا الامبراطور، وكافأه على هديته بأحسن منها، وبعثها مع سفارة أندلسية من قرطبة على رأسها الشاعر الأديب يحيى بن حكم الملقب بالغزال، وحمل رسالة من الأمير رداً على رسالة الامبراطور البيزنطى، ولم يتضمن الرد أى جوانب إيجابية، ففيما يتعلق بالعباسيين فهو يثق بأن الله تعالى سوف يجازيهم عما فعلوه نحو الأمويين أجداده، وبالنسبة للبحريين الأندلسيين فى كريت فهم خرجوا عن طاعته وليس مسئولاً عن أفعالهم، وللامبراطور الحرية فى عقابهم وطردهم منها، أما الأغالبة فى إفريقية الذين سيطروا على معظم صقلية

---

(١) ابن حيان، نفسه، ص٤٣٠-٤٣١.

(٢) ابن حيان، نفسه، ص٤٣٢-٤٣٣.

ونشاطهم البحرى هناك، فإنه لا يمكن التعاون معه ضدهم لأنه يجاهدون فى سبيل إعلاء كلمة الله ونصرة الإسلام(١).

وقد استقبل الامبراطور تيوفيل سفارة أمير الأندلس وتسلم الرسالة والهدايا التى كانت بصحبة الغزال، وأعجب الامبراطور بفصاحته وذكائه، كما حظى بإعجاب ممن بالبلاط أو القصر ومنهم الامبراطورة تيودورا وابنها الأمير ميشيل ولى العهد، ثم عاد إلى بلده الأندلس بعد انتهاء مهمته الدبلوماسية(٢).

---

(١) نفس المصدر، ص٤٣٣-٤٣٤؛ بروفنسال، نفسه، ص٢٠٤؛ العبادى، نفسه، ص١١١.

(٢) ابن حيان، نفسه، ص٣٦١ وما بعدها؛ بروفنسال، نفسه، ص٢٠٥.

٥- مرحلة ضعف الإمارة الأموية فى الأندلس
(عصر دويلات الطوائف الأولى)
٢٣٨-٣٠٠هـ

من الملاحظ أن الفترة التى تلت عهد الأمير عبدالرحمـــن الأوسط (ت سنة ٢٣٨هـ) تتميز بكثرة الثورات ضد الحكومة الأموية المركزية بقرطبة، وأدى هذا بالتالى الى إضعاف الدولة، وقيام زعماء الثورات من ذوى العصبية والنفوذ فى مناطقهم بالاستقلال بها عن قرطبة ومن أمثلة ذلك نجد من المولدين أو المسالمة استقل بنو حفصون وقاعدتهم حصن ببشتر بالمناطق الجنوبية بالأندلس بكورة رية (مالقة)، كما استقل بنو قسىّ المولدون بسرقسطة والثغر الأعلى، بينما استقل بنو مروان الجليقى ببطليوس بغرب الأندلس، أما من البربر: فقد استقل بنو ذى النون بطليطلة قاعدة الثغر الأدنى، ومن العرب: استقل بنو حجاج بإشبيلية[١].

وقد توالى على حكم الأندلس خلال تلك الفترة العصيبة من تاريخ الأندلس والتى يطلق عليها عصر دويلات الطوائف الأولى (من ٢٣٨ إلى ٣٠٠هـ) ثلاثة من أمراء الدولة الأموية هم:

١- محمد بن عبد الرحمن الأوسط (٢٣٨-٢٧٣هـ).

٢- المنذر بن محمد (٢٧٣-٢٧٥هـ).

٣- عبد الله بن محمد (٢٧٥-٣٠٠هـ).

---

(١) انظر: العبادى، نفسه، ص١٢٠-١٢١.

ولعل أهم حوادث ومميزات تلك الفترة (عصر الطوائف الأول) ما يلى:

أولاً: ثورة أهل طليطلة سنة ٢٣٨هـ:

عقب تولى الأمير محمد الحكم فى سنة ٢٣٨هـ ثار أهل طليطلة فى نفس السنة، وحاولوا الاستقلال بمدينتهم عن سلطة الحكومة المركزية بقرطبة وشجعهم على ذلك أن معظم سكان المدينة من عنصر المولدين وحصانة مدينتهم، وبعدها نسبياً عن العاصمة قرطبة، فأعلنوا التمرد، وتمكنوا من اعتقال واليهم، وطلبوا من الأمير محمد إطلاق سراح رهائنهم الذين يحتجزهم فى قرطبة، فاضطر الأمير إلى إطلاق سراحهم، وفى مقابل ذلك أفرجوا عن الوالى. ورغم ذلك واصل أهل طليطلة العصيان والثورة فأغاروا على قلعة رباح المجاورة لهم، وأجبروا أهلها والحامية العسكرية بها على مغادرتها، وعلى هذا أرسل إليهم الأمير محمد عدة حملات وأنزل بهم الهزيمة رغم استعانتهم بقوات من نصارى جليقية، وقتل أعداداً كبيرة منهم، واضطروا فى نهاية الأمر إلى الاستسلام مقابل الأمان فى سنة ٢٤٥هـ، وبذلك خضعت طليطلة(١).

ثانياً: الخطر النورماندى:

تذكر المصادر أن الخطر النورماندى عاد إلى الظهور فى عهد الأمير محمد، ففى سنة ٢٤٥هـ اتجهت سفن النورمانديين إلى الساحل الغربى للأندلس المطل على المحيط الأطلنطى، وكان عددها ٦٢ سفينة؛

---

(١) راجع: ابن عذارى، نفسه، ج٢، ص٩٤-٩٦؛ سالم، تاريخ المسلمين، ص٢٤٤ وما يليها.

غير أنهم واجهوا مقاومة من المسلمين حيث استعدوا لهم بوسائل الدفاع الساحلية والقواعد البحرية وسفن الأسطول الأندلسى التى كانت ترابط فى تلك المنطقة الغربية فى أعقاب الغارة النورماندية الأولى فى عهد الأمير عبد الرحمن الأوسط، وقد التقت السفن الإسلامية بمركبين من مراكب النورمانديين عند ساحل باجه "فأخذوهما بما كان فيهما من الذهب والفضة والسبىِ والعُدة"، بينما مرت بقية مراكبهم حتى وصلت إلى مصب نهر إشبيلية (الوادى الكبير) فى الدحيط فأخرج إليهم الأمير محمد الجيوش واستنفر الناس من كل ناحية بقيادة الحاجب عيسى بن الحسن، ثم اتجهت مراكب النورمانديين بعد ذلك إلى الجزيرة الخضراء فاستولوا عليها وأحرقوا مسجدها الجامع، ثم أبحروا إلى ريف أى ساحل المغرب الأقصى، وعاثوا فيه نهباً وتخريباً، وعادوا فى أعقاب ذلك إلى ريف الأندلس، ونزلوا بساحل تدمير (مرسية) بشرق الأندلس، ثم غادروا سواحل الأندلس الشرقية واتجهوا إلى سواحل الفرنجة، فأقاموا بها فصل الشتاء، وغادروها إلى سواحل شذونة بجنوب غرب الأندلس حيث التقت بهم هناك سفن الأمير محمد، وتمكنت من إصابته مركبين للنورمانديين وغنموا ما بهما من أموال واضطرت بقية المراكب إلى الانسحاب(١).

---

(١) راجع: ابن عذارى، نفسه، ج٢، ص٩٦-٩٧؛ مونس، معالم، ص٣٠٠-٣٠١.

<u>ثالثاً: ثورة بنى مروان الجليقى فى مارده سنة ٢٥٤هـ:</u>

فى سنة ٢٥٤هـ أعلن أهل مارده بغرب الأندلس الثورة وتزعمهم أحد المولدين ويدعى عبد الرحمن بن مروان الجليقى، وكان والده مروان والياً على مدينة ماردة فى عهد الأمير عبد الرحمن الأوسط، غير أن ابنه عبد الرحمن لم يستمر على الولاء والطاعة للحكومة الأموية المركزية فى قرطبة، فجمع حوله الأتباع خاصة من عنصر المولدين وأعلن التمرد والثورة فى عهد الأمير محمد، مما اضطره إلى الخروج على رأس حملة من قرطبة اتجهت إلى مارده فى سنة ٢٥٤هـ، وقام بمباغتة أهلها حيث أظهر فى البداية أن هدفه طليطلة، وقد حاصر الثوار بمدينة مارده حصاراً شديداً ودارت الحرب بين الطرفين، واضطر الثوار فى النهاية إلى الاستسلام مقابل الأمان، وأن يخرج زعماء الثورة وعلى رأسهم عبد الرحمن الجليقى وأسرته إلى العاصمة قرطبة، وأمر بهدم سور المدينة ولم يبق إلا القلعة لتكون مقراً لوالى المدينة الأموى(١).

ولكن الجليقى سرعان ما عاود العصيان فهرب من قرطبة سنة ٢٦١هـ وأعلن التمرد مع بعض أتباعه، واستقروا بقلعة الحنش قرب ماردة فحاصره الأمير محمد حصاراً شديداً حتى نفذ منهم الماء، واضطر إلى طلب الأمان، فصفح عنه الأمير وسمح له بسكنى بطليوس بغرب الأندلس وكانت آنذاك مجرد قرية، فأقام بها، ولكنه أخذ فى تحصينها معلناً الثورة

---

(١) ابن عذارى، نفسه، ج٢، ص١٠٠؛ بروفنسال، نفسه، ص٢٤٠-٢٤١.

مرة أخرى واستطاع أن ينتصر على حملة الأمويين بقيادة الوزير هاشم بن عبد العزيز سنة ٢٦٢هـ، الذى وقع فى الأسر، فأرسل الأمير حملة ثانية بقيادة ابنه المنذر بن محمد سنة ٢٦٣هـ الذى اتجه أولاً نحو ماردة، وعندما علم الجليقى بذلك قام باخلائها والانسحاب بأتباعه إلى مملكة جليقية والتجأ إلى حليفه الفونسو الثالث ملك جليقية، ثم اختلف معه، وعاد إلى بطليوس، وفى النهاية اضطر الأمير محمد إلى قبول الأمر الواقع وترك له حكمها وتدبير أمورها واستمر هذا الوضع فى عهد ولديه المنذر بن محمد ثم الأمير عبد الله، حيث كان عبد الرحمن الجليقى شبه مستقل بحكم بطليوس، ويتبع من الناحية الشكلية الحكومة الأموية المركزية فى قرطبة[١].

رابعاً: ثورة بنى حفصون فى ببشتر سنة ٢٦٧هـ:

تزعم تلك الثورة عمر بن حفصون، وهو من مسالمة الذمة أو المولدين أى من المسلمين الجدد، لأن جده جعفر المعروف بالإسلامى أسلم فى عهد الأمير الحكم الربضى، وينتمى إلى أسرة إسبانية الأصل تمتعت بالثراء فى بلدة تاكرنا من أعمال رنده بجنوب الأندلس.

وقد استغل عمر بن حفصون سوء أوضاع عنصر المولدين فى جنوب الأندلس من عدم مساواتهم بالعرب، ومعاناتهم من كثرة الضرائب والتشدد فى جبايتها، علاوة على الاضطرابات التى سادت تلك المنطقة

---

(١) ابن عذارى، ثغر. ص١٠٢-١٠٣؛ بروفنسال، نفسه، ص٢٤١-٢٤٢.

الجبلية البعيدة عن قرطبة، وتزعم الثورة سنة ٢٦٧هـ متخذاً من قلعة ببشتر (Bobastro) بكورة رية (مالقة) مركزاً لثورته فى عهد الأمير محمد، الذى أرسل إليه جيشاً من قرطبة لإخضاعه، ولكن الجيش الأموى تعرض للهزيمة مما ساعد على ازدياد نفوذ ابن حفصون فى تلك المنطقة والتف من حوله العديد من الأتباع فى حصنه المنيع ببشتر، ولم ييأس الأمير محمد فبادر بإرسال حملة أخرى قامت بمحاصرة ابن حفصون حصاراً شديداً واجبرته على طلب الصلح والأمان والدخول فى الطاعة، فاقام بالعاصمة قرطبة وصار ضمن قادة الجيش الأموى، ولكنه هرب من قرطبة سنة ٢٧١هـ وعاود العصيان والثورة، فحاصره جيش الأمير محمد فى ببشتر مرة أخرى بقيادة ابنه المنذر سنة ٢٧٣هـ غير أن وفاة والده الأمير محمد أجبرته على فك الحصار، والعودة سريعاً إلى العاصمة قرطبة ليتولى حكم الأندلس فى نفس السنة، فأرسل إليه الأمير المنذر عدة حملات سنة ٢٧٤هـ دون أن ينجح فى القضاء عليه، وظلت ثورة بنى حفصون مشتعلة حتى وفاة الأمير عبد الله بن محمد سنة ٣٠٠هـ(١).

---

(١) راجع التفاصيل فى: ابن القوطية، نفسه، ص١٠٣ وما يليها؛ ابن عذارى، نفسه، ج٢، ص١٠٤-١٠٦، ١١٧-١١٨؛ بروفنسال، نفسه، ص٢٤٣ وما يليها؛ العبادى، نفسه، ص١٢٢-١٢٣.

الفصْلُ السادس

عصر الخلافة الأموية فى الأندلس

الفصل السادس
عصر الخلافة الأموية فى الأندلس
(١)
الخليفة عبد الرحمن الثالث (الناصر لدين الله)
(٣٠٠-٣٥٠هـ)

أ- نسبه وكيفية توليه الحكم:

هو عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن الأوسط، وقد بويع بإمارة الأندلس فى اليوم الذى توفى فيه جده الأمير عبد الله وذلك فى مستهل ربيع الأول سنة ٣٠٠هـ، وكان جده يفضله على سائر بنيه، ويرشحه لتولى الحكم من بعده لمواهبه الحربية والإدارية وحزمه وشجاعته، ولذا سمح له وحده دون أعمامه بالإقامة معه فى قصر الإمارة فى العاصمة قرطبة، ولذا تعلقت آمال أهل الدولة به، وتأكدوا من خلافته لجده الأمير عبد الله فى حكم الأندلس[١]، خاصة وأن أعمامه زهدوا فى الحكم وتركوه دون مشاكل لابن أخيهم الأمير عبد الرحمن الثالث، وذلك لكثرة الفتن والثورات فى معظم أنحاء الأندلس، فتذكر المصادر التاريخية أنه تولى الأندلس وهى "جمرة تحتدم، ونار تضطرم شقاقاً ونفاقاً، فأخمد نيرانها وسكن زلازلها.." [٢].

ب- أهم أعماله الداخلية:

(١) **إعادة توحيد الأندلس:**

عقب تولى عبد الرحمن الثالث الحكم جلس فى قصر الإمارة بقرطبة لتلقى البيعة من كبار رجال الدولة وأفراد أسرته الأموية والخاصة

---

(١) ابن عذارى، نفسه، ج٢، ص١٥٦-١٥٧.

(٢) نفس المصدر السابق، ج٢، ص١٥٧؛ المقرى، نفح، ج١، ص٣٣٧؛ دوزى، المسلمون فى الأندلس، ج١، ص٢١٨.

من القضاة والفقهاء والأعيان والعامة من الرعية، فبايعوه واستبشروا خيراً بتوليته من أجل صلاح الأحوال على يديه، وتحقيق الأمن والاستقرار والقضاء على الفتن والثورات التى انتشرت فى معظم جهات الأندلس.

كذلك بعث عبد الرحمن إلى زعماء الكور أو الأقاليم الأندلسية يطلب البيعة من سكانها، ووعدهم بالامتيازات وحسن المعاملة إذا بايعوا ودخلوا فى طاعته، كما حذرهم بسوء العاقبة والتنكيل بهم إذا استمروا على التمرد والعصيان والثورة. وقد نتج عن ذلك أن اسرع بعض زعماء الثوار (مثل بنى حجاج باشبيلية) إلى إعلان الولاء والاستسلام، بينما استمر البعض الآخر على تمرده وثورته، فحاربهم عبد الرحمن وأرسل إليهم عدة حملات منها حملة إلى زعماء البربر فى قلعة رباح وأخضعهم وكذلك تم إخضاع الثوار فى إستجه وقرمونة وجيان والبيرة (غرناطة) وبطليوس وغيرها من المناطق الثائرة، أما عمر بن حفصون فى حصن ببشتر فقد تظاهر بالطاعة للأمير عبد الرحمن وصفح عنه، ولم يلبث أن توفى فى سنة ٣٠٥هـ وخلفه أولاده فى الثورة والعصيان وانتهى الأمر بهزيمتهم واستسلامهم وتم تسليم قلعة ببشتر للأمير عبد الرحن الثالث سنة ٣١٥هـ وبذلك نجح عبد الرحمن فى القضاء على الثورات الداخلية وإعادة توحيد الأندلس تحت رايته(١).

---

(١) راجع: ابن عذارى، نفسه، ج٢، ص١٥٨ ومايليها؛ سالم، تاريخ المسلمين، ص٢٨٠وما يليها.

(٢) إعلان نفسه خليفة وتلقبه بالناصر لدين الله سنة ٣١٦هـ:

بعد أن حقق عبد الرحمن الثالث أهدافه فى إعادة توحيد الأندلس تحت زعامته واخضاعه للثوار وإعادة الاستقرار والأمن إلى ربوع الأندلس، قام بعمل جرئ وهو إعلان نفسه خليفة فى سنة ٣١٦هـ وتحويل الدولة الأموية فى الأندلس من مجرد إمارة إلى خلافة تنافس الخلافة العباسية فى بغداد، والخلافة الفاطمية فى بلاد المغرب المجاورة.

ولعل مما دفع عبد الرحمن إلى إعلان نفسه خليفة فى الأندلس والتلقب بلقب الناصر لدين الله أمير المؤمنين هو ضعف الخلفاء العباسيين فى بغداد واستبداد القادة والأمراء والأتراك بهم وتحكمهم فى الخلافة العباسية التى أصبحت عاجزة عن حماية ثغور الدولة الإسلامية، وعلاوة على ذلك أن لقب خليفة أو أمير المؤمنين اتخذه من قبل أجداده من الأمويين فى بلاد الشام، فتذكر المصادر أنه فى سنة ٣١٦هـ استكمل عبد الرحمن الثالث الذى لُقب بالناصر لدين الله مرتبة الخلافة وتسمى بأمير المؤمنين وألزم الولاة والعمال والقضاة فى جميع أنحاء الأندلس أن يخاطبوه فى رسائلهم إليه بلقب أمير المؤمنين، كما أن الكتب أو الرسائل الصادرة عنه يجب أن تحمل لقب الخلافة وإمارة المؤمنين. وعلى هذا كانت أول دعوة أقيمت له بلقب الخلافة- على منبر جامع قرطبة فى خطبة الجمعة مستهل ذى الحجة سنة ٣١٦هـ.

(٣) أعماله العمرانية:

أشادت المصادر التاريخية باهتمام الخليفة عبد الرحمن الناصر بأعمال البناء والتشييد أو العمران، فتذكر أنه اتخذ القصور والمصانع أى الصهاريج أو خزانات المياه، وغرس الغروس، وترك أعلاماً باقية لفترات طويلة من الزمن، ولعل من أبرز أعماله العمرانية ما يلى:

١- <u>بناء مدينة الزهراء:</u>

بدأ الخليفة الناصر لدين الله فى بناء مدينة الزهراء فى سنة ٣٢٥هـ قرب مدينة قرطبة العاصمة وإلى الشمال الشرقى منها، وقيل أنه شيدها تكريماً لذكرى جاريته الزهراء التى تركت أموالاً طائلة عند وفاتها وأوصت بأن تخصص لفداء أسرى المسلمين لدى الفرنجة والنصارى الإسبان، غير أن الخليفة لم يجد لديهم أسرى للمسلمين، فعزم على إنشاء تلك المدينة التى تحمل اسمها تكريماً لها. وقد أحضر لها الرخام من مدينتى قرطاجنة وتونس بإفريقية والسوارى من القسطنطينية وتولى الإشراف على البناء ابنه الأمير الحكم. وكانت المدينة خاصة بالخليفة وأسرته وكبار رجال الدولة وحاشيته والحرس الذين خصصت لهم العديد من الدور الفخمة بجوار قصر الخليفة، كما احتوت المدينة على جامع ومخازن والبساتين والسجن(١).

وقد انتقل الخليفة الناصر إلى سكنى تلك المدينة منذ سنة ٣٣٦هـ قبل أن يستكمل بنيانها، وكانت مقراً لراحته ومجالس الأنس بعيداً عن

---

(١) نفس المصدر ، ص٢٣١-٢٣٢.

صخب وازدحام العاصمة قرطبة، ورغم هذا ظلت قرطبة هى العاصمة الرسمية للدولة الأموية(1).

٢- توسعة جامع قرطبة:

اهتم الخليفة الناصر لدين الله بجامع قرطبة- فقام بتوسعته مما ساعد على مضاعفة مساحته، وكانت تلك التوسعة نحو الجنوب فى اتجاه نهر قرطبة (الوادى الكبير)، كما قام بتوسعة صحن الجامع (الفناء)، وشيد به صومعة (مئذنة) جديدة من الحجر بعد أن تصدعت المئذنة القديمة التى بناها الأمير هشام الرضا فأمر الخليفة الناصر بهدمها، كذلك أنشأ الخليفة ظلة فى صحن الجامع وهى سقيفة تستند على أعمدة خشبية لحماية المصلين من شدة حرارة الصيف أثناء الصلاة، وتذكر المصادر أنه أنفق أموالاً كثيرة على تلك الأعمال العمرانية بجامع قرطبة الشهير(2).

٣- إعادة بناء مدينة سالم وتحصينها:

كانت مدينة سالم قاعدة الثغر الأوسط فى الأندلس منذ عهد الخليفة الناصر، وهى مدينة قديمة البنيان، ويبدو أنها تعرضت للتخريب ولذا قام بتعميرها القائد سالم المصمودى (أحد القادة البربر فى جيش طارق) وحصنها هذا القائد وسكنها هو وأسرته وأفراد قبيلته من البربر

---

(1) راجع: العبادى، نفسه، ص١٥٨.

(2) ابن عذارى: نفسه، ص٢٣٠-٢٣١؛ سالم، تاريخ المسلمين، ض٣٠٩؛ العبادى، نفسه، ص١٦٠؛ بروفنسال، نفسه، ص٤٠٠.

المصامدة فنسبت إليه، ويبدو أنها تعرضت للإهمال والتخريب قبل تولى الخليفة الناصر حكم الأندلس ولذا حرص على إعادة بنائها وتحصينها، وجعلها ثغراً حربياً وقاعدة للثغر الأوسط فى مواجهة إمارة قشتالة الإسبانية الناشئة، وتصفها المصادر بأنها كانت مدينة تتميز بالحصانة والمنعة، وأحيطت بسور حصين يحميها من غارات نصارى قشتالة، ولذا كان يتولاها أحد القادة العسكريين على رأس حامية عسكرية قوية لحمايتها والدفاع عنها(١).

---

(١) ابن عذارى: نفسه، ص٢٣٠-٢٣١؛ سالم، تاريخ المسلمين، ص٣٠٩؛ العبادى، نفسه، ص١٦٠؛ بروفنسال، نفسه، ص٤٠٠.

ج- سياسته الخارجية:

١- علاقته بالدولة الفاطمية الشيعية فى المغرب:

تمكن الفاطميون الشيعة بمساعدة الداعية أبى عبد الله الشيعى وأتباعه من إقامة دولتهم فى المغرب سنة ٢٩٧هـ حيث نزل الخليفة الفاطمى عبيد الله المهدى بمدينة رقادة قرب القيروان وأمر بالدعاء له على المنابر وتلقب بالمهدى أمير المؤمنين، وبذلك قامت دولة أو خلافة فاطمية شيعية المذهب فى بلاد المغرب وعلى مقربة من الدولة الأموية السنية فى بلاد الأندلس، ولذا كان من الطبيعى أن ينشأ العداء بين الدولتين لمحاولة الفاطميين الشيعة الاستيلاء على الأندلس ليتحول الغرب الإسلامى كله إلى المذهب الشيعى ويصبح تحت زعامتهم فى مواجهة الخلافة العباسية السنية فى المشرق وعاصمتها بغداد(١).

وكانت الخلافة الفاطمية فى المغرب تبعث ببعض العيون أو الجواسيس لاستطلاع أحوال الأندلس وأخبارها، ومعرفة مدى قوة الخليفة الناصر أو الدولة الأموية، وكذلك محاولة نشر المذهب أو الدعوة الشيعية السرية خاصة بين البربر فى الأندلس الذين يميلون لأهل البيت. ومن ناحية أخرى كان للخليفة الناصر عيون فى المغرب من الاندلسيين الذين استقروا هناك منذ فترة ولا زالوا يرتبطون مع مسقط راسهم، ويقومون بتزويد الأمويين فى الأندلس بمعلومات عن الفاطميين الشيعة خاصة وأن

---

(١) العبادى، نفسه، ص١٣٩ وما يليها.

المذهب الشيعى والدعاية الشيعية فى الأندلس لم تلق رواجاً أو نجاحاً هناك لرسوخ المذهب السنى بين الأندلسيين(١).

ولمواجهة الخطر الفاطمى الشيعى على الأندلس قام الخليفة الناصر بعدة إجراءات أو أعمال تتسم بالحزم منها بسط سيطرته على ثغور المغرب الأقصى الشمالية المواجهة لسواحل الأندلس مثل ثغر سبتة ووطد علاقاته بالعديد من أمراء البربر فى المغرب الذين أعلنوا الولاء له، فيذكر المؤرخ ابن خلدون أنهم "أهدوا إلى الناصر، فقبل وكافأهم وأحكم ولايتهم، وبادر جماعة من الأدارسة إلى فعل ذلك(٢). كذلك اهتم الخليفة الناصر بتحصين ثغور الأندلس الجنوبية المطلة على المضيق والمواجهة للمغرب مثل ثغر الجزيرة الخضراء، وتحالف مع قبائل البربر فى المغرب المعادية للفاطميين الشيعة مثل قبيلة زناتة وقام بتشجيع ثورات الخوارج البربر ضدهم فى المغرب ومن أهمها ثورة أبى يزيد مخلد الخارجى الزناتى، وحرص على توطيد علاقاته بملوك أوروبا خاصة ملك إيطاليا وإمبراطور بيزنطة وهما من أعداء الدولة الفاطمية، كما أمر أئمة المساجد فى الأندلس سنة ٣٤٤هـ بلعن الحكام الشيعة بجميع منابر الأندلس، ولم يقتصر الأمر على ذلك بل دارت عدة اشتباكات بحرية بين الطرفين، تم فيها استخدام الأسطول، وأحرقت بعض السفن فى ثغور كلا

---

(١) ليفى بروفنسال، نفسه، ص٣٦٩.

(٢) ابن خلدون، العبر، ج٤، ص١٤١.

الطرفين سواء للأمويين أو الفاطميين الشيعة، غير أن هذه الحوادث أوضحت للفاطميين مدى قوة الخليفة الناصر والدولة الأموية فى الأندلس وصعوبة الاستيلاء عليها، مما دفعهم إلى الانسحاب من المغرب، والاتجاه إلى مصر لتكون مقراً للخلافة الفاطمية الشيعية وذلك فى سنة ٣٥٨هـ، وبذلك نجح الخليفة الناصر فى مواجهة الخطر الفاطمى الشيعى، وإبعاده عن الأندلس(١).

٢- سياسته نحو الممالك الإسبانية المسيحية فى الشمال:

استمر خطر الممالك الإسبانية المسيحية فى عهد الخليفة الناصر خاصة على مناطق الثغور الأندلسية المجاورة لتلك الممالك الإسبانية، حيث انتهزت الجيوش الإسبانية فرصة انشغال الخليفة الناصر بالقضاء على الثورات الداخلية ومحاولة إعادة توحيد الأندلس، وقاموا بإرسال حملات إلى مدن الثغور الأندلسية، ففى سنة ٣٠١هـ قام أوردونيو الثانى Ordono ملك جليقية بحملة على مدينة يابرة (Evora) بغرب الأندلس فى منطقة الثغر الأدنى واستولى عليها من أيدى المسلمين بعد استشهاد العديد من سكانها وعلى رأسهم واليهم مروان بن عبد الملك الذى حاول

---

(١) راجع ابن عذارى، ص٢٢٠-٢٢١؛ العبادى، نفسه، ص١٤٣-١٤٩؛ سالم، تاريخ المسلمين، ص٢٨٧-٢٨٨.

التصدى لهم بحاميته دون جدوى(1).

واضطر الخليفة الناصر إلى ارسال حملة أخرى إلى أراضى قشتالة بمملكة جليقية بقيادة الوزير القائد أحمد بن أبى عبدة سنة ٣٠٥هـ، فاقتحم بقواته أراضى قشتالة وأغار عليهم وحاصرهم فى حصنهم المعروف باسم قاشتره مورش (شنت أشتبن دى غرماج San Esteban de Gormaz)، فتجمعت عليهم قوات نصارى جليقية بقيادة ملكهم أوردوينو والتقوا بالمسلمين فى معركة انتهت بهزيمة المسلمين واستشهاد العديد منهم وعلى رأسهم القائد ابن أبى عبده، وانسحب الباقون إلى داخل الأراضى الإسلامية(2).

ونتيجة لتلك الهزيمة التى تعرض لها جيش المسلمين خرج الخليفة الناصر بنفسه على رأس قواته فى سنة ٣٠٨هـ لاستعادة هيبته وحماية منطقة الثغور الإسلامية فى الأندلس، فى الوقت الذى تحالف فيه اوردونيو الثانى ملك جليقية مع شانجة (سانشو Sancho) ملك البشكنس أو نبرة أو (نافار Navarra) للتصدى للمسلمين وقام الناصر بهدم بعض حصونهم ثم دارت معركة بين الطرفين انتهت بهزيمة ساحقة للنصارى الاسبان، واستولى المسلمون على حصن مُويش عنوة من أيدى

---

(1) ابن حيان، نفسه، ج٥، ص٩٣ وما يليها؛ بروفنسال، نفسه، ص٣٤١؛ سالم، تاريخ المسلمين، ص٢٨٩.

(2) ابن حيان، نفسه، ص١٣٥-١٣٦؛ بروفنسال، نفسه، ص٣٤٢.

نصارى جليقية، بعد حصاره وهلاك معظم من بداخله عطشاً، ثم قتل من ظل حياً منهم، وعاد ظافراً إلى عاصمته قرطبة بعد أن مكث فى تلك الحملة حوالى ثلاثة أشهر (١).

وقد تواصلت الحروب بين الطرفين خاصة فى عهد راميرو الثانى Ramiro II ملك جليقية الذى اشتبك فى عدة معارك مع المسلمين لعل من أشهرها معركة الخندق أو شنت مانكش Simancas (خندق مدينة شمنقة) فى سنة ٣٢٧هـ والتى منى فيها جيش الناصر بهزيمة منكرة ونجا الخليفة من الموت بأعجوبة وقتل فيها العديد من جنده، بسبب تخاذل بعض القادة العرب فى الجيش وغضبهم لتولى أحد الصقالبة ويدعى نجدة الصقلبى قيادة الجيش الإسلامى.

وبعد تلك الهزيمة لم يعد الخليفة الناصر يخرج على رأس جيشه، وعهد بتلك المهمة لبعض قادته المشهود لهم بالكفاءة والخبرة فى محاربة النصارى الإسبان واستطاعوا أن يحققوا العديد من الانتصارات على جيوش مملكتى نبرة وجليقية وأصبحت الكلمة العليا فى مناطق الثغور لجيوش الخليفة الناصر، واضطر الإسبان إلى طلب الصلح معه ومهادنته وأرسلوا له بالهدايا مع سفرائهم إلى بلاط الخليفة فى قرطبة، كما كانوا يحتكمون إليه فى خلافاتهم الداخلية التى تنشب بسبب الصراع على العرش فى مملكة ليون أو جليقية، واستطاع الناصر أن يعيد سانشو

---

(١) ابن حيان، نفسه، ج٥، ص١٥٩-١٦٠؛ بروفنسال، نفسه، ص٣٤٢-٣٤٥.

حفيد الملكة طوطه إلى عرشه فى مملكة ليون عندما استنجدت به مقابل تسليم الخليفة الناصر عشرة حصون إسبانية على الحدود مع المسلمين(١).

٣- غارة القبائل التركية على الثغر الأعلى سنة ٣٣٠هـ:

أشارت بعض المصادر الى قيام قبائل تركية الأصل قدمت من أقصى شرق أوروبا (بلاد هنغاريا أو المجر) بالإغارة على الثغر الأعلى للأندلس فى هجوم مباغت فى سنة ٣٣٠هـ، وكانوا قد دخلوا شمال شرق الأندلس فى أعداد ضخمة عن طريق بلاد الفرنجة، فاستولوا على مدينة لاردة وأغاروا على حصون المسلمين بالثغر الأعلى وأسروا يحيى بن الطويل والى مدينة بربشتر، وقد انزعج الخليفة لتلك الأخبار السيئة التى وصلته بقرطبة، ثم سرعان ما وصلت رسائل إليه بانسحابهم وخروجهم من الثغر الأعلى، ويبدو أن تلك الغارة التركية كانت بغرض النهب والسلب مثل أعمال القرصنة البحرية التى كان يقوم بها النورمانديون فى هذا العصر، وتذكر المصادر أن شدة المقاومة التى أبدتها الحاميات الإسلامية فى الثغر الأعلى، ونفاذ المون والأقوات من المغيرين كانت أيضاً من أسباب انصرافهم عن الثغر الأعلى الأندلسى، وعودتهم إلى بلادهم، وتضيف المصادر أنه تم افتكاك يحيى بن الطويل من أيدى هؤلاء الأتراك بدفع

---

(١) ابن حيان، ابن خلدون، نفسه، ج٤، ص١٤٣؛ بروفنسال، نفسه، ص٣٥٨؛ سالم، تاريخ المسلمين، ص٢٨٩-٢٩٠.

الفداء لهم فى سنة ٣٣١هـ(١).

٤- علاقاته الدبلوماسية بملوك الروم والفرنجة:

كان لاستقرار الأندلس السياسى وازدهارها الحضارى فى عهد الناصر أثره الكبير فى حرص العديد من ملوك أوروبا والفرنجة على توطيد علاقاتهم الدبلوماسية معه، وإرسال سفارات إلى العاصمة قرطبة ومن ذلك أن رسل قسطنطين السابع امبراطور الدولة البيزنطية وصلوا إلى قرطبة فى سنة ٣٣٤هـ، ٣٣٨هـ واستقبلهم الخليفة الناصر بقصر الخلافة، وحضر حفل الاستقبال ابنه الحكم (ولى العهد) وكبار رجال الدولة من الوزراء والحجاب وكبار القادة العسكريين، ودخل الرسل، وقدموا الهدايا، وقد دهشوا لهول ما عاينوه من جلالة الملك ووفور الجمع.. فدفعوا إليه كتاب مرسلهم قسطنطين، وكان الكتاب مصبوغاً بلون سماوى مكتوباً بالذهب(٢) ثم انصرف وفد الروم إلى القسطنطينية عاصمتهم وبعث معهم الخليفة سفارة مماثلة لتأكيد المودة وتجديد الهدنة(٣).

كذلك جاءت إلى قرطبة وفود ملك الفرنجة أوتو الكبير (إمبراطور الدولة الرومانية المقدسة)، وكذلك وفود من قبل ملك الصقالبة ومعه ملك الألمان علاوة على سفارة كونت برشلونة الفرنجى، ويذكر

---

(1) ابن حيان، نفسه، ج٥، ص٤٨١-٤٨٣.

(2) ابن عذارى، نفسه، ج٢، ص٢١٣؛ العبادى، نفسه، ص١٥٥.

(3) ابن خلدون، نفسه، ج٤، ص١٤٣.

المستشرق الفرنسى ليفى بروفنسال أن تلك السفارات كانت لها علاقة بأعمال القرصنة التى يقوم بها البحريون الأندلسيون فى سواحل الفرنجة وإيطاليا، والتى كانت شائعة فى تلك العصور على الجانبين الإسلامى والمسيحى(١).

---

(١) ابن خلدون، نفسه، ج١، ص٣٤١؛ بروفنسال، نفسه، ص٤٠٨ وما بعدها؛ العبادى، نفسه، ص١٥٥-١٥٦.

(٢)

الخليفة الحكم الثانى (المستنصر بالله)

(٣٥٠-٣٦٦هـ)

تولى الحكم الثانى الملقب بالمستنصر بالله حكم الأندلس عقب وفاة والده الخليفة الناصر لدين الله فى الثالث من شهر رمضان سنة ٣٥٠هـ، وسار على نفس نهج سياسه والده فى الداخل والخارج، فكان محباً للأعمال الحضارية سواء الفكرية أو العمرانية لكونه من العلماء والمشجعين للعلم وأهله، ومن ناحية أخرى كانت الأندلس فى عهده قوية مدعمة الأركان، مهابة الجانب، وتخشاها الممالك الإسبانية المسيحية فى الشمال. ويتميز عهده بما يلى:

أولاً: الأعمال الحضارية (الإصلاحية والعمرانية والعلمية):

اهتم الخليفة الحكم المستنصر بالله فى بداية عهده بتوسعة جامع قرطبة الشهير بسبب كثرة عدد السكان فى العاصمة، وأصبح الجامع يضيق بالمصلين الذين يزدحم بهم المسجد خاصة فى صلاة الجمعة، وشرع الخليفة إلى الزيادة فيه وأحضر لهذا الغرض المهندسين وشيوخ الصنعة من البنائين وأشرف على تلك التوسعة التى كانت من جهة القبلة (الجنوب) حاجبه جعفر الصقلبى، فجاءت هذه الزيادة كما تذكر المصادر أحسن ما زيد فى المسجد، كما أقام منبراً جديداً للجامع من خشب الصندل

والابنوس والعاج(١).

كذلك أكمل الخليفة الحكم المستنصر بناء القبة المبتناه على المحراب أثناء قيامه بأعمال توسعة جامع قرطبة، وزين الجامع بالفيسفساء التى بعث بها إمبراطور الروم أو الدولة البيزنطية إلى الخليفة، كما أجرى الماء إلى سقايات الجامع والميضأتين بالجهتين الشرقية والغربية من الجامع، وجلب هذا الماء العذب من عين بجبل قرطبة، خرق له الأرض وأجراه فى قناة من حجر متقنة البناء محكمة الهندسة أودع جوفها أنابيب الرصاص لتحفظه من التلوث(٢).

ومن أعماله العمرانية أيضاً بناء دار الصدقة بغرب الجامع التى إتخذها مركزاً لتوزيع الصدقات على المحتاجين، كما أنشأ العديد من الكتاتيب حول جامع قرطبة وزودها بالمؤدبين أو المعلمين لتعليم أبناء الفقراء والمساكين القرآن الكريم، وكذلك أقام العديد منها بأرباض قرطبة، وأجرى المرتبات على المؤدبين وأوصاهم بالاجتهاد والنصح ابتغاء وجه الله تعالى(٣)، كما حرص على إنشاء مكتبة ضخمة فى قصر الخلافة زودها بالآلاف من الكتب النادرة التى كان يشتريها من المشرق خاصة من بغداد.

---

(1) ابن عذارى، نفسه، ج٢، ص٢٣٣-٢٣٤، ٢٥٠؛ سالم، تاريخ الملسمين، ص٣٠٩؛ بروفنسال، نفسه، ص٤٣٠.

(2) ابن عذارى، نفسه، ج٢، ص٢٣٧ وما يليها.

(3) ابن عذارى، نفسه، ج٢، ص٢٤٠؛ بروفنسال، نفسه، ص٤٣١.

ومن أعماله الإصلاحية أنه وقف العديد من الأوقاف على أعمال البر والخير فقد حبس "أى وقف" ربع ما ورثه عن والده الناصر فى جميع أقاليم الأندلس لتوزع غلاتها على الفقراء بمناطق الثغور كما اعتق العديد من العبيد وأسقط سدس جميع المكوس أو الضرائب عن الرعية شكراً لله(١)، كما اهتم بإصلاح وتدعيم وترميم قنطرة قرطبة على نهرها لحمايتها من سيل النهر في الشتاء ووفر لها الحديد والصخر الصلب لأهمية تلك القنطرة للرعية والاتصال بين ضفتى النهر(٢).

ثانياً: سياسته الخارجية:

أ- موقفه من الخطر النورماندى:

اهتم الخليفة الحكم المستنصر بالأسطول وتحصين ثغوره الساحلية لمواجهة الخطرين الفاطمى الشيعى والنورماندى، فتذكر المصادر أنه قام بزيارة ثغر المرية بجنوب شرق الأندلس سنة ٣٥٢هـ وتفقد ما تم فيه من تحصينات، كما حرص على زيارة حصن أو رباط القبطة المجاور لثغر المرية والإطلاع على أحوال سكانه من المتطوعة الذين كانوا يرابطون فيه من أجل حماية السواحل والدفاع عنها ضد أى خطر خارجى، خاصة وأن هذا الحصن كان قد تعرض لحصار النورمانديين

---

(1) نفس المصدر، ص٢٣٤، ٢٤٩؛ العبادى، نفسه، ص١٦٢- ١٦٣.

(2) ابن حيان، قطعة من المقتبس تحقيق الحجى، ص٦٤-٦٥.

غير أن حامية الحصن تصدت لهم وردتهم على أعقابهم(١).

وتضيف المصادر أنه فى سنة ٣٥٥هـ وردت أنباء من ثغر قصر أبى دانس بغرب الأندلس على الخليفة بقرطبة تفيد بظهور أسطول النورمانديين بسواحل الأندلس الغربية المطلة على المحيط الأطلنطى قرب ساحل قصر أبى دانس، حيث أدى هذا إلى حدوث اضطراب وفزع بين سكانه وبقية أهل الساحل الغربى، وذلك لقيامه بأعمال النهب والتخريب بتلك المنطقة، ثم أبحروا منها إلى ساحل أشبونة فنزلوا به، فتصدى لهم المسلمون هناك ودارت بينهم حرب اشتركت فيها بعض سفن الأسطول الإسلامى من قاعدة إشبيلية والتقوا بهم عند مصب نهر شلب، وحطموا العديد من مراكب النورمانديين وانقذوا من كان فيها من أسرى المسلمين وقتلوا جملة من القراصنة النورمان الذين انهزموا إثر ذلك وانسحبوا خاسرين، وهنا إطمأن الخليفة إلى زوال خطرهم من الساحل الغربى(٢).

غير أنهم حاولوا مرة أخرى مهاجمة الساحل الغربى فى سنة ٣٦٠هـ والنزول بسواحله، ولكن الخليفة بعث إليهم على الفور قائد أسطوله البحرى وبدعى ابن رماحس الذى اتجه إلى ثغر المرية، وأبحر بالأسطول المرابط هناك إلى جهة الساحل الغربى منضماً إلى أسطول إشبيلية، ولعل تلك الاستعدادات والإجراءات التى اتخذها الخليفة كانت سبباً

---

(1) ابن عذارى، نفسه، ج٢، ص٢٣٦؛ ابن الخطيب، أعمال الاعلام، ق٢، ص٤٨.

(2) ابن عذارى، نفسه، ج٢، ص٢٣٨-٢٣٩؛ بروفنسال، نفسه، ص٤٣١-٤٣٢.

فى فشل تلك الغارة النورماندية ومنعهم من النزول بقواتهم بالساحل الغربى(١).

ب- سياسته نحو الممالك الإسبانية المسيحية فى الشمال:

تفيد المصادر بأنه فى بداية عهد الخليفة الحكم المستنصر حضر إلى العاصمة قرطبة أوردونيو ملك جليقية الذى كان ينافس ابن عمه الملك سانشو على العرش فاستقبله الخليفة وأكرمه خاصة وأن الملك سانشو نقض العهد الذى أبرمه مع الخليفة الناصر ورفض تسليمه الحصون العشرة المتفق عليها، وهنا خشى سانشو من قيام تحالف بين الخليفة الحكم وغريمه أوردونيو، فأرسل على الفور وفداً إلى قرطبة بهدف إبلاغ الخليفة بالاعتراف بسيادته والتعهد بتنفيذ الاتفاق الخاص بتسليم الحصون، فيذكر المؤرخ ابن عذارى أنهم أى سفراء جليقية "أوصلوا كتاب شانجة بجواب ما خوطب فيه وبيعته التى عقدها على نفسه وجميع أهل مملكته لأمير المؤمنين المستنصر بالله"(٢).

غير أن وفاة أوردونيو فجأة دفعت سانشو إلى نقض العهد والمماطلة فى تسليم الحصون للخليفة، وقيامه بالتحالف مع جيرانه ملوك وأمراء الممالك الإسبانية مثل كونت قشتالة وملك نبره (أو البشكنس) وكونت برشلونة الفرنجى. وهنا استعد الخليفة لمحاربته، فخرج على رأس

---

(1) نفس المصدر السابق، ص٢٤١؛ بروفنسال، نفسه، ص٤٣٢.

(2) ابن عذارى، نفسه، ج٢، ص٢٣٥؛ بروفنسال، نفسه، ص٤٣٤ وما يليها.

حملة فى سنة ٣٥٢هـ متجهاً أولاً إلى قشتالة حيث هاجم بلدة أو حصن شنت أشتبن أو غُرماج S.Esteban de Gormaz واستولى عليها، وأجبر أمير أو كونت قشتالة على عقد معاهدة سلام. ولكنه نقضها، مما أدى إلى مهاجمته ثانية والاستيلاء على بعض حصونه، كما تمت مهاجمة غرسيه ملك نبرة، الذى منى بالهزيمة، واستولى المسلمون على بعض الحصون الإسبانية، فى منطقة الحدود، وأدت تلك الهزائم التى تعرضت لها الممالك الإسبانية المسيحية على يد جيوش الخليفة الحكم إلى إسراعهم بإرسال سفارات إلى قرطبة تطلب الصلح وعقد معاهدات سلام(١).

ج- سياسته نحو الأدارسة فى المغرب الأقصى:

بعد سنوات قليلة من تولى الحكم المستنصر بالله الخلافة فى الأندلس، قام الفاطميون الشيعة فى عهد الخليفة المعز لدين الله بإرسال جيشه إلى مصر بقيادة جوهر الصقلى واستولوا عليها فى سنة ٣٥٨هـ، وانتقل إليها المعز فى سنة ٣٦٢هـ واتخذ من مدينة القاهرة عاصمة للخلافة الفاطمية الشيعية، وترك الفاطميون أمور المغرب فى يد أتباعهم وحلفائهم البربر من بنى زيرى الصنهاجيين، وبذلك ابتعد الفاطميون عن المغرب، وبالتالى زال خطرهم نهائياً عن الأندلس كما سبقت الإشارة.

غير أن قوة شيعية أخرى كانت بالمغرب الأقصى، وسبق أن أعلنت الولاء

---

(١) ابن عذارى، نفسه، ج٢، ص٢٣٦، ٢٤٠ وراجع أيضاً: المقتبس، تحقيق الحجمى، ص٢٠ وما بعدها؛ بروفنسال، نفسه، ص٤٣٥ وما يليها.

للخليفة الناصر وهى دولة الأدارسة العلويين واستمرت على ذلك فى أوائل عهد المستنصر، فتذكر المصادر أنه فى سنة ٣٥٦هـ وصل وفد من الأدارسة بالمغرب إلى العاصمة قرطبة واستقبلهم الخليفة بقصره بمدينة الزهراء وسلم الوفد رسالة أمراء الأدارسة "يذكرون أنهم على محبة صادقة ومودة مستحكمة مع التزامهم للطاعة" فأكرم الخليفة هذا الوفد وتلقى رسالته(١).

وفى سنة ٣٦٠هـ وصلت إلى قصر الخلافة بقرطبة سفارة ثانية من الأدارسة للتأكيد على التزامهم الولاء والطاعة ويطلبون قوة من جيش الخليفة الحكم "تقوية لهم لما يتوقعونه" من حركة قائد الجيش الفاطمى الشيعى نحوهم، وتقربوا للخليفة بالهدايا، فقبلت منهم(٢).

غير أن الأدارسة سرعان ما نقضوا العهد وأعلنوا التمرد فى المغرب الأقصى على السيادة الأموية فى سنة ٣٦١هـ بزعامة الحسن بن قنُّون (أوجَنُّون) الحسنى الذى بدأ يميل إلى الفاطميين الشيعة، وعلى هذا جهز الخليفة الحكم جيشاً وأسطولاً، اتجه إلى سبتة، حيث بدأ أولاً بالاستيلاء على طنجة بعد أن رفض أهلها الدخول فى الطاعة بتحريض من ابن قنون، كما انتصرت قوات الحكم على أتباع ابن قنون وقتل العديد منهم بينما فر هو إلى جبل حصين ثم اضطر للهرب إلى مدينة أصيلا التى

---

(1) ابن عذارى، نفسه، ص٢٣٩-٢٤٠.

(2) ابن عذارى، نفسه، ج٢، ص٢٤١.

اقتحمتها جند الخليفة الحكم، ولكن ابن قنون استطاع عقب ذلك وفى سنة ٣٦٢هـ من أن ينزل هزيمة بجيش الحكم وقتل فيها القائد محمد بن طملس، كما قتل جملة من جنده من فرسان الأندلس(١).

وقد غضب الخليفة الحكم لتلك الهزيمة وقتل قائد جيشه فأعد حملة ضخمة مزودة بأسطول كبير بقيادة غالب بن عبد الرحمن ومعه قائد البحر ابن رماحس وعهد إليها بالقضاء على ابن قنون وتمكنت القوات البرية والأسطول البحرى من أحكام الحصار حول ابن قنون فى صحنه المنيع المعروف باسم "حجر النسر"، وعندما اشتد عليه الحصار اضطر إلى الاستسلام مقابل الأمان، وبالفعل دخلت قوات الحكم الحصن فى سنة ٣٦٣هـ ثم عاد القائد غالب بصحبة ابن قنون وأفراد أسرته من الأدارسة إلى العاصمة قرطبة، فقدموا على الخليفة الذى أكرمهم وأنزلهم فى دُور مُعدة لهم بالعاصمة قرطبة(٢)، وبذلك تم إخماد ثورة الأدارسة فى المغرب الأقصى.

---

(1) نفس المصدر السابق، ص٢٤٤ وما بعدها.

(2) ابن عذارى، نفسه، ج٢، ص٢٣٨-٢٣٩؛ بروفنسال، نفسه، ص٤٣١-٤٣٢.

(٣)

"الأندلس منذ عهد الخليفة هشام المؤيد بالله بداية عهد نفوذ الحُجاب العامريين حتى سقوط الخلافة الأموية" (٣٦٦-٤٢٢هـ)

عقب وفاة الخليفة الحكم المستنصر بالله تولى ابنه هشام (الثانى) الذى لُقب بالمؤيد بالله، وأجلس للخلافة صبيحة يوم الاثنين لثلاث خلون من صفر سنة ٣٦٦هـ، " ودعا الناس إلى البيعة فاستوسقوا إليه ولم يختلف فيها منهم إثنان، واتصل أخذها على الناس أياماً وكُتب بها إلى الأقطار فلم يردها أحد"(١).

على أية حال تولى هشام المؤيد بالله الخلافة وكان صغير السن فى الثانية عشرة من عمره، وذلك باتفاق كبار رجال الدولة والقصر، وفى بداية الأمر حاول كبار رجال القصر من الفتيان الصقالبة وعلى رأسهم فائق وجؤذر- عزله عن الخلافة لصغر سنه وعدم خبرته بالحكم وإسنادها إلى عمه المغيرة بن الناصر، غير أن المؤامرة فشلت فى مهدها وتم قتل المغيرة على يد محمد بن أبى عامر(٢).

وتذكر المصادر أن الخليفة هشام أسند منصب الحجابة (وهو أعلى المناصب فى الدولة بعد الخلافة) إلى جعفر المُصْحَفى، فقام بتدبير

---

(1) ابن الخطيب، أعمال الاعلام، ق٢، ص٥٦.

(2) النويرى، نفسه، ج٢٣، ص٤٠١-٤٠٢.

أمور الدولة، وشاركه فى الحجابة القائد غالب بن عبد الرحمن، بينما قلد محمد بن أبى عامر (الذى سيلقب فيما بعد بالمنصور) منصب الوزارة بعد أن كان يتولى الشرطة والسكة، وقد حظى بثقة صُبح أم الخليفة هشام (زوجة الخليفة الحكم المستنصر) التى أمدته بالأموال فاستمال الجند وأصبح من أصحاب النفوذ(١).

وقد أدى ازدياد نفوذ محمد بن أبى عامر فى الدولة إلى تخوف الحاجب جعفر المصحفى، ولذا نشب نزاع خفى بينهما من أجل الانفراد بالسلطة والنفوذ، واستطاع ابن أبى عامر فى النهاية أن يُقصى المصحفى عن الحجابة حيث وشى به عند الخليفة هشام وأتهم بالإستيلاء على الأموال، وتم اعتقاله ووضع فى المطبق أى السجن وتوفى به بعد حوالى ستة أشهر من توليه الحجابة .

انفراد المنصور محمد بن أبى عامر بالسلطة

بعد عزل الحاجب المصحفى تم الاتفاق على أن يتولى محمد بن أبى عامر الحجابة للخليفة هشام، وكان القائد غالب مشاركاً له فى ذلك، وكان ابن أبى عامر قد تقرب منه بالمصاهرة فتزوج من أسماء إبنة القائد غالب (قائد الجيش آنذاك)، ثم سرعان ما حدث تنافس وصراع بين أقوى رجلين فى الدولة وهما ابن أبى عامر والقائد غالب، وأدى هذا إلى نشوب

---

(١) ابن عذارى، نفسه، ج٢، ص٢٣٨-٢٣٩؛ بروفنسال، نفسه، ص٤٣١-٤٣٢.

معركة بينهما انتهت بهزيمة ومقتل غالب وانفراد ابن أبى عامر بالسلطة فى الدولة، وتلقب عقب ذلك بلقب المنصور فى سنة ٣٧١هـ وأصبح مثل الخليفة يتم الدعاء له بهذا اللقب على منابر الأندلس، وتضيف المصادر التاريخية أن المنصور أصبح هو "صاحب التدبير والمتغلب على الأمر.. وأقام الهيبة فدانت له أقطار الأندلس كلها، ولم يضطرب عليه شئ منها لعظم هيبته وحُسن سياسته..." (١)، وقد ساعده على الانفراد بالسلطة فى الأندلس صغر سن الخليفة هشام المؤيد بالله، وانشغاله بحياة اللهو والترف والملذات" ولذا كان هشام خاضعاً لنفوذ الحاجب المنصور بحيث لا ينسب إليه تدبير (٢).

<u>حملاته العسكرية ضد الممالك الإسبانية المسيحية فى الشمال:</u>

تذكر المصادر أن الحاجب المنصور بن أبى عامر قام بحوالى ست وخمسين حملة لم يُهزم فى واحدة قط، وكان دافعه وراء ذلك هو حماية ثغور المسلمين فى الشمال بعد أن زادت غارات النصارى الإسبان على منطقة الثغور كما أن حرصه على حماية الثغور والدفاع عنها ضد الأخطار الإسبانية يساعد على استمالة الرعية واكتساب محبتها وتدعيم موقفه ونفوذه فى الأندلس.

---

(1) النويرى، نفسه، ج٢٣، ص٤٠٤؛ وراجع ابن عذارى، نفسه، ج٢، ص٢٥٦ وما يليها..

(2) ابن الخطيب، نفسه، ق٢، ص٦٦.

ومن أشهر حملاته: تلك الحملة الأولى التى قادها من قرطبة فى رجب ٣٦٦هـ واقتحم أراضى مملكة جليقية المجاورة للثغور الإسلامية، وحاصر حصن الحامة الإسبانى واستولى على أرباضه وغنم وسبى الكثير ثم عاد ظافراً إلى قرطبة محملاً بالغنائم والسبايا، فعظم السرور به وأخلص الجند له لما رأوا من كثرة جوده.. (١).

وكانت حملته الثانية فى يوم عيد الفطر من نفس العام ٣٦٦هـ، حيث التقى مع القائد غالب بمدينة مجريط (حالياً مدريد) وزحفاً معاً نحو الشمال، وتمكنا من فتح حصن موله بأرض النصارى الإسبان، وظهرا فيه على سبي كثير، وغنم المسلمون أوسع غنيمة.. (٢).

أما الحملة الثالثة، فكانت فى صفر سنة ٣٦٧هـ، فاتجه من قرطبة إلى مدينة طليطلة. واجتمع هناك مع صهره غالب ثم نهضا معاً فافتتحا بعض حصون نصارى جليقية، واستوليا على أرباض مدينة شلمنقة، وعاثا فى تلك المنطقة بالتخريب والنهب، لأنها كانت بمثابة قواعد لشن الغارات على ثغور المسلمين، وعاد عقب ذلك إلى عاصمته قرطبة ظافراً محملاً بالسبايا والغنائم، فأعجب به الخليفة هشام، ومنحه لقب ذى الوزارتين" وسوى فيها بينه وبين غالب".

ومن أشهر حملاته تلك الحملة التى تسمى "غزوة شنت ياقب

---

(1) ابن عذارى، نفسه، ج٢، ص٢٦٤.

(2) نفس المصدر، ج٢، ص٢٦٥.

والتى خرج فيها من قرطبة سنة ٣٨٧هـ على رأس جيش كبير، وساعده فى حملته أسطول بحرى أبحر من ثغر قصر أبى دانس بساحل غرب الأندلس واقتحم أراضى مملكة جليقية وفتح العديد من حصونها وغنم ما فيها، إلى أن وصل إلى مدينة شنت ياقب فوجدها المسلمون خالية من سكانها بعد أن فروا عنها، وغنم المسلمون ما فيها وعاثوا فيها سلباً وتخريباً، وتشير المصادر أن المنصور وصل فى حملته تلك إلى غاية لم يبلغها قبله مسلم(١).

<u>سياسة الحاجب المنصور فى بلاد المغرب:</u>

تفيد المصادر بأن الحاجب المنصور واجه بعض المشكلات فى المغرب خاصة من ناحية الأدارسة وزعيمهم الحسن بن قنون الذى حاول إعادة نفوذ أجداده الأدارسة العلويين فى المغرب الأقصى والخروج عن سلطة الأمويين حكام الأندلس، ولذا جهز له المنصور جيشاً كبيراً فى سنة ٣٧٥هـ، وبعث به إلى المغرب الأقصى، وحاصره الجيش حصاراً شديداً اضطره إلى الاستسلام مقابل الأمان، وبالفعل أعطى الأمان، وأرسل إلى العاصمة قرطبة، غير أن الحاجب المنصور لم يلبث أن غدر به وأمر بقتله، ويذكر المؤرخ ابن عذارى أنه عقب مقتل ابن قنون "تفرق بنو إدريس فى البلاد، وملك ابن أبى عامر المغرب الأقصى، وأخرج منه من

---

(١) راجع عن حملات المنصور بن أبى عامر بالتفصيل ابن عذارى، نفسه، ج٣، ص٢٦٤ وما بعدها.

كان بقى به من الأدارسة[١].

كذلك أعلن زيرى بن عطية المغراوى زعيم بربر زناتة فى المغرب التمرد والخروج عن طاعة الحاجب المنصور، وذلك لاستبداد المنصور بالحكم فى الأندلس دون الخليفة هشام وتغلبه عليه وسلبه ملكه، فأرسل إليه الحاجب المنصور جيشاً بقيادة واضح الفتى الصقلبى ودارت بين الطرفين عدة معارك، كانت سجالاً وبينهما ثم بعث المنصور بمدد آخر بقيادة ابنه عبد الملك وانتهت الحرب بهزيمة زيرى المغراوى ومن معه ونجا مثخناً بالجراح ثم لم يلبث أن مات بسببها، وبسط الحاجب المنصور سلطانه على بلاد المغرب فى سنة ٣٩٧هـ كما احتفظ بسيطرته على مدينة سبتة لموقعها الهام على المضيق[٢].

<u>أعماله العمرانية (بناء قصر أو مدينة الزاهرة):</u>

فى سنة ٣٦٨هـ أمر الحاجب المنصور بن أبى عامر ببناء قصره المعروف بالزاهرة، وذلك عندما ازداد نفوذه فى الدولة واستفحل أمره وكثر حساده، وخاف على نفسه فى الدخول إلى قصر الخليفة، ولذا توثق لنفسه، وسما إلى ما سمت إليه الملوك من بناء قصر حصين ينزل فهى بأهله وحرسه وفتيانه العامريين، ويتمم به تدبيره وسياسته، فاختار موضع مدينة الزاهرة الموصوفة بالقصور الباهرة وأقامها على أطراف

---

(1) ابن عذارى، نفسه، ج٢، ص٢٨١.

(2) ابن عذارى، نفسه، ج٢، ص٢٨١-٢٨٢.

العاصمة قرطبة وعلى نهرها المعروف بالوادى الكبير، فشرع فى بنائها فى سنة ٣٦٨هـ وأحضر إليها الصناع والبنائين والفعلة كما جلب إليها الآلات الجليلة، وتوسع فى احتطاطها، وبالغ فى رفع أسوارها، فاتسعت فى فترة وجيزة وبنى معظمها فى عامين، وانتقل إليها المنصور فى سنة ٣٧٠هـ مع خاصته وحرسه وشحنها بالأسلحة والأموال والأمتعة، واتخذ فيها الدواوين، والأهراء (أى المخازن) والأرحاء والبساتين ثم اقطع ما حولها لكبار رجال دولته(١).

وفاة الحاجب المنصور سنة ٣٩٢هـ:

فى رمضان سنة ٣٩٢هـ توفى الحاجب المنصور بن أبى عامر بمدينة سالم ودفن بصحن قصره هناك وهو فى الخامسة والستين من عمره عقب عودته جريحاً من إحدى حملاته ضد مملكة قشتالة الإسبانية المسيحية وخلفه فى الحجابة ابنه عبد الملك الملقب بالمظفر وتذكر المصادر أنه نقش على رخامة على قبره:

آثاره تنبيك عن أخباره   حتى كأنك بالعيون تراه

تالله ما ملك الجزيرة مثله   حقاً ولا قاد الجيوش سواه(٢)

---

(1) راجع ابن عذارى، نفسه، ج٢، ص٢٧٥-٢٧٧.

(2) نفس المصدر السابق، ج٢، ص٣٠١.

الحاجب المظفر عبد الملك بن المنصور بن أبى عامر (٣٩٢-٣٩٩هـ):

عقب وفاة الحاجب المنصور بن أبى عامر خلفه فى الحجابة ابنه عبد الملك الملقب بالمظفر فى رمضان سنة ٣٩٢هـ، وتذكر المصادر أنه بعث إلى مناطق المغرب والأندلس الخاضعة له يخبر أهلها بوفاة والده ووراثته للحجابة، فتم له الأمر ولم يخالفه أحد واجتمع الناس على حبه.

وقد امتدحت المصادر شخصية الحاجب المظفر عبد الملك ووصفته بأنه كان "مراقباً لله، محباً للصالحين، يظهر العدل ويحمى الشرع وينصر المظلوم"، ومن أبرز أعماله للتقرب إلى قلوب الرعية أنه أسقط عنهم سدس الضرائب، مما خفف الأعباء عن الناس ويسر ذلك فى معيشتهم، كما أحاط برعايته الفقهاء والعلماء والكتاب والشعراء والأطباء، فاغدق عليهم الأرزاق أو العطاء[١].

كذلك انتهج الحاجب المظفر نفس سياسة والده المنصور فى الاهتمام بالغزو والجهاد لحماية ثغور المسلمين فى شمال الأندلس، فتذكر المصادر أنه غزا إلى الممالك الإسبانية المسيحية وبلاد الفرنجة سبع غزوات، وأبلى فيها بلاءاً حسناً، وتضيف المصادر أنه فى سنة ٣٩٤هـ تناهى ملكه واحتكمت إليه ملوك النصارى الإسبان فيما شجر بينهم[٢]، وتوفى عقب عودته إحدى غزواته سنة ٣٩٩هـ، وخلفه فى الحجابة أخوه عبد الرحمن.

---

(1) ابن الخطيب: أعمال الاعلام، ق٢، ص٩٧ وما بعدها.

(2) نفس المصدر السابق، ص٢، ص١٠١.

الحاجب عبد الرحمن بن المنصور ونهاية نفوذ الحجاب العامريين سنة ٣٩٩هـ:

عقب وفاة المظفر خلفه فى الحجابة أخوه عبد الرحمن، فقام بضبط قصر الزاهرة وقام بالأمر، وجلس مجلس أخيه، ودخل الناس عليه مهنئين، ثم ركب إلى قصر الخليفة هشام المؤيد بالعاصمة قرطبة، فغزاه بأخيه وخلع عليه خلعاً سلطانية وقلده الحجابة ولقبه بالمأمون، وكان يدعى له على المنابر بالحاجب الأعلى المأمون ناصر الدولة(١).

وقد تولى عبد الرحمن بن المنصور الحجابة وهو فى مقتبل شبابه إذ كان فى الخامسة والعشرين من عمره، ولقب أحياناً باسم شنجول أو سانشو يلو (شانجه أو سانشو الصغير) لأنه كان يشبه جده سانشو ملك نبره (نافار)، وقيل تخليداً لذكرى جده والد أمه. وتفيد المصادر أنه كان قليل الخبرة بأمور السياسة والحكم ليس فى براعة والده المنصور أو أخيه المظفر، وعلاوة على ذلك كان منشغلاً بحياة اللهو والترف والملذات وعدم الاهتمام بمصالح الرعية مما أدى إلى كراهيتهم له(٢).

وتضيف المصادر أن الحاجب عبد الرحمن بن المنصور بن أبى عامر سوّلت له نفسه أن يلتمس ولاية العهد من الخليفة هشام المؤيد

---

(1) ابن الخطيب، نفسه، ق٢، ص١٠٤.

(2) نفس المصدر السابق، ق٢، ص١٠٤؛ سالم، تاريخ المسلمين، ص٣٤٣-٣٤٤؛ عبد الله عنان، دولة الإسلام فى الأندلس، ق٢، ص٦٢٢ وما بعدها.

للقيام بأمر المسلمين فى الأندلس من بعده، إذ كان هشام قد عدم الولد ضعفاً ومهانه، فأجابه الخليفة إلى مطلبه، وتلقى التهانى بذلك فى قصره بمدينة الزاهرة.

غير أن هذا العمل أثار غضب وسخط الأمويين وأنصارهم فى العاصمة قرطبة خاصة وأن الحاجب عبد الرحمن ليس فى مكانة أبيه المنصور، ولذا انقلبوا عليه وثاروا ضده، وانتهزوا فرصة غيابه عن العاصمة فى إحدى حملاته فى شمال الأندلس وقاموا بالثورة وخلعوا الخليفة الضعيف هشام المؤيد وبايعوا رجلاً من أحفاء الخليفة عبد الرحمن الناصر يُدعى محمد بن هشام الذى لُقب بالمهدى بالله.

وما إن وصلت تلك الأنباء إلى الحاجب عبد الرحمن شنجول حتى أسرع بالعودة إلى العاصمة قرطبة، وعندما أشرف على الوصول إليها، انفض عنه معظم أتباعه، وانتهى الأمر بهزيمته ومقتله، ونهاية عهد نفوذ الحجاب العامريين أو الأسرة العامرية فى سنة ٣٩٩هـ(١).

---

(١) ابن الخطيب، نفسه، ق٢، ص١٠٦ وما بعدها؛ مؤنس، معالم، ص٣٥٣-٣٥٤.

الفصلُ السابع

ملامح عصر دويلات الطوائف
فى الأندلس
(القرن ٥هـ/ ١١م)

الفصل السابع

ملامح عصر دويلات الطوائف فى الأندلس
(القرن ٥هـ/ ١١م)
عصر الضعف والتفكك
إمارة طرطوشة فى عصر الطوائف- نموذجاً-

تمهيد:

عقب مقتل عبد الرحمن شنجول فى سنة ٣٩٩هـ/ ١٠٠٨م وسقوط الدولة العامرية نشبت الصراعات بين العناصر المختلفة فى الدولة كالبربر والصقالبة وأهل قرطبة وهى ما تعرف بالفتنة القرطبية التى انتهت بسقوط الخلافة الأموية فى سنة ٤٢٢هـ/ ١٠٣١م[1].

ولاشك أن الفتنة القرطبية قد حملت الخراب والدمار لكل جنوب الأندلس فى الوقت الذى كانت فيه منطقة شرق الأندلس هى المأوى الآمن الذى اتجه إليه الفارون من تلك الفتنة وذلك لأنها أتاحت لهم مكاناً هادئاً مستقراً فالتجأ إليها زعماء الصقالبة (الفتيان العامرية) حيث نعموا فيها بحياة مطمئنة وكونوا إمارات لهم هناك[2]، ومنذ ذلك الحين يبدأ فى تاريخ الأندلس عصر جديد يعرف بعصر دويلات الطوائف الثانى.

---

(1) راجع: ابن عذارى البيان المغرب، ج٢، ص٢٥٣-٣٠٠؛ عبد العزيز سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم فى الأندلس، ص٣٢٣-٣٦٣؛ مختار العبادى، دراسات فى تاريخ المغرب والأندلس، ص٨٧-٨٨.

(2) ابن عذارى، نفسه، ج٣، ص١١٥؛ عبد العزيز سالم، تاريخ مدينة المرية، ص٥٩..

وقد أدى إنهيار الخلافة الأموية بقرطبة وسقوطها إلى تمزق بلاد الأندلس وإنقسامها إلى دويلات صغيرة متنازعة فيما بينها، واستقل كل أمير بناحيته ولذا سمى هذا العصر بعصر دويلات الطوائف أو عصر الفرق(١).

وقد تعددت الطوائف أو الفرق أو العناصر التى سيطرت على مناطق الأندلس، ولكن من الثابت أن البربر استأثروا بحكم مناطق متعددة من الأندلس وتزعمهم بنو زيرى الصنهاجيون فى غرناطة، وبنو حمود الأدارسة المتبربرون فى مالقة وبنو ذى النون فى طليطلة، وبنو الأفطس فى بطليوس بغرب الأندلس الذين استقروا فيها من قديم وصاروا أندلسيين. أما العرب فقد أسسوا عدة دويلات أهمها إمارة إشبيلية وحكمها بنو عباد، وإمارة سرقسطة وتزعمها بنو هود، وإمارة قرطبة وحكمها بنو جهور فى حين اختص الصقالبة أو الفتيان العامريون بشرق الأندلس، ففى بلنسية تغلب أولاً مبارك ومظفر العامريان الصقلبيان وخلفهما لبيب الفتي الصقلبى ومجاهد العامرى ثم بنو المنصور بن أبى عامر، وفى المرية تملك خيران ثم زهير العامريان وفى دانية والجزائر الشرقية (جزر البليار) تملك مجاهد العامرى ثم ولده على(٢).

---

(1) ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص٧٨.

(2) راجع ابن عذارى، نفسه، ج٣، ص١٥٥-١٥٨؛ ابن الخطيب، أعمال الاعلام، ص١٤٤-١٤٥.

ولقد حرص كل من هؤلاء الأمراء على أن يستند فى حكمه أو إمارته على سند شرعى يستمد منه سلطانه، فمملكة اشبيلية دعت لأحد أشباه الخليفة هشام المؤيد استقدمه أبو القاسم محمد بن عباد وبايعه بالخلافة، ومجاهد العامرى أقام خليفة شرفياً من اشراف قرطبة ينتسب إلى المروانيين يدعى المعيطى نصبه بمملكته بدانية وجزر البليار ولقبه بالمنتصر بالله فى سنة ٤٠٥هـ/ ١٠١٣م فى حين تشبه عدد كبير من أمراء الطوائف بالخلفاء العباسيين فتلقبوا بألقاب الخلافة وكان ذلك مثاراً لسخرية الشعراء والكتاب فى ذلك العصر(١).

مثل قول الشاعر ابن رشيق:

مما يزهد فى أرض الأنـــــدلس	أسماء معتضد فيها ومعتمـــــد
ألقاب مملكة فى غير موضعها	كالهر يحكى انتفاخاً صولة الأسد

إمارة طرطوشة فى عصر دويلات الطوائف (نموذجاً):

بدأت طرطوشة تظهر على مسرح الحوادث فى الأندلس فى بداية القرن الخامس الهجرى (الحادى عشر الميلادى) أى منذ إندلاع الفتنة القرطبية وتدهور الخلافة الأموية، وقيام دويلات الطوائف فى الأندلس، غير أنه من الملاحظ أن إمارة طرطوشة فى عصر الطوائف كانت إمارة صقلبية ضعيفة الشأن فى شرق الأندلس، ولم يكن لها دور سياسى مؤثر

---

(١) ابن الآبار، الحلة السيراء، ج٢، ص٣٧؛ سالم، قرطبة، ج١، ص٨٨؛ العبادى فى تاريخ المغرب والأندلس، ص١٩٦ وما بعدها.

فى حوادث تلك المنطقة بالمقارنة بالدور الخطير الذى لعبته دويلات الطوائف الصقلبية الأخرى مثل بلنسية ودانية ومرسية.

وعلى أية حال لم يكد ينتهى عهد المظفر عبد الملك بن المنصور بن أبى عامر بوفاته فى سنة ٣٩٩هـ/١٠٠٩م وتولية أخيه عبد الرحمن شنجول الحجابة للخليفة هشام المؤيد، حتى بدأت فترة من أسوأ الفترات التى عرفها تاريخ الأندلس منذ الفتح الإسلامى، حيث حاول شنجول أن يدعو لنفسه بالخلافة مما أدى إلى قيام الثورة ضده، وانتهى الأمر بمقتله وسقوط الدولة العامرية فى سنة ٣٩٩هـ/ ١٠٠٩م كما سبق الذكر، وكان ذلك إيذاناً بنشوب فتنة مأساوية عرفت فى المصادر الإسلامية بالفتنة القرطبية، التى انتهت بسقوط الخلافة الأموية فى الأندلس فى سنة ٤٢٢هـ/ سنة ١٠٣١م وقيام عصر جديد يعرف بعصر دويلات الطوائف أو عصر الفرق، والذى يبدأ فعلياً مع مطلع القرن ٥هـ/ ١١م ويمثل بداية انهيار دولة الإسلام فى الأندلس(١).

ويصور ابن بسام سنوات الفتنة القرطبية تصويراً صادقاً بقوله أنها "كانت شداداً نكدات صعاباً مشئومات... قبيحة المنتهى والخاتمة، لم

---

(١) راجع التفاصيل حول فترة الفتنة القرطبية وقيام دويلات الطوائف فى: (ابن عذارى، نفسه، ج٣، نشر ليفى بروفنسال، ص٢٥٣ وما يليها؛ ابن الخطيب، أعمال الاعلام، ق٢، نشر ليفى بروفنسال، الرباط سنة ١٩٣٤، ص١٢٦ وما يليها؛ عبد العزيز سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم، ص٣٤٧ وما يليها؛ العبادى، دراسات فى تاريخ المغرب والأندلس، ص٨٧-٩٥؛ عنان، نفسه، العصر الأول، ق٢، ص٦٤٢ وما يليها؛ H. Mones, Essai Sur la chute du Califat umayyade, de cordoue, le Caire, 1984, pp, 248 sqq&Levi-Provencal, Histoire, t,II, pp.311-314.

يعدم فيها حيف.. ولا تم سرور، مع تغير السيرة وخرق الهيبة..." وقد نتج عن تلك المأساة التى بدأت سنة ٣٩٩هـ أن استغل الأمراء والقادة- من العرب والبربر والصقالبة- الفرصة وأعلنوا استقلالهم بما تحت ايديهم من مناطق، فاقتسموا خطط الأندلس، وتغلب بعضهم على بعض، مما كان له أثره الكبير فى إضعاف قوى الإسلام فى الأندلس، وبالتالى ازدياد أطماع النصارى الإسبان فى بلادهم(١).

ولعل أول إشارة وردت إلينا عن طرطوشة أثناء الفتنة القرطبية ترجع إلى سنة ٤٠٠هـ/ ١٠١٠م، أى مع بداية نشوب الفتنة، فقد خرج إليها واضح الصقلبى(٢) عندما ترك مدينة سالم(١)، عقب هزيمته أمام

---

(1) انظر ابن بسام: الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة، ق١، مجلد١، تحقيق إحسان عباس، بيروت، سنة ١٩٧٣، ص٣٦؛ المقرى، نفح الطيب، ج١، طبعة بيروت، ص٤٢٠؛ سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم، ص٣٥٢ وما يليها؛ عبد الحليم عويس، ابن حزم الأندلسى، القاهرة، سنة ١٩٨٨، ص٢٢٦؛ H. Mones, Consider a ciones sobre la epoca de los reyes de taifas, al-Andalus, Vol, XXXI, Madrid, 1960, pp. 319-320&AFIF Turk, El reino de zaragoza, Madrid, 1978, p.16.

(2) هو واضح الصقلبى أو الفتى، أحد موالى المنصور بن أبى عامر وإبنه المظفر عبد الملك، ومن أبرز الفتيان العامرية فى عهد الأخير، كان قائداً لمنطقة الثغر الأعلى واشترك فى العديد من غزوات المظفر ضد الممالك الإسبانية المسيحية وبعد مقتل شنجول ساهم واضح فى حوادث الفتنة القرطبية، فكان فى البداية من أنصار محمد بن هشام بن عبد الجبار المهدى الذى ولاه طليطلة والثغر الأوسط ثم انقلب عليه وقام بقتله وأعلن تولية الحجابة للخليفة هشام المؤيد، وكان واضح الصقلبى هذا من أكبر المناوئين للخليفة سليمان هشام المستعين وحلفائه البربر، وظل كذلك إلى أن قتل فى سنة ٤٠١/ ١٠١١م على يد ابن وداعة صاحب شرطة الخليفة هشام المؤيد بقرطبة أنظر. (ابن عذارى، نفسه، ج٣، ص٥، ٦، ١١، ١٠٥؛ عبد العزيز سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم، ص٣٣٨، ٣٤٠-٣٤٩).

جيش البربر بقيادة سليمان المستعين، فما كاد يصل إلى طرطوشة حتى بعث إلى الخليفة المستعين بقرطبة يلتمس الصفح والأمان، وفى نفس الوقت أرسل إلى نصارى برشلونة يطلب منهم المساعدة ضد المسلمين أو البربر نظير تخليه لهم عن مدينة سالم قاعدة الثغر الأوسط فى الأندلس، ووافق ريمنده (رامون بوريل الثالث Ramon Borrel III) صاحب برشلونة وأخوه أرمقند (ويسمى فى المصادر الإسبانية Amengol Conde de urgel) على ذلك العرض المغرى[٢] مما يدل على أن زعماء الفتنة القرطبية- ومنهم الفتي واضح الصقلبى- لم يهتموا قط بالمصلحة العليا لدولة الإسلام فى الأندلس، وإنما اهتموا بمصالحهم الذاتية، وفى سبيل ذلك استعانوا على بعضهم البعض بالنصارى الإسبان تحقيقاً لمطامعهم الشخصية ورغبتهم فى النفوذ والسلطان دون أدنى اعتبارات دينية أو أخلاقية.

---

(1) مدينة سالم (بالإسبانية Medinaceli): كانت فى عصر الدولة الأموية قاعدة الثغر الأوسط فى الأندلس، لمواجهتها مملكة قشتالة المسيحية، وهى تقع فى الشمال الشرقى من مجريط (مدريد) على الطريق بين مجريط وسرقسطة، وقام ببناء تلك المدينة سالم بنورعمال المصمودى أحد القادة البربر الذين دخلوا الأندلس فى الفتح الإسلامى، ولذا نسبت إليه، ويصفها الإدريسى بأنها مدينة جليلة عامرة تقع فى أرض سهيلة، وتمتاز بكثرة البساتين، انظر: (المقتبس، تحقيق محمود مكى، ص٥١٤ه ٢٨٦؛ نزهة المشتاق، ج٢، ص٥٥٣؛ محمد الفاسى، الاعلام الجغرافية الأندلسية، ص٣١).

(2) انظر ابن عذارى، نفسه، ج٣، ص٩٣؛ عبد العزيز سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم، ص٣٥٢؛ سحر سالم، تاريخ بطليوس الإسلامية، ج١، الاسكندرية سنة ١٩٨٩، ص٣٥٥-٣٥٦؛ Aguado Bleye, Manual de historia de Es Pana, t, I, Madrid, 1947, pp. 506-507&AFIF Turk, op, cit, p.45.

وكيفما كان الأمر فإن الفتي واضح الصقلبى لم يستمر طويلاً بطرطوشة، فلم يلبث أن غادرها فى نفس السنة (٤٠٠هـ) إلى طليطلة ليجتمع بها مع ابن عبد الجبار المهدى، ولحقت بهما هناك قوات حلفائه نصارى برشلونة، استعداداً لمنازلة جيش الخليفة المستعين والبربر بالحاضرة قرطبة(١).

ونتيجة لاضطراب الأحوال بالحاضرة قرطبة والحروب المستمرة بين سليمان المستعين وخصمه المهدى آثر الفتيان الصقالبة (العامرية) النجاة بأنفسهم، ومغادرة الحاضرة قرطبة والاتجاه إلى بلاد شرق الأندلس حيث أسسوا عدة دويلات طائفية صقلبية فى المرية ودانية وبلنسية ومرسية وطرطوشة، وكان من دوافع نزوحهم إلى شرق الأندلس بالذات، ما تميزت به تلك المنطقة من هدوء وإستقرار نسبي بعيداً عن أجواء الفتنة المحتدمة بقرطبة(٢) ومن ناحية أخرى يشير ابن عذارى إلى أن محمد بن هشام بن عبد الجبار المهدى لما استولى على الحكم بقرطبة سنة ٣٩٩هـ/١٠٠٩م انقلب على الطائفتين الصقلبية والبربرية واتخذ جنداً من

---

(١) ابن عذارى، نفسه، ج٣، ص٩٤.

(2) أنظر ابن عذارى، نفسه، ج٣، ص١٠٦-١١٥؛ عبد العزيز سالم، تاريخ مدينة المرية، ص٥٩؛ لطفى عبد البديع، الإسلام فى إسبانيا، القاهرة، ج٢، سنة ١٩٦٩، ص٣٧؛ كمال أبو مصطفى، تاريخ مدينة بلنسية الإسلامية، رسالة ماجستير غير منشورة نوقشت بآداب الاسكندرية سنة ١٩٨١، ص٥٦-٦١؛ H.Miranda, Historia musul., de Valencia,t,I,p. 136, David Wasserstein, The rise and fall of the party-Kings, Newjersey, 1985,p. 100&M.J.Rubiera,La taifa de Denia, p.61.

العامة وأراذل الناس وقربهم إليه، "فاستوحشوا منه" واضطر الصقالبة (العبيد أو الفتيان العامرية) إلى مغادرة قرطبة واللحاق بشرق الأندلس[١] ويضيف ابن الخطيب سبباً آخر وهو أنه لما دخل سليمان المستعين قرطبة فى سنة ٤٠٣هـ/١٠١٣م قرب إليه البربر فخشى الصقالبة من ذلك، وآثروا الفرار والالتجاء إلى شرق الأندلس حيث الأمن والطمأنينة[٢].

وتشير المصادر العربية إلى أن مجاهداً العامرى أول من استقل بطرطوشة فى بداية الفتنة وعصر الطوائف فيذكر ابن خلدون أن مجاهداً العامرى خرج من قرطبة فى سنة ٤٠٠هـ/١٠١٠م واتجه إلى طرطوشة واستولى عليها، ثم لم يلبث أن غادرها وانتقل إلى دانية واستقل بها[٣].

---

(1) البيان المغرب، ج٣، ص٨٢-٨٣.

(2) أعمال الاعلام، ق٢، ص١٣٩.

(3) أنظر. العبر ج٤، منشورات مؤسسة الأعلى، بيروت سنة ١٩٧١، ص١٦٤؛ مؤلف مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ج١، ص٢٠١-٢١٧.

وعقب ذلك تولى لبيب الصقلبى[١] (العامرى) حكم طرطوشة وكان أحد الفتيان أو الموالى العامرية الذين اشتركوا فى مبايعة عبد الرحمن (الرابع) بن محمد بن عبد الملك بن عبد الرحمن الناصر الملقب بالمرتضى بالخلافة فى شرق الأندلس حيث كان يقيم بألبونت (Alpuente)- شمال غرب بلنسية-، وذلك فى سنة ٤٠٨هـ/ ١٠١٧م (وقيل فى سنة ٤٠٧هـ) غير أن محاولة الفتيان العامرية باءت بالفشل بعد الهزيمة النكراء التى منى بها المرتضى وأشياعه العامرية فى غرناطة على أيدى البربر بقيادة زاوى بن زيرى الصنهاجي، وفيها لقى المرتضى مصرعه فى سنة ٤٠٩هـ/١٠١٨م[٢].

---

[1] جدير بالملاحظة هنا أن بعض الباحثين خلطوا بين لبيب الصقلبى الذى حكم طرطوشة فى أوائل عصر الطوائف وبين زميل نبيل الصقلبى الذى حكم طرطوشة بعد ذلك بعدة سنوات.. فيرى الباحث الإسبانى بريتو إى بيبس والباحثة الايطالية كليليا سارنللى أن نبيلا الصقلبى هو الذى استقل بطرطوشة منذ بداية عصر الطوائف (اوائل القرن ٥هـ/١١م) ويستندا فى رأيهما هذا على أنه لم يعثر على عملة تحمل اسمه الفتى لبيب، وأن العملات التى عثر عليها إنما تحمل اسم نبيل فحسب- غير أننى لا أتفق مع أصحاب هذا الرأى خاصة وأن معظم مؤرخى تلك الفترة وعلى رأسهم ابن حيان الذى ينقل عنه ابن بسام وابن عذارى علاوة على ديوان الشاعر ابن دراج القسطلى- المعاصر لتلك الفترة كلهم قد أجمعوا على أن لبيبا الصقلبى هو أول من استقل بحكم طرطوشة فى بداية عصر الطوائف وهو ما أثبتناه بالمتن، أنظر (ديوان ابن دراج، تحقيق محمود مكى ط٢، دمشق سنة ١٣٨٩، ص٩٠ بالحاشية؛ (ابن بسام، نفسه، ق٣ مجلدا، ص٢٠؛ ابن عذارى، نفسه، ج٣، ص١٦٤-٣٠٢؛ ابن الخطيب، نفسه، ق٢، ص١٩٨-٢٥٩؛ وقارن أيضاً بما ورد فى مختار العبادى، الصقالبة فى إسبانيا، ص١٩؛ كليليا سارنللى، مجاهد العامرى، ص١١٨-١٦١؛ (Prietoy Vives, Los reyes de taifas, Madrid, 1926,p.37-39).

[2] أنظر. ابن بسام، نفسه، ق٢، مجلد١، ص٤٥٣-٤٥٦؛ ابن الأثير، الكامل فى التاريخ، ج٨، نشر محمد يوسف الدقاق، بيرون سنة ١٩٨٧، ص٩٩؛ ابن الخطيب، الإحاطة فى

وحرص لبيب الصقلبى على توطيد علاقته مع جيرانه الأقوياء وخصوصاً مع مبارك الصقلبى[1] صاحب بلنسية، ويبدو أنه كان يدين له بنوع من التبعية حتى يسانده فى مواجهة عدوه المتربص به وهو منذر التجيبى[2] صاحب سرقسطة الذى كان يتطلع إلى الاستيلاء على إمارة طرطوشة فابن الخطيب يذكر أن لبيباً الصقلبى فر إلى بلنسية واستنجد بأميرها مبارك الصقلبى عندما استولى منذر التجيبى على طرطوشة

أخبار غرناطة، مجلد٣، تحقيق عبد الله عنان، القاهرة سنة ١٩٧٥، ص٢٩٧؛ ابن خلدون، العبر، مجلد٤، ص١٦٤؛ عبد العزيز سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم، ص٣٥٨-٣٥٩؛ تاريخ مدينة المرية، ص٦٤-٦٥؛ رضوان البارودى، الفهريون فى المغرب والأندلس، دار نشر الثقافة، الاسكندرية سنة ١٩٨٦، ص٤٦؛ Prieto Y Vives, op. .cit, pp. 37-38&H.Miranda op. cit, t'p. 241.

(1) هو مبارك الخصى الصقلبى أحد الموالى العامرية بشرق الأندلس، وكان فى بداية أمره عبداً لمفرج العامرى مولى المنصور بن أبى عامر ثم تولى مع زميله مظفر الصقلبى وكالة الساقية ببلنسية عند نشوب الفتنة، ولم يلبث أن ضرب الدهر ضرباته على حد قول ابن حيان فقضى لهما بالإمارة هنالك، وظل مبارك يتولى.. مع زميله مظفر- حكم بلنسية حتى مات فى سنة ٤٠٨هـ أو سنة ٤٠٩هـ/ ١٠١٧-١٠١٨م (راجع التفاصيل فى: ابن بسام: الذخيرة، ق٢، مجلداً، ص١٣ إلى ٢٠؛ ابن عذارى، نفسه، ج٣، ص١٥٩-١٦٢؛ ابن الخطيب، أعمال الاعلام، ق٢، ص٢٢٥؛ العبادى، الصقالبة، ص٢١؛ كمال أبو مصطفى، تاريخ مدينة بلنسية، ص٦٣-٧١؛ (H.Miranda,op.cit,t.I.pp. 149- .153).

(2) هو أبو الحكم منذر الأول بن يحيى التجيبى كان فى بداية أمره رجلا من عرض الجند ثم ترقى إلى القيادة بالثغر الأعلى (سرقسطة)، فى أواخر عهد الدولة العامرية، وازداد نفوذه خلال الفتنة القرطبية فأقره سليمان المستعين على ولاة بلدة سرقسطة فى سنة ٤٠٣هـ/ ١٠١٣م، وظل يحكمها هى الثغر الأعلى حتى وفاته سنة ٤١٤هـ/١٠٢٣-١٠٢٤م وخلفه ابنه يحيى أنظر التفاصيل عنه فى: (ديوان ابن دراج، تحقيق محمود مكى، ص١٠٢ الحاشية؛ ابن بسام، نفسه، ق١، مجلد١، ص١٨٠، ١٨٥-١٨٦؛ ابن عذارى، نفسه، ج٢، ص١١٣، ١٧٥-١٧٦؛ ابن الخطيب، أعمال الاعلام، ق٢، ص١٣٩. .Prieto Y Vives, op.cit,pp.43.125&AFIF Turk. Op.cit.pp.39-49.

وضمها إلى سرقسطة، وفعلاً زحف معه مبارك على رأس قوة من خمسمائة فارس من صفوة جنده، وأنزلوا الهزيمة بمنذر التجيبى، وأعاد مبارك بذلك إمارة طرطوشة إلى حليفه لبيب الصقلبى(١).

ونستنتج مما سبق أن السبب فى مبادرة مبارك لنجدة لبيب الصقلبى يرجع إلى كونهما ينتميان إلى طائفة واحدة وهى طائفة الصقالبة أو الموالى العامرسة التى كانت تحرص على تدعيم نفوذها بمنطقة شرق الأندلس فى مواجهة أطراف العنصر العربى ممثلاً فى التجيبيين أصحاب سرقسطة، الذين كانوا يطمعون فى توسيع رقعة إمارتهم ومد سلطانهم إلى طرطوشة وبلنسية، ومن جهة أخرى فإن استيلاء منذر التجيبى على طرطوشة جعل منطقة نفوذه تقترب جداً من أراضى إمارة بلنسية الخاضعة لمبارك ومظفر.

وتشير بعض المصادر إلى لبيباً الصقلبى كان موصوفاً بالحزم والدهاء والسياسة، ولذلك استطاع أن يحتفظ بحكمه لإمارة طرطوشة الضعيفة عدة سنوات، رغم قلة مواردها(٢) ولم يكتف بذلك، بل امتد نفوذه

---

(1) أنظر. ابن الخطيب، أعمال الاعلام، ق٢، ص٢٥٩-٢٦٠.

(2) تجدر الإشارة هنا إلى أن الشاعر ابن دراج القسطلى وفد على أمراء الطوائف الصقالبة بشرق الأندلس ومنهم لبيب الصقلبى صاحب طرطوشة ومدحه بقصيدة طويلة منها:

هل أبصرت عيناك بدرا طالعاً	فى الأفق إلا من هلال غارب
والله من بعدى عليك خليفة	وخليفة هديت إليه مذاهبى
بينى وبينك أن يلبى دعوتى	داعى لبيب من مناخ ركائبى

أيضاً إلى بلنسية لفترة قصيرة، فيذكر ابن بسام- نقلاً عن ابن حيان- المعاصر لتلك الحوادث أنه عقب موت مبارك صاحب بلنسية (سنة ٤٠٨ وقيل سنة ٤٠٩هـ)، قام أهلها بدعوة حليفه لبيب صاحب طرطوشة إلى حكم بلدهم، ولكنه أساء السيرة فيهم مما أدى إلى ثورة البلنسيين عليه، فاضطر للفرار إلى بلده طرطوشة، فى حين تولى مجاهد العامرى حكم بلنسية بالإضافة إلى إمارته بدانية، غير أن مصانعه لبيب الصقلبى لريمنده (Ramon Borrell) صاحب برشلونة المسيحى وحرصه على مودته والتقرب إليه حتى جعل نفسه كأحد عماله أو التابعين له أدى أيضاً إلى ثورة أهل طرطوشة عليه، فقاموا بخلعه، وقيل قضوا عليه، واستنجدوا بمنذر الأول التجيبى[١] صاحب سرقسطة، فأسرع إليهم وضم طرطوشة إلى إمارته، وحقق بذلك هدفه غير أن هذا أغضب مجاهداً العامرى الذى كان منافساً خطيراً للتجيبيين بمنطقة شرق الأندلس، ونتج عن ذلك إندلاع الحرب بين الطرفين، وانتهى الأمر باتفاق الموالى العامرية بتلك المنطقة على إسناد حكم بلنسية إلى عبد العزيز بن عبد الرحمن شنجول بن ابى

ثم يذكره ابن دراج بما يربط بينهما من خدمة الدولة العامرية فيقول:

وأهزه بشواف من عامر   تزرى بكل قرابة ومناسب

وعلى الرغم من ذلك المديح إلا أن ابن دراج لم يظفر من لبيب أو غيره من الأمراء الصقالبة بطائف. أنظر القصيدة فى: (ديوان ابن دراج، ص٩٠-٩٤).

(١) يلاحظ هنا أن ابن بسام اختلط عليه اسم صاحب سرقسطة فى تلك الفترة، فذكر أنه ابن هود، ولكن الصواب أنه منذر الأول بن يحيى التجيبى الذى حكم سرقسطة منذ سنة ٤٠٣هـ حتى سنة ٤١٤هـ/ ١٠١٢-١٠٢٣م، وهو ما أثبتناه بالمتن، أنظر (الذخيرة، ق٢، مجلد١ ص٢٠-٢١؛ ابن عذارى، نفسه، ج٣، ص١٦٥؛ AFIF Turk, op cit, p. 47.

عامر (حفيد الحاجب المنصور) فى سنة ٤١١هـ/١٠٢٠م. فى حين يتولى مقاتل الصقلبى (العامرى) حكم طرطوشة، وبذلك استقرت الأوضاع نسبياً بمنطقة شرق الأندلس(١).

ويعتبر مقاتل الصقلبى من أبرز الأمراء الصقالبة الذين تولوا حكم طرطوشة فى عصر دويلات الطوائف، فقد وصفته المصادر بالسياسة والنشاط، كما استعان بمجموعة من ذوى الكفاءة والخبرة الإدارية فى تسيير شئون إمارته، وتلقب مقاتل بمعز الدولة وسيف الملة، ويسخر ابن عذارى من ذلك فيقول أنه "لقب اخترعه لنفسه، فكان يكتب به إليه وعنه..." (٢).

ويتضح من المصادر أن مقاتلاً الصقلبى كان من بين الفتيان الصقالبة الذين بايعوا هشام بن محمد بن عبد الملك بن عبد الرحمن الناصر الملقب بالمعتد بالله بالخلافة، وكان هشام مقيماً- آنذاك- بألبونت عند بنى قاسم الفهريين بعد مقتل أخيه المرتضى، فاتفق الوزير أبو الحزم

---

(1) ابن بسام، نفسه، ق٣، مجلد١، ص٢٠-٢١؛ ابن عذارى، نفسه، ج٣، ١٦٤-١٦٥؛ كمال أبو مصطفى، تاريخ مدينة بلنسية، ص٧١؛ (H.Miranda. op. cit,t.I.pp.241- 242). وجدير بالإشارة هنا أن الأمير عبد العزيز بن أبى عامر كان يقيم بسرقسطة قبل توليه حكم بلنسية، حيث كان يعيش فى كنف صاحبها منذر بن يحيى التجيبى وظل مقيماً بها إلى أن استدعاه الفتيان العامرية لحكم بلنسية، ومن هنا يمكن أن نستنتج بأن هناك اتفاقاً توصل إليها الفتيان العامرية أو الصقالبة بشرق الأندلس مع منذر التجيبى على أن يتخلى مجاهد العامرى عن حكم بلنسية للأمير عبد العزيز بن أبى عامر، بينما تخلى منذر عن طرطوشة لمقاتل الصقلبى.

(2) البيان المغرب، ج٣، ص٢٢٤.

جهور بن جهور شيخ الجماعة بقرطبة مع أمراء الثغور من الصقالبة ومنهم مقاتل الصقلبى على إعادة الخلافة بالأندلس إلى بنى أمية، وإنهاء الخلافة الحمودية بقرطبة، وعلى هذا تمت مبايعة هشام بالخلافة فى سنة ٤١٨هـ/١٠٢٧م وتلقب بالمعتد بالله، وتمكن بمساعدة أنصاره من دخول قرطبة فى سنة ٤٢٠هـ/١٠٢٩م(١).

وتشير بعض الروايات إلى العلاقات الودية الطيبة التى كانت تربط مقاتل صاحب طرطوشة بالخليفة هشام المعتد بالله بقرطبة، حيث كان الأخير يرسل إليه بالسفارات دعماً لتلك الروابط بينهما(٢) كما كانت تربطه

---

(1) أنظر. الحميدى، جذوة المقتبس فى ذكره ولاة الأندلس، نشر الدار المصرية، القاهرة سنة ١٩٦٦، ص٢٧-٢٨؛ ابن بسام، نفسه، ق٣، مجلد١، ص٥١٥ وما يليها؛ ابن سعيد المغربى، المغرب فى حلى المغرب، ج١، ص٥٥؛ النويرى، نهاية الأرب، ج٢٢(الخاص بالمغرب والأندلس) نشر جاسبار ريميرو، غرناطة سنة ١٩١٧م، ص٢٣٧؛ عبد العزيز سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم فى الأندلس، ص٣٦٣.

(2) ابن بسام، نفسه، ق٣، مجلد١، ص٥١٤؛ ومن أمثلة السفارات التى بعثها الخليفة هشام المعتد بالله إلى مقاتل صاحب طرطوشة، السفارة التى كان على رأسها وزيرة فائز بن المغيرة لاتى اجتمع بطرطوشة مع أبى الربيع القضاعى أحد شعراء وأدباء طرطوشة أنذاك، فقال له فائز: لو لحقت بقرطبة إلى أمير المؤمنين المعتد بالله كنت تحصل بها على الوزارة معنا، فأنشده أبو الربيع ساخراً:

هبك كما تدعى وزيرا	وزير من أنت يا وزير
والله ما للأمير معنى	فكيف من وزر الأمير

وهذه الأبيات إنما تدل على مدى ما وصلت إليه الخلافة الأموية من ضعف واضمحلال فى فترة الفتنة القرطبية التى أعقبت مقتل شنجول، وظلت مشتعلة إلى أن سقطت الخلافة نهائياً فى سنة ٤٢٢ه/١٠٣١م. أنظر (الذخيرة، ق٢، م١، ص٥١٤).

علاقات وطيدة بإقبال الدولة على بنى مجاهد العامرى صاحب دانية[1] وظل مقاتل الصقلبى موالياً للخلافة الأموية بعد خلع هشام المعتد بالله فى سنة ٤٢٢هـ/١٠٣١م، فقد انضم فى سنة ٤٢٧هـ/١٠٣٥م إلى الطائفة الأندلسية التى كانت تضم أيضاً عبد العزيز بن أبى عامر صاحب بلنسية وسليمان بن هود الجذامى صاحب سرقسطة والثغر الأعلى، وابن جهور صاحب قرطبة، وابن صمادح التجيبى صاحب المرية، وكانت تلك الطائفة الأندلسية تدعو للخليفة هشام المؤيد- المزعوم- الذى نصبه القاضى أبو القاسم محمد بن إسماعيل بن عباد باشبيلية[2]، ومما يؤكد ذلك الولاء الروحى للخليفة هشام المؤيد نقش اسمه على العملة التى سكها مقاتل الصقلبى بطرطوشة، وكان هدف أمراء الطوائف- من الصقالبة- إصباغ حكمهم نوعاً من الشرعية وذلك بإعلانهم التبعية الإسمية لأحد الخلفاء الأمويين[3].

ويبدو أن العلاقات ساءت فى أواخر عهد مقاتل الصقلبى بينه وبين المنصور عبد العزيز بن أبى عامر صاحب بلنسية (ت سنة

---

(1) ابن بسام: نفسه، ق٣، مجلد١، ص٣٦٣.

(2) أنظر، ابن عذارى، نفسه، ج٣، ص١٩٠؛ عبد العزيز سالم، قرطبة حاضرة الخلافة فى الأندلس، ج١، بيروت سنة ١٩٧١، ص١٢٧؛ العبادى، دراسات، ص٨٩-٩٢؛ خالد الصوفى، جمهورية بنى جهور، دمشق سنة ١٩٥٩، ص٦٤.

(3) Andrew Handler, The Zirids of Granada, Miami, 1974, p.54 Codera Y Zaidian, Tratado de numismatica arabigo Espanola, Madrid, Madrid, 1987, pp. 181-183&Prito Y Vives, op. cit, p.37.

٤٥٢هـ/١٠٦١م)، وكان من أقوى أمراء الطوائف بشرق الأندلس، فيذكر ابن بسام أن المنصور عبد العزيز أرسل جيشاً من العبيد أو الموالى العامرية، فزحف من شاطبة إلى طرطوشة لمحاربة أميرها مقاتل الصقلبى، وانتهت الحرب بهزيمة مقاتل ومقتله فى سنة ٤٤٥هـ، مما أثار غضب المقتدر بالله أحمد بن سليمان بن هود (تولى حكم سرقسطة منذ سنة ٤٣٨هـ/١٠٤٦م حتى سنة ٤٧٥هـ/١٠٨٢م) وكان يرتبط على الأرجح بعلاقة تحالف وصداقة مع مقاتل الصقلبى والغالب أن الأخير كان يدين بنوع من التبعية لجيرانه بنى هود (ويذكره ابن بسام خطأ منذر التجيبى) وغضبه لمقتل مقاتل وإرساله كتاب تهديد ووعيد للمنصور صاحب بلنسية(١).

ومن المرجح إستناداً إلى العملة المذكورة بالإضافة إلى رواية ابن خلدون أن مصرع مقاتل الصقلبى حدث فى سنة ٤٤٥هـ/١٠٥٣-١٠٥٤م، وخلفه فى حكم طرطوشة يعلى الصقلبى (العامرى) الذى تلقب أيضاً بسيف

---

(١) الذخيرة، ق٣، مجلد١، ص٢٢٨-٢٢٩؛ (Prieto Y Vives, op. cit, pp, 38, 122). ويذكر ابن بسام أن الأمير منذر التجيبى (والصواب كما أثبتنا بالمتن أنه المقتدر بالله أحمد بن سليمان بن هود صاحب سرقسطة لأن المنذر الثانى قتل سنة ٤٣٠هـ) عندما علم بمقتل مقاتل صاحب طرطوشة على يد جيش المنصور أمير بلنسية أرسل إلى المنصور يرعد ويبرق، فراجعه أبو عامر التاكرنى كاتب المنصور ببيتى الشاعر المتنبى:

فإن كان أعجبكم عامكم   فعودوا إلى حمص فى القابل
فإن الحسام الخضيب الذى   قتلتم به فى يد القاتل

أنظر (الذخيرة، ق٣، مجلد١، ص٢٢٩).

الملـة ومعز الدولـة(١)، غيـر أنـه كـان عـاطلاً مـن صـفات سـلفه، فقـد كـان ضـعيفاً، قليـل الخبـرة بـأمور السياسـة والحكـم، ولـذا لـم يـتمكن مـن الحفـاظ على ملكه وسرعان ما وقعت طرطوشة تحت حكم الفتى نبيل الـصقلبى فـى سـنة ٤٥٠هـ/١٠٥٨م، الـذى كـان يفتقـر أيـضاً للحنكـة الـسياسية والكفـاءة الإداريـة، ولـذا ثـار عليـه أهل طرطوشـة فـى سـنة ٤٥٢هـ/١٠٦٠م، بـسبب تخبطه فى الحكم وسوء معاملته للرعية، وتشدده وعنفه معهم، ولعل جاره المقتدر بن هـود صـاحب سرقسطة لعب دوراً فـى إشـعال نـار الثـورة ضده حتى تتاح له الفرصة للتدخل وتوسعة ممتلكاتـه، وذلك ببـسط نفـوذه علـى طرطوشة أيضاً علاوة على إمارته الواسعة بسرقسطة ودانية ولاردة(٢).

وعلـى أيـة حـال فقد وجد ابن هـود فـى ثـورة أهل طرطوشـة ضد حـاكمهم نبيـل الـصقلبى ذريعـة للتـدخل العـسكرى، فزحـف بجيـشه نحـو طرطوشـة، ودخلهـا سـلماً دون مقاومـة، فـى سـنة ٤٥٢هـ/١٠٦٠م بعد أن سلمها له صاحبها نبيل الذى لجأ إلىّ بلاط ابن هود بسرقسطة وعاش فـى كنفه، وبذلك انتهت دولـة الفتيان الصقالبة العامرية بطرطوشـة(٣)، ودخلـت

---

(1) أنظر: العبر، ج٤، ص١٦٣؛ (Prieto Y Vives, op. cit, pp. 38, 122, 190).

(2) ابن عذارى، نفسه، ج٣، ص٢٢٤، ٢٥٠؛ ابن الخطيب، أعمال الاعلام، ق٢، ص١٩٨؛ عبد الله عنان، دول الطوائف، ج٣، القاهرة سنة ١٩٨٨، ص٣٧٣-٣٧٤؛ (AFIF Turk, op. cit, p. 81).

(3) ابن عذارى، نفسه، ج٣، ص٢٥٠؛ ابن خلدون، نفسه، ج٤، ص١٦٣-١٦٤؛ كليليا سارنللى، مجاهد العامرى، ص١٩٩؛ عنان، نفسه، ص٣٧٣-٣٧٤؛ (Prieto Y Vives, op. cit, p. 149&AFIF Turk, op. cit, p. 81. وجدير بالملاحظة هنا إن بعض

منذ ذلك الحين فى فلك مملكة أو إمارة بنى هود بسرقسطة، وأصبحت تتمتع بحماية بنى هود الأقوياء أصحاب الثغر الأعلى، وانعكس ذلك بطبيعة الحال على أحوالها الداخلية، فتحسنت أحوالها نسبياً عما كانت عليه فى عهد الصقالبة، ونعم أهلها بالهدوء والاستقرار والأمن فى ظل حكم بنى هود.

غير أن تلك الحالة لم تستمر طويلاً، إذ أن المقتدر بالله قبيل وفاته أقدم على تقسيم مملكته الواسعة سنة ٤٧٥هـ/١٠٨٢م بين ولديه يوسف (الملقب بالمؤتمن) والمنذر (عماد الدولة) فأسند إلى المؤتمن حكم سرقسطة وأعمالها، بينما خص المنذر بإمارة لاردة وطرطوشة ودانية، ونتج عن ذلك التقسيم نشوب الحرب الأهلية بين الأخوين، وتحالف كل منهما مع جيرانه النصارى الإسبان المتربصين بدولة الإسلام فى الأندلس، فتحالف المنذر مع سانشوراميرث **Sancho Ramirez** ملك أرغون (أراجون)، فى حين تحالف أخوه المؤتمن مع السيد القنبيطور **(El Cid Campeador)** القائد القشتالى المغامر الذى كان يعمل- غالباً- لحسابه الخاص مع جنده المرتزقة، وانتهت الحرب بهزيمة المنذر، وانعكست تلك

المصادر تذكر أن نبيلاً الصقلبى خرج من طرطوشة فى سنة ٤٥٢ وكان قد تولاها بعد صاحبها الفتى مقاتل.

أنظر (ابن عذارى، نفسه، ج٣، ص٢٢٤؛ ابن الخطيب، أعمال الاعلام، ق٢، ص١٨٩) والحقيقة أن تلك الروايات غير صحيحة، لأن من الثابت استناداً للعملة التى سكت بطرطوشة فى عصر الطوائف أن يعلى الصقلبى تولى بعد مقاتل، ثم خلف يعلى فى الحكم الفتى نبيل الصقلبى = وهو الذى سلم بلده طرطوشة لابن هود صاحب سرقسطة. أنظر:

Codera, op.cit,pp. 181-183&Prieto Y Vives. Op.cit,37-39, 189-191.

الحروب الأهلية على أحوال إمارته ومنها طرطوشة، إذ عانى أهلها من افتقاد الشعور بالأمن والطمأنينة بالإضافة إلى إرهاقهم بكثرة المغارم والضرائب لتجهيز الجيوش، ودفع رواتب الجند النصارى المرتزقة، وإرسال الهدايا والإتاوات إلى جيرانه من ملوك إسبانيا النصرانية وخصوصاً صاحب مملكة أرغون (أراجون)(١).

وفى سنة ٤٨١هـ/١٠٨٨ تعرضت طرطوشة لهجوم صليبى من البر والبحر حيث قام أسطول جنوة وغيرها من نصارى المدن أو الجمهوريات الإيطالية، بمحاصرة طرطوشة وانضم إلى الجنوية أيضاً ابن ردمير (رامون برنجير الثالث Ramon Berenguer II) صاحب برشلونة غير أن ذلك الهجوم باء بالفشل ولم يتمكن النصارى من اقتحام طرطوشة لحصانتها واستبسال جند المنذر ابن هود فى الدفاع عنها فاضطروا إلى الانسحاب، وفى ذلك يقول ابن الكردبوس "فثبتها (يقصد طرطوشة) الله ودفع عنها وانصرف جميعهم خائباً منها"(٢).

---

(1) أنظر. مذكرات الأمير عبد الله الزيرى المسماة بكتاب التبيان، نشر ليفى بروفنسال، طبعة دار المعارف بمصر، بدون تاريخ، ص٧٧-٧٩؛ ابن الكردبوس تاريخ الأندلس، تحقيق مختار العبادى، نشر معهد الدراسات الإسلامية بمدريد، سنة ١٩٧١، ص٨٦هـ١؛ عنان، نفسه، ص٤٣٢؛ ليفى بروفنسال، الإسلام فى المغرب والأندلس، ترجمة عبد العزيز سالم وصلاح الدين حلمى، الاسكندرية سنة ١٩٩٠، ص١٨٣؛ Primera Cronica General, Publicado por M. pedal., t, II, Madrid, 1955,p. 560&AFIF Turk, op. cit,pp.121-124.

(2) أنظر. ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص١٠٠؛ H.Miranda, op.cit.t,II.p.45.

وعقب وفاة المنذر بن المقتدر بن هود فى سنة ٤٨٢هـ/١٠٨٩-١٠٩٠م خلفه فى حكم لارده وطرطوشة ودانية ابنه سليمان الملقب بسيد الدولة، وكان لا يزال حدثا صغير السن، ولذا لم يتمكن من مباشرة أمور الحكم بنفسه، فتولى الوصاية عليه بنوبيطر، وهم من الأسر القوية التى اشتهرت بالحزم وقوة النفوذ(١)، غير أن بنى بيطر لم يستطيعوا الصمود فى مواجهة غارات السيد القنبيطور المتوالية على أراضى بنى هود فى طرطوشة ولاردة وغربها من مناطق شرق وشمال شرق الأندلس التى عاث فيها فساداً ونهباً وتخريباً، مما اضطر سليمان بن هود (سيد الدولة) إلى طلب حمايته مقابل إتاوة سنوية يدفعها للقنبيطور أسوة بما فعله جيرانه من أمراء الطوائف بتلك المنطقة(٢).

ويشير ابن عذارى إلى أن سيد الدولة بن هود حاول التخلص من نفوذ القنبيطور وتسلطه، فاشترك بقواته مع بعض أمراء شرق الأندلس ضمن الجيش المرابطى الذى زحف فى سنة ٤٨٨هـ/ أواخر ١٠٩٤م لنجدة بلنسية عقب سقوطها فى يد القنبيطور (سنة ٤٨٧هـ/١٠٩٤م)، ولكن

---

(1) عبد الله عنان، دول الطوائف، ص٢٩٠؛ H.Miranda, op.cit.t,II.p.38.

(2) أنظر: العبر، ج٤، ص١٦٣؛ Primera cronica General de Espana, t.II,p.562&M.Pidal, la Espana del Cid, Vol, I, Madrid, 1947,pp.386-389,414&416& H.Miranda, op.cit.t,II.p.38

محاولته أخفقت، ومني المسلمون بالهزيمة فى موقعة كوارت (Cuart) أمام جيش القنبيطور وحليفه صاحب أراجون[١].

وظلت طرطوشة تحت حكم ابن هود إلى أن استولى عليها المرابطون هى ولاردة والسهلة (سهلة بنى رزين أو شنتمرية الشرق) وألبونت وغيرها من أعمال الثغر الأعلى، وذلك بعد افتتاحهم لبلنسية، واستردادهم لها من أيدى النصارى الإسبان فى سنة ٤٩٥هـ/١١٠٢م[٢] وأنقذوا بذلك دولة الإسلام فى الأندلس من سقوط حتمى فى أيدى النصارى الإسبان، غير أن طرطوشة لم تلبث أن سقطت نهائياً فى أيدى النصارى فى سنة ٥٤٣هـ/١١٤٨-١١٤٩م، عندما استولى عليها رامون برنجير

---

(1) راجع التفاصيل حول وقعة كوارت فى: ابن عذارى، نفسه، ج٤، نشر إحسان عباس، طبعة بيروت، ص٣٤-٣٦؛ كمال ابو مصطفى، تاريخ مدينة بلنسية، ص١٤٩-١٥١؛ Pidal,op.cit,vol. I,pp. 506-507.

(2) عن استرداد المرابطين لمدينة بلنسية أنظر التفاصيل فى: ابن بسام، نفسه، ق٣، مجلد١، ص١٠٠-١٠٢؛ ابن عذارى، نفسه، ج٤، ص٤١؛ ابن الكردبوس، نفسه، ص١١٠؛ كمال ابو مصطفى، نفسه، ص١٦٢-١٦٤. Pidal, op.cit,vol,II,p.581&Miranda, op.cit, t,III,P.7&G.Remiro, Historia de Murcia musulmana, Zaragoza 1905,pp.144-145. وجدير بالذكر هنا أن المصادر لم تشر إلى تارخ دخول المرابطين مدينة طرطوشة، ولكنى أرجح أن ذلك تم بعد سنة ٤٩٥هـ، لأن استيلاء المرابطين على البونت كان فى سنة ٤٩٦هـ، وتلتها السهلة فى سنة ٤٩٧هـ، وعقب سقوط السهلة انفتح الطريق أمام المرابطين للزحف نحو طرطوشة ولارده.

الرابع (Ramon Berenguer) صاحب برشلونة بمساعدة حلفائه فرسان الداوية الصليبيين وأساطيل بيزه وجنوه[1].

---

[1] ابن الآبار، الحلة السيراء، ج٢، تحقيق حسين مؤنس، الحاشية ص٢٣٣؛ المراكشي، المعجب، ص١٢٤هـ؛ Aguado Bleye, Manual de historia de Espana, t, I,pp.662-663.

الفصلُ الثامن

ملامح عصر دولتى المرابطين والموحدين فى الأندلس

(١)

الأوضاع السياسية فى الأندلس فى عصر دولة المرابطين

١- الأندلس فى عهد يوسف بن تاشفين

كانت الأوضاع السياسية فى الأندلس قبيل عصر المرابطين إليها غاية فى السوء والتدهور، بسبب ما كانت تعانيه من التفكك السياسى تحت حكم أمراء الطوائف الذين انغمسوا فى حياة اللهو والترف والملذات، وأثقلوا كاهل رعاياهم بالمغارم والضرائب الفادحة كى يتمكنوا من دفع الجزية لالفونسو السادس ملك قشتالة، كسبا لسلمه وموادعته ورداً لخطره وحفاظاً على عروشهم(١).

ولم يكتف الفونسو السادس بإخضاع أمراء الطوائف لنفوذه وإرغامهم على دفع الجزية بل صمم على إسترداد الأندلس على نحو شامل وطرد المسلمين نهائياً من شبه الجزيرة الايبيرية مستغلاً حالة الضعف والإنحلال التى يعانى منها المسلمون فى ظل حكم أمراء الطوائف الذين تناسوا الخطر النصرانى المحدق بهم من كل ناحية وإنشغلوا فى حروب

---

(١) عن الحالة السياسية فى الأندلس قبيل عبور المرابطين راجع على سبيل المثال ابن الابار الحلة السيراء، تحقيق د. حسين مؤنس، ج٢، القاهرة ١٩٦٣، ص٩٨؛ ابن أبى زرع روض القرطاس، المطبعة الفاسية، ١٣٠٥ه، ص٩٩؛ ابن سماك العاملى، الحلل الموشية، طبعة تونس، ١٣٢٩ه، ص٢٠-٢١؛ عبد العزيز سالم، المغرب الكبير، ص٧١٧-٧١٩؛ أحمد مختار العبادى، دراسات فى تاريخ المغرب والأندلس بالاسكندرية ١٩٦٨م، ص٩٦؛ حسين مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس- دار المستقبل الطبعة الأولى ١٩٨٠، ص٧٣٢، عبد الرحمن الحجى- التاريخ الأندلسى، بغداد ١٩٧٦، ص٧٢١.

داخلية مع بعضهم البعض فانتشرت الفتن وعمت الفوضى واختل صمام الأمن من البلاد ما كان له أثره العميق على الأوضاع الاقتصادية فى البلاد بصفة خاصة.

وكانت سقوط طليطلة فى يد الفونسو السادس ملك قشتالة (فاتحة صفر سنة ٤٧٨هـ/٢٥ مايو ١٠م) بداية مرحلة خطيرة فى تاريخ الإسلام ببلاد الأندلس، كما كان له تأثير سئ على مسلمى الأندلس، وبدأ أمراء الطوائف يدركون مدى فداحة الخطر المحيط بهم فى نفس الوقت الذى كانوا يحسون بضعفهم عن مواجهته، مما دفع بعضهم أمثال المعتمد بن عباد صاحب اشبيلية والمتوكل بن الأفطس صاحب بطليوس إلى طلب المعونة والمساعدة من المرابطين الذين كانوا يتبنون فكرة الجهاد ورفع راية الإسلام، ولم يتردد هؤلاء بقيادة أميرهم يوسف بن تاشفين المرابطى فى تلبية النداء للذود عن دولة الإسلام فى الأندلس بعد أن خيم عليها شبح الإنهيار والزوال[١].

---

(١) حول سقوط طليطلة فى أيدى النصارى واستنجاد ملوك الطوائف بالمرابطين راجع: عبد الله الزيرى، مذكرات الأمير عبد الله، تحقيق ليفى بروفنسال ودار المعارف- القاهرة ١٩٥٥م- ص٦٧-٧٧؛ ابن بسام، الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة، قسم٤، مجلد١، طبعة القاهرة ١٩٤٥، ص١٢٧؛ ابن الكردبوس تاريخ الأندلس (قطعة من كتاب الاكتفاء فى أخبار الخلفاء) وتحقيق د.مختار العبادى، طبعة معهد الدراسات الاسلامية بمدريد، ١٩٧١، ص٨٥؛ ابن الأثير، الكامل فى التاريخ، ج٨، المكتبة التجارية القاهرة، بدون تاريخ، ص١٣٨؛ ابن خلدون، العبر، طبعة بولاق- القاهرة ١٢٨٤هـ، ص١٨٦؛ ابن الخطيب، أعمال الاعلام، ق٣، تحقيق مختار العبادى والكتانى، ص٢٣٧.

وعبر يوسف بن تاشفين إلى الأندلس عبوره الأول فى ربيع الأول سنة ٤٧٩هـ/ يوليو ١٠٨٦م، ونزل بجيشه فى الجزيرة الخضراء، ثم اتجه إلى اشبيلية حيث وافته جيوش الأندلس- وكان الفونسو السادس- آنذاك- يحاصر مدينة سرقسطة، فلما علم بنزول المرابطين إلى الأندلس رفع الحصار عنها، وطلب النجدة من الممالك النصرانية المجاور فأمدته ببعض القوات، وسارت الجيوش النصرانية على رأسها الفونسو السادس للقاء المرابطين والقوات الأندلسية قرب بطليوس بفحص يقع شمالها تسمية المصادر الإسلامية الزلاقة يعرف فى الإسبانية باسم Zalaca أو Sacrajas ولم يلبث أن اشتبك الجيشان فى معركة شديدة، انتهت بهزيمة ساحقة للنصارى وذلك صباح الجمعة ١٢ رجب سنة ٤٧٩هـ/٢٣ أكتوبر ١٠٨٦م ويرجع الفضل فى هذا الانتصار المؤزر الذى حققه المسلمون إلى ثبات القوات المرابطية واستبسالها فى المعركة التى قتل فيها الآلاف من النصارى، ونجا ملكهم الفونسو من الموت بأعجوبة حيث فر فى بضع مئات من جنده عائداً إلى بلاده قتشالة[1].

---

[1] عن تفاصيل موقعة الزلاقة راجع: الأمير عبد الله الزيرى، مذكرات ١٠٤-١٠٦؛ ابن الكردبوس، نفسه، ص٩٢-٩٤؛ ابن الأثير، الكامل، ج٨، ص١٤١-١٤٢؛ عبد الواحد المراكشى، المعجب، ص١٩٣-١٩٥؛ ابن الآبار، الحلة السيراء، ج٢، ص١٠٠-١٠١؛ ابن عذارى، البيان المغرب، ج٤، ص١٣٦-١٣٨؛ النويرى، نهاية الأرب، ج٢٢ (الخاص بالمغرب والأندلس نشر جاسبار ريميرو، غرناطة ١٩١٦، ص٢٥٢-٢٥٤؛ ابن خلدون، ج٦، ص١٨٦؛ ابن أبى زرع، نفسه، ص١٠١-١٠٣؛ الحلل الموشية، ص٣٩-٤٠؛ سالم، المغرب الكبير، ص٢٣-٢٧٦؛ العبدى دراسات، ص٩٦-٩٧؛ حسن محمود، قيام دولة المرابطين، القاهرة، ٢٧٦-٢٨٠؛ سحر السيد عبد العزيز سالم، التاريخ السياسى

وكان لانتصار الزلاقة نتائج هامة منها أنه وضع حداً لسياسة الاسترداد التى كان يتزعمها الفونسو السادس، وقلب موازين القوى فى الأندلس لصالح المسلمين أو على الأقل أحدث نوعاً من توازن القوى هناك، ومن ناحية أخرى حرر أمراء الطوائف من الخضوع لالفونسو ودفع الجزية له، كما رفع من شأن المرابطين أمام الرأى العام الإسلامى عامة والأندلسى بصفة خاصة، وأظهرهم فى صورة المجاهدين من الإسلام المدافعين عن أراضيه وثغوره(١)، وفى ذلك يقول عبد الواحد المراكشى : "... فلما قهر الله العدو وهزمه على يد أمير المسلمين أظهر الناس اعظامه ونشأ له الود فى الصدور.." (٢) .. وأظهروا (أى أهل الأندلس) التيمن بأمير المسلمين والتبرك به وكثر الدعاء له فى المساجد وعلى المنابر وانتشر له من الثناء بجزيرة الأندلس ما زاده طمعاً فيها(٣).

غير أن أمير المسلمين يوسف بن تاشفين لم يلبث أن استدعى إلى المغرب ليرث الحكم عندما علم بوفاة الأمير أبى بكر بن عمر زعيم

لمدينة بطليوس، رسالة ماجستير غير منشورة نوقشت بآداب الاسكندرية- نوفمبر ١٩٨٤، ص٤٢٣-٤٥٥.

(1) أنظر: ابن الكردبوس، نفسه، ص٩٥؛ ابن أبى زرع، نفسه، ص١٠٣؛ سالم، نفسه، ص٧٢٦؛ حسن محمود، نفسه، ص٢٨٢-٢٨٦؛ محمد عبد الله عنان، تراجم إسلامية مشرقية وأندلسية، الطبعة الثانية، القاهرة ١٩٧٠؛ ص٢٣٢؛ مؤنس، معالم، ص٣٧٣؛ محمد بن عبود، معركة الزلاقة، مجلة البحث العلمى، العدد ٣٣، الرباط، نوفمبر ١٩٨٢، ص٥٠-٥٢.

(2) أنظر: المعجب، ص١٩٦.

(3) عبد الواحد المراكشى، نفسه، ص١٩٥.

المرابطين سنة ٤٨٠هـ/ ١٠٨٧م، وبذلك لم يتمكن من استغلال نصرة فى الزلاقة ومطاردة فلول الجيش النصرانى ومحاولة استعادة طليطلة(١)، وقد ترتب على ذلك استعادة القوى المسيحية فى إسبانيا لقواها المبعثرة وتمكنها من لم شتاتها وبدأوا يشنون الغارات على الأراضى الإسلامية المتاخمة لهم، كما أخذ فرسان النصارى الإسبان بحصن لييط (بالإسبانية Aledo)- قرب لورقة- يعيثون فساداً فى منطقة مرسية فى نفس الوقت الذى يقوم فيه أحد المغامرين النصارى وهو السيد القنبيطور (أو القمبيطور Campeador) بأعمال السلب والنهب فى جهات بلنسية وشاطبة ولارده والسهلة(٢).

وعجز أمراء الطوائف عن مواجهة هذا الخطر مما اضطر يوسف بن تاشفين إلى عبور البحر إلى الأندلس للمرة الثانية سنة ٤٨١/ ١٠٨٨م حيث اتجه بصحبة القوات الأندلسية إلى حصن لييط، وحاصره مدة أربعة أشهر، اشتد خلالها التنازع والانشقاق بين أمراء الطوائف، فى الوقت

---

(1) يذكر ابن أبى زرع أن سبب عودة يوسف إلى المغرب وفاة ابنه أبى بكر سير (روض القرطاس، ص١٠٥) غير أننى أرجح رأى د. حسن محمود وهو أن رحيل يوسف كان لوفاة أبى بكر عمر زعيم المرابطين وأميرهم سنة ٤٨٠هـ/١٠٨٧م، خاصة وأن يوسف كان لا يزال عامل أبى بكر على المغرب، فأحب أن يعجل بالعودة ليرث تلك أبى بكر ويأخذ البيعة لنفسه وإلا اغتصبها بعض الأمراء الآخرين منتهزين فرصة تغيبه فى الأندلس وإنشغاله بالجهاد ضد النصارى أنظر (حسين محمود، قيام دولة المرابطين، ص٢٨٧).

(2) أنظر: ابن أبى زرع، نفسه، ص١٠٥-١٠٦؛ سالم، المغرب الكبير، ص٧٢٩؛ حسن محمود، نفسه، ص٢٨٩.

الذى وصلت فيه النجدة من الفونسو السادس للمحاصرين، مما أدى إلى فشل المرابطين فى الاستيلاء على الحصن وانسحابهم، حيث قام يوسف بعبور البحر عائداً إلى مراكش وصمم منذ ذلك الوقت على خلع أمراء الطوائف بعد أن أخفقت محاولات توحيد صفوفهم وثبت عجزهم عن مواجهة النصارى فى الأندلس، بل وتعاون بعضهم مع العدو، كما أن هناك عاملاً آخر كان سبباً رئيسياً فى تغير يوسف على أمراء الطوائف وعزمه على خلعهم هو سوء معاملة رعاياهم وإثقال كاهلهم بالضرائب الجائرة غير الشرعية بينما كان المرابطون لا يأخذون إلا ما أمر به الكتاب والسنة مما دفع بالكثير من الرعايا الأندلسيين إلى الإلتجاء إلى معسكر يوسف يشكون له مدى الظلم والتعسف الذى يتعرضون له فى ظل الطوائف، ويطالبون بالعدل والإصلاح الذى ينعم به أهل العدوه المغربية(١).

وعلى هذا عزم يوسف بن تاشفين على خلع أمراء الطوائف بعد أن استفتى الفقهاء، فأجازوا عزلهم- وعبر إلى الأندلس للمرة الثالثة فى رجب ٤٨٣هـ/ سبتمبر ١٠٩٠م وشرع فى خلع أمراء الطوائف عن عروشهم الواحد بعد الآخر وذلك بين سنة ٤٨٣هـ/ ١٠٩٠م وسنة ٤٨٨هـ/

---

(١) حول حصار لييط والحوداث التى تلت ذلك أنظر التفاصيل فى: عبد الله الزيرى ص١٠٨-١٠٩؛ ابن الأثير، الكامل، ج٨، ص١٣٤؛ ابن الآبار، الحلة السيراء، ج٢، ص٨٥-٨٦؛ ابن زرع، ص١٠٦؛ ابن سماك العاملى، الحلل الموشية، ص٥٠-٥١؛ ابن الخطيب، أعمال الاعلام، ق٣، ص٢٤٩؛ النويرى، نهاية الأرب، ج٢٢، نشر ريميروز، ص١٨١؛ سالم، المغرب الكبير، ص٧٣٠-٧٣١؛ حسن محمود، نفسه، ص٢٩٢؛ مؤنس، معالم، ص٣٧٣؛ الحجى، التاريخ الأندلسى، ص٤٢٢.

١٠٩٥م واستثنى منهم سوى المستعين بالله بن هود صاحب سرقسطة، كما واصل المرابطون جهادهم فى شرق الأندلس واستردوا بلنسية من يد دونيا خيمينا Dona Jimena زوجة السيد القنبيطور فى سنة ٤٩٥هـ/ ١١٠٢م(١).

وهكذا تمكن يوسف بن تاشفين من توحيد المغرب والأندلس فى دولة واحدة عاصمتها مدينة مراكش، وبدأ الغرب الإسلامى ينعم فى عهده بالإزدهار والأمان اللذين حُرم منهما منذ أيام الناصر والحكم المستنصر والمنصور بن أبى عامر.

وفى سنة ٤٩٧هـ/ ١١٠٣م عبر أمير المسلمين يوسف البحر إلى الأندلس للمرة الرابعة والأخيرة بعد أن وحد العدوتين وذلك ليضع أسس الدولة المرابطية الموحدة، ويتفقد أحوال الأندلس كما قام بمبايعة ولده على بن يوسف بولاية العهد إحساساً منه بدنو أجله ولم يلبث أن أصيب

---

(١) راجع التفصيلات فى: مذكرات الأمير عبد الله، ص١٥٤-١٥٥، ١٦٢؛ ابن الكردبوس، نفسه، ١٠٤-١١٠؛ ابن الأثير، نفسه، ج٢، ص١٤٤-١٤٥، تحقيق د. إحسان عباس، ص٤١؛ ابن أبى زرع، ص١٠٧-١٠٨؛ الحلل الموشية، ص٥١-٥٣؛ ابن خلدون، الجدر، ج، ص١٨٧-١٨٨؛ السلاوى، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ج٢، تحقيق جعفر الناصرى، الدار البيضاء، ١٩٥٤، ص٣٩-٤٨؛ سالم، نفسه، ص٧٣١-٧٣٤؛ حسن محمود، نفسه، ص٣٠٣-٣٠٥؛ مؤنس الثغر الأعلى الأندلسى فى عصر المرابطين، مجلة كلية الآداب- جامعة فؤاد الأول، م١١، ج٢، ١٩٤٩، ص٩٥-٩٦، عنان، تراجم إسلامية، ص٢٣٢-٢٣٣؛ كمال ابو مصطفى، تاريخ مدينة بلنسية الاسلامية حتى سقوطها فى أيدى المرابطين، رسالة ماجستير، غير منشورة، نوقشت بآداب الاسكندرية ١٩٨١، ص١٦٢-١٦٤.

بمرض شديد توفى على أثره بمراكش أول المحرم سنة ٥٠٠هـ/ سبتمبر ١١٠٦م[١].

وهكذا توفى يوسف تاركاً لابنه على بن يوسف بن تاشفين امبراطورية ضخمة موحدة ثابتة الأركان، ونعم أهل الأندلس فى عهده بفترة من الأمن والهدوء والإزدهار بعد أن رفع عنهم ظلم أمراء الطوائف، ونشر العدل فى ربوع البلاد، محتكماً فى جميع أموره للكتاب والسنة فيذكر صاحب الحلل الموشية أن بلاد الأندلس أقامت "فى مدته سعيدة حميدة فى رفاهية عيش وعلى أحسن حال لم تزل موفورة محفوظة إلى حين وفاته..." [٢].

٢- الأندلس فى عهد على بن يوسف:

خلف على بن يوسف أباه فى حكم دولة المرابطين فى المحرم سنة ٥٠٠هـ/ سبتمبر ١١٠٦م، وعمره لا يتجاوز آنذاك ثلاثة وعشرين عاماً،

---

[١] أنظر: ابن الكردبوس، ص١١٢؛ أبى زرع، ص١٠٩، حسن محمود، نفسه، ص٣٢١؛ سالم، نفسه، ص٧٣٨.

[2] انظر ابن سماك العاملى، الحلل الموشية، ص٥٩؛ ويذكر ابن عذارى أن أمير المسلمين يوسف استعمل الحزم والعزم لنصرة الدين وإظهاره لكلمته وتعضيد الإسلام، ورثاه جماعة من الشعراء منهم أبو بكر بن سوار الاشبونى الذى أنشد على قبره:

اسمع أمير المسلمين وناصر الدين   الذى بنفوسنا نفديه
جوزيت خيراً عن رعيتك التى   لم ترض فيها غير ما يرضيه
فى كل عام غزوة مبرورة   تردى عديد الروم أو تفنيه

أنظر (البيان المغرب، ج٤، ص٤٧).

وسار على نفس نهج والده فى مواصلة حركة الجهاد ضد النصارى والميل للفقهاء والعمل بمشورتهم(١).

لم يكد أمير المسلمين على بن يوسف يرتقى دست الإمارة حتى قرر العبور إلى الأندلس لتنظيم شئونها وتفقد أحوالها فعبر البحر من سبته ونزل بالجزيرة الخضراء فى سنة ٥٠٠هـ/ أوائل ١١٠٧م، ثم قام بعدة تغييرات إدارية منها إسناد ولاية غرناطة إلى أخيه أبى الطاهر تميم وتنصيبه قائداً عاماً على القوات المرابطية فى الأندلس، وقيامه بتعيين أبى عبد الله محمد بن أبى بكر اللمتونى على ولاية قرطبة، بينما ولى محمد بن الحاج على المغرب ثم نقله إلى حكم بلنسية(٢).

وبعد وفاة على بن يوسف إلى المغرب بعث إلى أخيه تميم والى غرناطة وقائد الجيوش المرابطية بأن يستأنف حركة الجهاد ضد النصارى الإسبان وبالفعل سار تميم على رأس الجيش المرابطى صوب مدينة أقليش **Ucles** الحصينة بكورة شنتبريه **Santaver** شرقى طليطلة، فتمكن من فتحها فى ١٥ شوال ٥٠١هـ/ ٢٨ مايو ١١٠٨م. ولجأ من بها من

---

(1) ابن الكردبوس، ص١١٣؛ ابن الأثير، الكامل ج٢، ص٢٣٦؛ ابن أبى زرع، ص١٠٩، الحلل الموشية، ص٦١؛ عبد الله عنان عصر المرابطين والموحدين، ق١، القاهرة ١٩٦٤، ص٥٧؛ اويثى ميراندا، على بن يوسف وأعماله فى الأندلس- مجلة تطوان العدد٣-٤ سنة ٥٨-١٩٥٩، ص١٥٥.

(2) انظر: ابن عذارى، نفسه، ج٤، ص٤٨-٤٩؛ ابن أبى زرع، نفسه، ص١١١؛ ابن سماك العاملى، الحلل الموشية، ص٦٢؛ عن عصر المرابطين والموحدين، ق١، ص٥٩-٦٠؛ اويثى ميراندا، على بن يوسف، ص١٥٦؛ ليفى بروفنسال الاسلام فى المغرب والأندلس، ترجمة د. عبد العزيز سالم، وصلاح حلمى، القاهرة ١٩٥٦، ص٢٤٥.

النصارى إلى قصبه أقليش الحصينة وامتنعوا بها إنتظاراً للمدد وهنا أرسل إليهم الفونسو السادس جيشاً بقيادة الأمير الصبى سانشو Sancho ولد الفونسو وولى عهده الوحيد وبصحبة القائد البرهانس والكونت غرسيه أورد نييثيت وقاده آخرين، ولذا عرفت فى المصادر الإسبانية باسم معركة القوامس السبعة (بالإسبانية Batalla de Los siete Condes وانتهت بهزيمة ساحقة للجيش القشتالى قتل فيها الآلاف فى مقدمتهم الأمير سانشو والقوامس السبعة الذين كانوا معه وذلك فى ١٦ شوال ٥٠١هـ/ ٢٩ مايو ١١٠٨م. كما استولى المسلمون على قلعة اقليش وبعد الحصون المجاورة مثل وبذه وقونكه وغيرها.

وسقط الفونسو السادس مريضاً إثر هذه الهزيمة النكراء التى لقى فيها ولده مصرعه، ولم يلبث أن توفى حزناً عليه(١).

وبعد هذا النصر الساحق فى أقليش تشجع المرابطون واتجهوا بقيادة أمير المسلمين على بن يوسف (سنة ٥٠٣هـ/ ١١٠٩م صوب منطقة طليطلة حيث شنوا عليها غارات وخربوا ما حولها واسترجعوا بعض

---

(١) حول تفاصيل وقعة اقليش راجع: ابن الكردبوس، ص١١٤؛ ابن القطان، نظم الجلان من ٥-٩؛ ابن أبى زرع، ص١١١؛ ابن عذارى، نفسه، ج٤ ن ص ٤٩-٥٠؛ النويرى، نهاية الأرب، ج٢٢، ص١٨٥؛ ابن الخطيب، اعمال الاعلام، ق٣، ص٢٥٣، ابن خلدون، العبر، ج٦، ص١٨٨؛ سالم، نفسه، ص٤٣٥؛ ابراهيم حركات النظام السياسى والحربى فى عهد المرابطين، الدار البيضاء، بدون تاريخ، ص٢٣٤-٢٣٥؛ مؤنس الثغر الأعلى، ص١٠٧-١٠٨؛ عنان عصر المرابطين والموحدين، ق١، ص٦٤-٦٦؛ واويثى مراندا، على بن يوسف، ص١٥٦-١٥٧؛ ليفى بروفنسال، الاسلام فى المغرب والأندلس، ص٢٤٥-٢٤٦؛ حمدى عبد المنعم محمد، دولة على بن يوسف المرابطى فى المغرب والأندلس، رسالة ماجستير غير منشورة نوقشت بآداب الاسكندرية ١٩٨٠، ص٨٦-٩٤.

المدن مثل طلبيرة ومجريط ووادى الحجارة، وحاصروا طليطلة نفسها شهراً دون نتيجة لمنعتها وحصانتها، ثم عاد على بن يوسف إلى قرطبة ظافراً بعد أن مكن للمسلمين فى مناطق الثغور، وأنزل الرعب فى قلوب النصارى الإسبان(١).

وفى نفس العام (٥٠٣هـ/ ١١٠٩-١١١٠م) اتجه جيش مرابطى من بلنسية بقيادة محمد بن الحاج صوب سرقسطة، وتمكن من إنتزاعها من يد صاحبها عماد الدولة عبد الملك بن المستعين بن هود، الذى لجأ إلى حصن روطه(٢) فى حماية الفونسو الأول (المحارب) ملك أراجون(٣).

وفى تلك الأثناء أيضاً أرسل أمير المسلمين قائده سير بن أبى بكر فى حملة إلى بلاد غرب الأندلس وتمكن من استرداد بعض المدن الهامة

---

(1) انظر: ابن الكردبوس، ص١١٦-١١٧؛ ابن القطان، ص١٣؛ ابن عذارى، ج٤، ص٥٢؛ ابن أبى زرع، ص١١٢؛ الحلل الموشية، ص٦٢؛ اعمال الاعلام، ق٣، ص٢٥٣-٢٥٤؛ سالم، نفسه؛ عنان عصر المرابطين، ق١، ص٦٧-٦٩؛ ومؤنس الثغر الأعلى، ص١٠٨؛ اويثى ميراندا، على بن يوسف، ص١٥٧-١٥٩.

(2) كانت روطه تقع بكورة سرقسطة على نهر شلون أحد روافد نهر ابرة، وهى اليوم تتبع محافظة وشقة والملاحظ أن هناك مدينة أخرى بنفس الاسم (روطه) كانت بالقرب من شريش بجنوب غرب الأندلس- أنظر (الحلة السيراء، تحقيق د. مؤنس، هـ٢، ص٢٤٦).

(3) روض القرطاس، ص١١١؛ أعمال الاعلام، ق٢، ص٢٢٢-٢٢٣؛ سالم، نفسه، ص٧٣٥.

من أيدى النصارى مثل شنترين ويابره وبرتقال واشبونه وذلك فى سنة ٥٠٤هـ/ ١١١١م[١].

ومن الأعمال الهامة لأمير المسلمين على بن يوسف استرداده الجزائر الشرقية (جزر البليار) فى سنة ٥٠٩هـ/ ١١١٦م من أيدى الغزاه النصارى من بيزة وجنوة وقطلونية، وكانوا قد استولوا عليها عنوة بعد حصار شديد وذلك فى سنة ٥٠٨هـ/ ١١١٥م[٢].

وفى سنة ٥١١هـ/ ١١١٧م عبر أمير المسلمين البحر إلى الأندلس للمرة الثالثة منذ توليه الإمارة فنزل باشبيلية وأقام بها بعض الوقت إلى أن انضمت إليه القوات المرابطية وسار بها نحو غرب الأندلس لغزو إمارة البرتغال الناشئة، وتمكن من فتح مدينة قلمرية وأعمل السلب والقتل والتخريب فى تلك المنطقة، ولم تستطع قوات الملكه تيريسا ملكة البرتغال أن تصمد أمامه، ففر النصارى وتحصنوا بمعاقلهم- وتشير المصادر المسيحية إلى أن المرابطين دخولا قلمرية فى ٢٢ يونيو ١١١٧م (يوافق ١٨ صفر ٥٢٢م) ويؤكد ذلك قول صاحب الحلل الموشية وفى سنة إحدى

---

(1) المراكشى، المعجب، ص٢٢٨-٢٣٢؛ ابن زرع، ص١١٢؛ السلاوى، الاستقصا، ج٢، ص٥٩؛ سالم، نفسه، ص٧٥٣؛ عنان، نفسه، ق١، ص٧٠.

(2) عن غزو النصارى للجزائر الشرقية واسترداد المرابطين لها أنظر: ابن الكردبوس، ص١٢٢؛ ابن القطان، نفسه، ص٢٠؛ روض القرطاس، ص١١٣؛ وثائق تاريخية جديدة فى عصر المرابطين، نشر محمود قلى صحيفة معهد الدراسات الاسلامية بروذ، مجلد٨، ١٩٦٠، ص١٥٩؛ عنان، عصر المرابطين، ق١، ص٧٦-٧٧؛ الحجى التاريخ ألندلسى، ص٢٦؛ مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس، ص٣٧٥.

عشر وخمسمائة افتتح (أى على بن يوسف) فيها مدينة قلمرية ودوخ بلاد الشرك بجيوش لا تحصى وكان أثره بها عظيماً(١).

وهكذا كان للجيش المرابطى اليد الطولى فى المعارك ضد النصارى على الجبهة الشمالية والغربية حيث مملكة قشتالة وإمارة البرتغال، غير أن الموقف على الجبهة الشمالية الشرقية يختلف تمام الاختلاف حيث واجه المرابطون الكثيرة من المشاق والأخطار التى هددتهم وفى تلك الناحية، ظلت الحرب مستعره مدة بين المرابطين وبين النصارى الأرغونيين والقطلانيين يقودهم ملكان مسيحيان على جانب كبير من الهمة والنشاط والعزم هما الفونسو الأول (المحارب) ملك أرغون (أراجون)، ورامون بيرنجير الثالث Ramon III صاحب قطلونية(٢).

ففى سنة ٥١٢هـ/ ١١١٨م زحفت حشود هائلة من قوى المسيحيين نحو أراضى المسلمين فى حملة صليبية واضحة المعالم. لأنها كانت تتألف من طوائف عديدة من الفرنج(٣)، بقيادة الفونسو المحارب

---

(1) ابن سماك العاملى، الحلل الموشية، ص٦٢-٦٣؛ عنان، نفسه، ص٨٠-٨١؛ الحجى، نفسه، ص٤٢٨.
ويجدر الاشارة إلى أن أمير المسلمين لم يحتفظ بمدينة قلمرية لموقعها الناشئ عن الأراضى الاسلامية، يذكر ابن عذارى أنه لم يلبث أن انصرف عنها إلى اشبيلية (البيان المغرب، ص٦٣).

(2) أنظر: سالم المغرب الكبير، ص٧٣٣؛ مؤنس، الثغر الأعلى، ص١٠٦-١٠٧.

(3) راجع تفاصيل ثورة قرطبة فى ابن القطان، نفسه، ص٣؛ ابن عذارى، نفسه، ج٤، ص٦٦؛ النويرى، نفسه، نشر جاسبار ريميرو، ص١٨٥-١٨٦؛ الحلل الموشية، ص٦٣؛

(تسمية الراوية العربية ابن ردمير) نحو سرقسطة وأغاروا عليها ثم على قرطبة ونشبت الفتنة ونهب القرطبيون دور المرابطين بالمدينة وأحرقوها وحاصروا قصر الوالى نفسه، مما دعا أمير المسلمين إلى الحضور بنفسه إلى قرطبة، حسماً لمادة الفتنة وتم الصلح على أن يؤدى القرطبيون مالا عوضاً عما نهب من أموال المرابطين.

ولم تلبث بلاد الأندلس أن اضطربت مرة أخرى على المرابطين، عندما قام الفونسو المحارب بحملته الكبرى فى سنة ٥١٦هـ/ ١١٢٥م بايعاز من المعاهدين النصارى بغرناطة، الذين استثاروا طمعه وحرضوه على غزو جنوب شرق الأندلس، فشن غارة تخريبية اخترق فيه المسلمين مخرباً ومدمراً المدن والقرى والحصون الإسلامية التى كانت تصادفه أثناء سيره من سرقسطة حتى وصوله أمام غرناطة التى حاصرها بعض الوقت سنة ٥٢٠هـ/ ١١٢٦م دون جدوى، فانسحب منها متجهاً إلى بلش (قرب مالقة) حيث واصل أعمال السلب والتخريب فى تلك المناطق وانتصر على قوات المرابطين عند حصن الرينسول قرب اليسانه على الطريق المتجه من غرناطة إلى قرطبة، ثم رجع إلى بلاده أراجون بعد أن أمضى ما يقرب من خمسة عشر شهراً فى تلك الغزوة[1].

سالم، قرطبة حاضرة الخلافة، ج١، ص١٤٣-١٤٤؛ عنان، نفسه، ص٨١-٨٤؛ حمدى عبد المنعم، على بن يوسف المرابطى، ص٨١-٨٢.

(1) تفاصيل عن حملة الفونسو المحارب، راجع ابن الأثير، نفسه، ج٨، ص٣١٩؛ ابن عذارى، نفسه، ج٤، ص٦٩-٧٢؛ الحلل الموشية، ص٦٦-٧٠؛ وثائق تاريخية جديدة،

وعلى أثر تلك الغارة المخربة جاز الفقيه أبو الوليد بن رشد[1] قاضى الجماعة بقرطبة إلى مراكش حيث قابل أمير المسلمين على بن يوسف واوضح له غدر النصارى المعاهدين وما سببوه للمسلمين من مآسى وأهوال نتيجة استدعائهم لألفونسو المحارب (ابن ردمير) والإنتصار به ومعاونته ضد المسلمين، وأفتاه بتغريبهم واجلائهم عن بلادهم، وتم ذلك بالفعل (٥٢٠هـ/ ١١٢٧م) حيث نفى النصارى المعاهدين إلى مدن المغرب الأقصى.

ويشير ابن القطان إلى وقعة أخرى نشبت بين المرابطين والأرغونيين فى سنة ٥٢٣هـ/ ١١٢٩م عند القليعة أو القلاعه الواقعة بالقرب من جزيرة شقر، انتهت بهزيمة المسلمين، فيقول: "فالتقى الجمعان هنالك (أى بالقليعة) وانهزم المسلمون وتبعهم العدو، وذهب أكثر الرجاله قتلاً وأسراً، فبلغ ذلك على بن يوسف فغاظه وأمر بالكتب إلى لمتونة بالخزي.

وبينما كانت الهزائم تتوالى على المرابطين فى الأندلس على أيدى الأرغونيين، إذ بالموقف يسوء بالمغرب أيضاً، وتضطرب أحوالهم هنالك

نشر محمود مكى، ص١٢ وما بعدها؛ عنان قصر المرابطين، ق١، ص١٠٨-١١٢؛ الحجب، نفسه، ص٤٣٣.

(1) هو أبو زكريا حيبى بن على غانيه الصحراوى، وغانيه اسم امه، وقد تزوج عامل قرطبة أبو عبد الله محمد بن الحاج من أمه غانيه هذه بعد موت أبيه وكفله وولده مدينة استجه ثم تولى بعد ذلك مرسية وبلنسية، أنظر (نظم الجمان، تحقيق د. محمود مكى، هـ٣، ص٢٢٠-٢٢١).

بسبب قيام الثورة الموحدية بزعامة محمد بن تومرت المعروف بالمهدى والذى تمت مبايعته فى تينملل بالمغرب الأقصى سنة ٥١٥هـ/ ١١٢١م، وازداد أتباعه ونفوذه هناك حتى أصبح يشكل خطراً كبيراً على الدولة المرابطية فنشبت بين المرابطين والموحدين عدة معارك تبادل فيها الجانبان النصر والهزيمة ولم تحسم المعارك لأى منهما، إلى أن توفى المهدى ابن تومرت وخلفه فى زعامة الموحدية عبد المؤمن بن على وذلك فى سنة ٥٢٤هـ/ ١١٣٠م الذى اتخذ لقب إمارة المؤمنين وهو يعتبر المؤسس الحقيقى للدولة الموحدية.

واستغل الفونسو الأول ملك أراجون انشغال المرابطين بالثورة الموحدية فى المغرب لاستئناف نشاطه العسكرى ضد المسلمين فى المناطق المجاورة لحدوده وتمهيداً للاستيلاء على بقية قواعد الثغر الأعلى، وطرد المسلمين منها خاصة مدن لارده وافراغه ومكناسة وطرطوشة، فأعد جيشاً كبيراً اتجه صوب مكناسة فاستولى عليها، ثم عرج على مدينتى لارده وافراغه للاستيلاء عليها، فالتقى بالمرابطين هناك، حيث دارت معركة شديدة بين الطرفين تحت أسوار مدينة افراغه الواقعة جنوب لارده سنة ٥٢٨هـ/ ١١٣٤م، واستبسل فيها المسلمون بقيادة ابن غانية وانتهت بهزيمة ساحقة للنصارى الأراجونيين أعادت للأذهان إنتصارات المرابطين فى الزلاقة واقليش، وغنم المسلمون الكثير وتذكر الرواية المسيحية أن الفونسو المحارب لقى حتفه فى تلك الموقعة،

وإن كانت هناك رواية أخرى نرجحها تشير إلى أنه توفى بعدها بايام قلائل.

ولم يلبث القشتاليون فى أعقاب وقعة افراغه أن قاموا فى نفس العام (٥٢٨هـ/ ١١٣٤م) بشن غارة عنيفة على اراضى بطليوس وعاثوا فى نواحيها نهباً وتخريباً، فاسرع إليهم لأمير تاشفين بن على بن يوسف حيث التقى بهم عند فحص الزلاقة قرب بطليوس، وأوقع بهم هزيمة نكراء، ثم عاد إلى قرطبة ظافراً[١].

وفى أواخر عهد على بن يوسف أخذت دول المرابطين تسير سريعاً نحو الاضمحلال والتدهور بسبب الهزائم المتوالية التى تكبدها المرابطون على أيدى الموحدين فى الوقت الذى تعرضت فيه البلاد لغارات الممالك المسيحية فى الشمال والغرب مما ترتب عليه احتلال الأمن فى الأندلس وأثر ذلك بالتالى على الأوضاع الاقتصادية بصفة عامة، وقد أثار ذلك سكان المدن الأندلسية على المرابطين، فقامت الفتنة والاضطرابات فى كل مكان ويصور ابن عذارى تلك الحالة بقوله "واتصلت الحروب ببلاد المغرب (أى فى المغرب بين المرابطين والموحدين) وغلت الأسعار.. وقلت المجابى بهذه الفتن وكثرت اللوازم- أى الضرائب- على الرعايا

(١) أنظر ابن عذارى، نفسه، ج٤، ص٨٩؛ الحلل الموشية، ص١٢٢؛ أعمال الاعلام، ق٣، ص٢٢٧-٢٢٨؛ عنان قصر المرابطين، ق١، ص١٣٨-١٣٩.

بالعدوتين والح العدو النصرانى بالضربات على جميع جهات ألندلس حيث علموا عجز الإمارة بالمغرب"(١).

وفى سنة ٥٣٣هـ/ ١١٣٨م أصدر أمير المسلمين على بن يوسف مرسوماً بولاية العهد لابنه تاشفين وأخذت له البيعة فى المغرب والأندلس ونقش اسمه على الدنانير والدراهم ثم توفى سنة ٥٣٧هـ/ ١١٤٢م وخلفه ابنه تاشفين بن على ودولة المرابطين فى دور الاحتضار.

٣- الأندلس فى عهد تاشفين بن على وانهيار دولة المرابطين فى المغرب والأندلس:

تولى تاشفين بن على الإمارة فى ظروف غير مواتية، فقد كانت الهزائم تتلاحق على جيوشه بالمغرب على أيدى الموحدين الذين بسطوا سلطانهم على المغرب الأوسط ومناطق واسعة من المغرب الأقصى وحاول تاشفين وقف تقدمهم دون جدوى ثم دارت المعركة الحاسمة بين الطرفين قرب تلمسان سنة ٥٣٩هـ/ ١١٤٤م وانتهت بهزيمة المرابطين وفرار تاشفين إلى وهران ومقتل قائده الربرتير.

وتعقب الموحدون الأمير تاشفين إلى وهران وأحاطوا به من كل ناحية وحاول تاشفين اختراق الحصار أثناء الليل ولكنه سقط صريعاً من جبل عال عند وهران وذلك فى رمضان سنة ٥٣٩هـ/ ١١٤٥م.

---

(١) أنظر: ابن عذارى، نفسه، القسم الموحدى نشر ميراندا، ص١٢؛ الحلل الموشية، ص٨٨-٨٩.

وكان أمير المسلمين تاشفين قبيل مصرعه قد أوصى بولاية العهد من بعده لابنه إبراهيم فتمت مبايعته بمراكش وسط ظروف غاية فى الدقة والحرج لم تشهد دولة المرابطين مثيلاً لها منذ قيامها، ورغم ذلك حدث انشقاق وخلاف داخل أسرة بنى تاشفين حيث رفض إسحاق بن على مبايعة ابن أخيه وخرج عليه ودعا لنفسه بالإمارة، واشتد التنازع بين الطرفين داخل العاصمة مراكش فى الوقت الذى استولى فيه الموحدون على فاس ومكناسه وسلا فى سنة ٥٤٠هـ/ ١١١٦م، وبدأوا يتجهون صوب العاصمة المرابطية مراكش نفسها.

واستغل الأندلسيون تلك الفرصة المواتية، واشعلوا نيران الثورة ضد المرابطين فى جميع أنحاء الأندلس، واعلن كل ثائر استقلاله بمنطقته، ودخلت البلاد بذلك فى طور جديد من أطوار دويلات الطوائف. ومن هؤلاء الثوار ابن قسى(١) الذى ثار بغرب الأندلس وادعى الهداية وتسمى بالامام، وانضم إليه بعض الثوار أمثال ابن وزير(٢) بباجه وابن المنذر(١) بشلب،

---

(١) ابن قسى: هو أبو القاسم أحمد بن الحسين بن قسى، من أصل إسبانى مسيحى نشأ بشلب واشتغل بالشئون المالية ثم ما لبث أن تزهد وتصدق بماله وادعى الهداية وتسمى بالامام وتبعه الكثير من أهل غرب الأندلس وسماهم المريدين- غير أن بعض أعوانه ثاروا عليه فاضطر للهرب ولجأ إلى الخليفة الموحدى عبد المؤمن بن على بالمغرب مما عفا عنه وأكرمه، أنظر (الحلة السيراء) ج٢، ص١٩٨-٢٠٠ رقم ١٤٢، اعمال الاعلام، ق٣، ص٢٨٥-٢٨٩.

(2) ابن وزير: هو أبو محمد سيد راى بن عبد الوهاب بن وزير، من زعماء الثورة على المرابطين من غرق الأندلس واحد أتباع ابن قسى، ثم خرج عليه وادى ذلك إلى تمزق دعو المريدين وقد تمكن ابن وزير الاستيلاء على شلب وميرتله وأعلن الدعوة أنظر

كما أعلن الثورة كل من ابن عزون بشريش(٢) وابن حمدين(٣) بقرطبة واخيل بن ادريس(٤) فى رنده وابن جـــزي(٥) بجيان وابن ميمون(٦)

(البندق- أخبار المهدى، ص١٦١؛ الحلة السيراء، ج٢، ص٢٠٣-٢٠٧ رقم ١٤٣؛ أعمال الاعلام ق٣، ص٢٨٦-٢٨٨؛ سالم، المغرب الكبير، ص٧٤٢؛ علام، الدولة الموحدية، ص١٤٧-١٥٣.

(1) ابن المنذر: هو أبو الوليد محمد بن عمر بن المنذر، من أعيان شلب، انضم إلى ثورة ابن قسى ضد المرابطين، ثم دخل فى حرب ضد ابن وزير انتهت بهزيمته واعتقاله بباجة إلى أن دخلها الموحدون فأطلقوا سراحه ودخل فى طاعتهم. أنظر (الحلة، ج٢، ص٢٠٢-٢٠٨؛ أعمال الاعلام، ق٣، ص٢٨٦).

(2) ابن عزون: هو أبو الغمر السائب بن عزون- من القائمين بدعوة ابن حمدين فى شريش، أنظر (البيذق- أخبار المهدى، ص١٦١؛ الحلة السيراء، ج٢، ص٢٤١-٢٤٢ رقم ١٤٨).

(3) ابن حمدين: هو أبو جعفر حمدين بن محمد بن على بن حمديه الثعلبى القرطبى، ولى قضاء الجماعة بقرطبة سنة ٥٢٩هـ ثم أعلن الثورة على المرابطين فى سنة ٥٣٩هـ وعندما بلغته أنباء ثورة ابن قسى بغرب الأندلس، وتسمى بأمير المسلمين المنصور بالله ودعى له على منبر قرطبة وكثير من المنابر الأندلسية ولكن ولايته لم تطل وتوفى بمحالفه سنة ٥٤٨هـ، أنظر (البندق، نفسه، ص١٦٠؛ ابن القطان، ص٢١٧؛ هـ٢، ابن الابار- التكملة ج١، ص٣٨-٣٩ رقم ١١٩؛ النباخى المالقى، تاريخ قضاة الأندلس المعروف بالمرقبه الغليار، ص١٠٣.

(4) هو أبو القاسم أخيل بن أدريس الرندى، استبعد بحكم بلده رنده وتوفى باشبيلية سنة ٥٦٠، ٥٦١هـ، أنظر: الحلة السيراء، ج٢، ص٢٤١-٢٤٢ رقم ١٤٨.

(5) هو يوسف بن عبد الرحمن بن جزى من الثائرين بجيان توفى سنة ٥٨٩هـ، أنظر (أعمال الاعلام، ق٣، ص٢٩٨). .

(6) هو على بن عيسى بن ميمون من أسرة بنى ميمون الشهيرة فى قيادة الأساطيل البحرية، وكان من أمراء البحر فى العصر المرابطى واستقل بحكم قادس عند انهيار دولة المرابطين وأعلن الطاعة للموحدين فى سنة ٥٤٠هـ، أنظر: عن بنى ميمون (ابن عذارى- البيان المغرب، ج٤، ص٦٦-٧٠؛ نص جديد البيان المغرب، نشر عبد القادر زمامة مجلة

بقادس وابن الحجام[١] ببطليوس ويوسف البطروجى[٢] فى لبله والقاضى ابن حسون[٣] بمالقة وابن عبد العزيز[٤] ببلنسية ثم خلفه ابن عياض[٥] ثم محمد بن سعد بن مردنيش[٦] الذى ضم مرسيه إلى ملكه ومن الثوار

المعهد المصرى بمدريد رقم ٢٠ سنة ١٩٧٩، ١٩٨٠، ص٨٣؛ سالم المغرب الكبير، ص٧٤٢).

(1) هو محمد بن على الحجام من الثائرين ببطليوس أنظر عنه (البندق، أخبار المهدى، ص١٦١؛ نص جديد من البيان المغربى، ص٩٥؛ سالم، نفسه، ص٧٤٢).

(2) هو يوسف بن أحمد البطروجى، من الثائرين فى ليله، أنظر البندق-هـ٣، نص جديد البلنسية المغرب، ص٨٤، هـ٣، ص٦٦١.

(3) هو أبو الحكم الحسين بن الحسين بن عبد الله بن حسون قاضى مالقة ورئيساً فى الفتنة، أنظر (ابن الآبار، التكملة، ج١، ص٣١رقم ٨٥؛ أعمال الاعلام، ق٣، ص٢٩٣-٢٩٤).

(4) هو أبو عبد الملك مروان بن عبد الله بن عبد العزيز قاضى بلنسية وأميرها ابن الابار المعجم، ص١٩٩ رقم ١٧٢؛ الحلة السيراء، ج٢، ص٢١٨-٢٢٦ رقم ١٤٥.

(5) هو عبد الله بن عياض، كان يحكم مرسية فى الفتنة التى نشبت عند انهيار دولة المرابطين وذلك باسم سيف الدولة بن هود، وعندما خلع أهل بلنسية واليهم مروان بن عبد العزيز استدعوه لحكمها، فأرسل إليهم صهره عبد الله بن مردنيش نائباً عنه. وقد قتل ابن عياض فى إحدى المعارك سنة ٤٥٢هـ، أنظر(أعمال الاعلام، ق١٠، ص٢٩٨-٢٩٩، ١١٥).

(6) هو محمد بن سعد بن مردنيش الجذامى، من أخطر الثائرين الذين ظهروا بشرق الأندلس عند انهيار دولة المرابطين وبداية عصر الموحدين، أصله إسبانى ويبدو- أن جده مردنيش هذا دخل فى ولاء الجذاميين فانتسب إليهم، فى هينة وليلاسه وسلاحه ويتكلم بلغتهم بطلاقة كما استخدم الكثير من المرتزقة النصارى فى جيشه وتسميه المصادر الإسبانية، الملك الذئب، أنظر (الحلة السيراء، ج٢، ص٢٣٢؛ أعمال الاعلام، ق٣، ص٢٩٨-٣٠٠).

كذلك ابن ملحان(1) بوادى اش، والقاضى ابن عاصم(2) باوريوله، اما المرية فقد تولى حكمها ابن الرميمى(3) بتقديم أهلها وذلك قبل ان تسقط فى يد الفونسو(4) السابع ملك قتشالة وحلفائه من جنوة وبيشه (بيزة) فى سنة ٥٤٢هـ/ ١١٤٧م(5).

وبينما كان الثوار فى الأندلس يعترفون ببيعتهم لعبد المؤمن به على خليفة الموحدين منذ عام ٥٣٩هـ/ ١١٤٤ حتى أواخر ٥٤١هـ/

---

(1) هو أحمد بن محمد بن ملحان الطائى، ثار بوادى لشئ ودعا لنفسه بها واستولى على قضية المدينة ولقب بالمتأيد بالله، وظل بها إلى أن استولى ابن مردنيس وضمها إلى ملكه فى سنة ٥٤٦هـ، فعبر البحر إلى المغرب والتحق بخدمة الخليفة الموحدى عبد المؤمن بن على، أنظر (البندق، نفسه، ص١٦٢؛ أعمال الاعلام، ق٣، ص٣٠٤؛ سالم، المغرب الكبير، ص٧٤٣، اعلام الدولة الموحدية، ص١٦٠-١٦١).

(2) هو أحمد بن عبد الرحمن بن على عاصم قاضى أوريولة ومن ذوى النسب والنباهة فيها، تولى حكم بلده أثناء فترة انهيار دولة المرابطين، أنظر (أعمال الاعلام، ق٣، ص٢٩٧-٢٩٨).

(3) هو أبو يحيى عبد الله محمد المعروف بابن الرميمى، من أعيان المرية ذوى الرأى والنباهة فيها، تولى حكم بلدة تلمرية عند اهيار دولة المرابطين، واستمر فى الحكم إلى أن دخلها النصارى فى سنة ٥٤٢هـ، أنظر المراكشى، المعجب، ص٢٧٩-٢٨٠؛ ابن الآبار، التكملة، ج٢، ص٧٣٢ رقم ٢٠٧٦؛ سالم، نفسه، ص٧٤٣.

(4) الفونسو السابع هو الفونسو رايموند يث ويعرف فى المصادر الاسلامية بالطاغية انفونش بن منذ السيلطين (تصغير سلطان) ولى قشتالة سنة ٥٢٠هـ/ ١١٢٦م عند وفاة أمه اراكه ابنه الفونسو السادس، وكان لا يزال صغيراً ولذا عرف بالسلطلين. أنظر (نظم الجمان-هـ١، ص١١٣؛ الحلة السيراء، ج٢، هـ١، ص٢٤٩).

(5) عن تفاصيل انهيار دولة المرابطين وقيام الثورات فى الأندلس وسقوط المرية فى يد النصارى راجع (ابن الأثير، الكامل، ج٩، ص١٧، حسين مؤنس، نصوص سياسية عن فترة الانتقال من المرابطين إلى الموحدين، مجلة المعهد المصرى للدراسات الإسلامية بمدريد ١٩٥٥م، ص٩٩-١٠٢.

١١٤٦م، والتى ثبت فيها سلطان الموحدين على جنوب الأندلس والجنوب الغربى، كانت قوات الموحدين فى المغرب تحاصر مراكش منذ المحرم سنة ٥٤١ه وتقتحم أسوارها فى شوال من نفس السنة وتقضى على آخر رمز لدولة المرابطين ممثلاً فى الأمير إبراهيم بن تاشفين وبمقتله ينقرض أمراء الدولة المرابطية(١).

ومما لاشك فيه أن فترة حكم المرابطين للأندلس رغم قصرها ورغم اشتغال المرابطين بالقتال فى جميع الجبهات كانت من أزهى عصور الأندلس من الوجهة الاقتصادية، فقد نعمت البلاد خلالها- خاصة فى عهد يوسف بن تاشفين والنصف الأول من عهد ابنه على- بفترة من الأمن والهدوء والطمأنينة والازدهار فى جميع مناحى الحياة مما كان له أعظم الأثر فى تنشيط الحركة الاقتصادية.

---

(١) عن نهاية الدولة المرابطية راجع التفصيلات فى ابن عذارى، نفسه، ج١، ص١٠٨؛ الحلل الموشية، ص١٠٢-١٠٤؛ الزركشى، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، طبعة تونس ١٢٨٩ه، ص٨؛ سالم، المغرب الكبير، ص٨٨٥-٨٨٧؛ عنان، عصر المرابطين، ق١، ص٢٦٠-٢٦٥.

(٢)

الأوضاع السياسية فى الأندلس فى عصر دولة الموحدين

١- فى عهد الخليفة عبد المؤمن بن على:

فى عهد الخليفة عبد المؤمن تمكن الموحدون من تأسيس امبراطورية مترامية الأطراف تضم بلاد المغرب كلها وما تبقى من أراضى الإسلام فى الأندلس، وقد نجح الموحدون فى السيطرة على عدد كبير من قواعد الأندلس الجنوبية مثل إشبيلية وشريش[١] وبطليوس ومرتله وقادس وقرطبة[٢] فى نفس الفترة التى أسقطوا فيها دولة المرابطين فى المغرب، ولم يحل عام ٥٤٢هـ/ ١١٤٧ حتى كانت معظم مدن الأندلس الجنوبية قد أعلنت مبايعتها لعبد المؤمن بن على الموحدى ودخولها فى طاعة الموحدين[٣] أما المرية فكانت قد سقطت فى أيدى المسيحيين منذ سنة ٥٤٢هـ/ ١١٤٧م.

---

(١) تقع مدينة شريش بكورة شذونة فى منطقة جنوب غرب الأندلس، ويصفها الإدريسى بأنها مدينة متوسطة حصينة مسورة الجنبات (الادريسى، ص٢٠٦).

(2) ميرتله أو مارتلة تقع بكورة اكشونبة فى غرب الأندلس على ضفة نهر يانه وتشتهر بالمنعة والحصانة، أنظر الادريسى، ص١٧٩؛ مجهول جغرافية الأندلس نشر لويس مولينا، مدريد ١٩٨٣، ص١١.

(3) عن خضوع المدن الأندلسية أنظر: ابن الأثير، الكامل، ج٩، ص١٤؛ المراكشى، المعجب، ص٢٨١-٢٨٢؛ روض القرطاس، ص١٣٣-١٣٥؛ الحلل الموشية، ص١١١-١١٢؛ ابن خلدون، العبر، ج٦، ص٢٣٤-٢٣٧؛ الرطيب، تحقيق محى الدين.

ولم يتمكن الموحدون من استعادتها إلا بعد عشر سنوات فى سنة ٥٥٢هـ/ ١١٥٧م، أما شرق الأندلس فقد كان مستقلاً: فالجزائر الشرقية (جزر البليار) كانت تابعة لبنى غانية المرابطين وظلت تحتفظ باستقلالها حتى تمكن الخليفة الموحدى محمد الناصر بن المنصور من الاستيلاء عليها فى سنة ٥٩٩هـ/ ١٠٢٣م.

أما بالنسبة لسائر شرق الأندلس فقد استقل بها محمد بن سعد بن مردنيش، الذى رفض الدخول فى طاعة الموحدين وتحالف مع النصارى ضدهم وظل شوكة فى ظهر الدولة الموحدية بالأندلس وخطراً كبيراً عليهم طوال عهد الخليفة عبد المؤمن وأوائل عهد ابنه يوسف عبد المؤمن.

وفى سنة ٥٥١هـ/ ١١٦٥م دخل الموحدون غرناطة بعد أن خرج عنها واليها المرابطى ميمون بن يدر اللمتونى ثم بدأ الموحدون يهتمون بتحصين ثغور الأندلس.

فأمر الخليفة عبد المؤمن بن على فى سنة ٥٥٥هـ/ ١١٦٠م ببناء مدينة جبل طارق وتحصينها ثم عبر البحر فى نفس السنة ونزل بجبل طارق (جبل الفتح) حيث قام بتنظيم شئون الأندلس وترتب النواحى الإدارية فيها، وتوزيع الحاميات الموحدية على مختلف المناطق وتعيين ولاتها واتخذ الموحدون إشبيلية قاعدة لهم فى الأندلس ومقراً لنزول خلفاء الموحدين. ومن الجدير بالذكر أنه وفدت على الخليفة عبد المؤمن أثناء إقامته بجبل طارق وفوداً أندلسية من وجهاء وأعيان المدن الأندلسية

المختلفة لتجديد بيعتهم له حيث أجزل لهم العطاء[1] ويذكر ابن عذارى أن الخليفة عبد المؤمن لم ينفصل من الأندلس حتى مهدها ورفق برعيتها فاستقامت بذلك أمور الموحدين[2] وفى أوائل ٥٥٦هـ/ ١١٦٠م وقبيل عودة الخليفة عبد المؤمن إلى المغرب أمر بغزو منطقة غرب الأندلس فسار إليها الشيخ أبو محمد عبد الله بن أبى حفص من قرطبة فى جيش كبير من الموحدين ففتح حصن اطرانكس من احواز بطليوس وباجه[3] ويابره وحصن القصر[4].

وعاد الخليفة عبد المؤمن إلى مراكش (٥٥٦هـ/ ١١٦٠م) فى الوقت الذى نشب صراع شديد بين ابن مردنيش وابن همشك وحلفاء من النصارى وبين الموحدين بقيادة أبى سعيد عثمان ابن عبد المؤمن والى غرناطة عند فحص غرناطة فى موضع يعرف بمرج الرقاد وانتهى بهزيمة نكراء للموحدين ولووا على أثرها الأدبار، غير أن ابن مردنيش ومن معه

---

(1) أنظر: المن بالامامه، ص١٣٧-١٤٢، ١٤٩-١٥٠؛ المعجب، ص٩٣؛ البيان المغرب، القسم الموحدى، ص٤٢-٤٣؛ روض القرطاس، ص١٤٠؛ أعمال الاعلام، ق٢، ص٣٠٩.

(2) البيان المغرب- القسم الموحدى، ص٤٦؛ روض القرطاس، ص١٤١.

(3) باجه (بالإسبانية) Beja تقع قرب مارده بمنطقة غرب الأندلس، وهى حالياً من مدن البرتغال، أنظر (مجهول، جغرافية الأندلس، ص٥٥-٥٦).

(4) أنظر- روض القرطاس، ص١٤١- سالم، المغرب الكبير، ص٧٩٢؛ عنايه نفسه، ق١، ص٣٤٥ أما حصن القصر فيقصد به قصر أبى دانس ويقع إلى الشمال الغربى من باجه وإلى الجنوب من لشبونة بمنطقة غرب الأندلس أنظر (الأدريسى ص١٧٥).

من النصارى فشلوا فى الاستيلاء على قصبة أو غرناطة، وعندها علم الخليفة عبد المؤمن بأنباء تلك الهزيمة التى حاقت بالموحدين أرسل جيشاً كبيراً يقوده أبو يعقوب يوسف (ابنه وولى عهده) بابن مردنيش وابن همشك وأنزل بهما هزيمة شديدة عند جبل السبيكة على مقربة وادى شنيل بظاهر غرناطة وفيها لقى القائد الإسبانى مدار الأقرع (البارورديجس) حليف ابن مردنيش مصرعه كما قتل عدد كبير من أتباعه ودخل الموحدون غرناطة ظافرين يوم الجمعة ٢٨ رجب ٥٥٧هـ/ ١٣ يوليو ١١٦٢م(١).

وفى سنة ٥٥٨هـ/ ١١٦٣م أصيب الخليفة عبد المؤمن بمرض توفى على أثره فى ليلة الجمعة العاشر من جمادى الآخرة سنة ٥٥٨هـ/ ١٥ مايو ١١٦٣م، وخلفه ابنه يوسف بن عبد المؤمن. وهكذا يرجع الفضل الأعظم إلى عبد المؤمن فى تأسيس الدولة الموحدية الكبرى التى امتدت من إفريقية حتى المحيط الأطلسى بالإضافة إلى إسبانيا الإسلامية أو الأندلس، ولذا فهو يعتبر المؤسس الحقيقى لتلك الدولة التى كان لها أعظم الأثر فى مواصلة الجهاد الذى بدأه المرابطون ضد النصارى الإسبان

---

(١) حول موقعة السبيكة أنظر: ابن صاحب الصلاة، ص١٩٥-٢٠٣؛ ابن الأثير، ج٩، ص٧٨-٧٩؛ ابن عذارى، القسم الموحدى، ص٥٢-٥٣؛ ابن الخطيب، أعمال الاعلام، ق٢، ص٣٠١؛ ابن خلدون، ج٦، ص٢٣٧-٢٣٨؛ سالم، نفسه، ص٧٩٦؛ عنان، نفسه، ص٣٨٩-٣٩٠.

وبالتالى المحافظة على الكيان الإسلامى فى الأندلس لفترة طويلة امتدت نحو ما يقرب من قرن من الزمان[1].

٢- عهد الخليفة يوسف بن عبد المؤمن:

خلف يوسف بن عبد المؤمن أباه عقب وفاته، وقد واجهت دولة الموحدين فى خلافته مشكلات خطيرة فى ألندلس أبرزها الصراع ضد ابن مردنيش فى شرق الأندلس، ونشاط حركة الإسترداد البرتغالى فى عهد الفونسو انريكيث ملك البرتغال (المعروف فى الرواية الإسلامية بابن الريق ويعرف أيضاً الرنق أو ابن الرنك) وحليفه المغامر البرتغالى جرانده الجليقى المعروف فى المصادر البرتغالية بخير الدو الباسل[2].

وفيما يتعلق بالصراع ضد ابن مردنيش فقد نشبت معركة عنيفة فى بداية عهد الخليفة يوسف بين جيش الموحدين وبين قوات ابن مردنيش بفحص مرسيه فى وضع يعرف بفحص الجلاب فى ٧ ذى الحجة ٥٦٠ه (١٥ أكتوبر ١١٦٤م)، وفيها دارت الدائرة على ابن مردنيش وتحصن بداخلها وكانت تلك الهزيمة ضربة قاصمة لابن مردنيش تسببت فى ضعف قوته وانهيار سلطانه فى شرق الأندلس بعد فترة وجيرة.

---

(1) ابن صاحب الصلاة، نفسه، ص٢٣١؛ المراكشى، المعجب، ص٣٠٦؛ ابن الأثير، نفسه، ج٩، ص٨١؛ ابن عذارى، القسم الموحدى، ص٥٦-٥٨؛ روض القرطاس، ص١٤٣؛ عنان، نفسه، ق١، ٣٩٤-٣٩٥؛ نفسه، ص٧٩٦.

(2) أنظر المن بالامامه، ص٢٣١؛ ابن عذارى، نفسه، ص٥٨.

ومما زاد في سوء أحوال ابن مردنيش وانهيار سلطانه في شرق الأندلس خروج صهره ابن همشك عليه وانضمامه إلى الموحدين ودخوله في طاعتهم سنة ٥٦٤هـ/ ١١٦٦م. ويضاف إلى ذلك سخط أهالي شرق الأندلس على ابن مردنيش بسبب استعانته بالمرتزقة النصارى وتحالفه مع ملوكهم ضد المسلمين وتقديمه الجزيات لهم كسباً لصداقتهم ومودعتهم وقد أثقل بذلك على رعاياه بالضرائب والمغارم الفادحة واستخدم في جبايتها الأساليب الوحشية(١).

وفي رجب سنة ٥٦٥هـ/ مارس ١١٧١ اتجه جيش الموحدين نحو أراضي ابن مردنيش فاستولى على بعض قواعده مثل قيجاطه شرق جيان، كما استولى على قصبه لورقة والش وبسطه وشقر.

وعجز ابن مردنيش عن وقف تقدم الموحدين فاتجه إلى مرسيه بعد أن أصابه المرض، في الوقت الذى أعلن فيه ابن عمه محمد بن مردنيش والى المرية- ويعرف بابن صاحب البسيط- دخوله في طاعة الموحدين ولم يلبث ابن مردنيش أن توفى في سنة ٥٦٧هـ/ ١١٧٢م، ودخل أولاده في الطاعة، وبذلك انتهت دولته بشرق الأندلس وزال بوفاته أعظم الأخطار التي واجهتها الدولة الموحدية بالأندلس بعد الخطر النصراني.

---

(١) المن بالامامه، ص٣٨٨-٣٩٠؛ ابن سعيد، المغرب، ج٢، ص٢٥١.

أما الخطر الآخر الذى كان يتهدد دولة الموحدين فى الأندلس فيتمثل فى الفونسو إنريكيث ملك البرتغال الذى تمكن فى عهد الخليفة عبد المؤمن من الاستيلاء على لشبونه وشنترين وقصر أبى دانس، ثم واصل عدوانه على أراضى المسلمين فى غرب الأندلس فى عهد الخليفة يوسف بن عبد المؤمن، وكان يتولى عنه هذه الأعمال العدوانية مغامر برتغالى من أتباعه يقال له جرانده الجليقى وكان يقود فرقة من النصارى هدفها القيام بأعمال السلب والنهب والتوسع فى أراضى المسلمين بغرب الأندلس بتشجيع من الفونسو إنريكيث ملك البرتغال، فيذكر ابن عذارى أن جرانده هذا تمكن من الاستيلاء على مدينة ترجاله[1] الواقعة شمال مارده سنة ٥٦٠هـ/ ١١٦٥م وفى نفس السنة هاجم يابرة وملكها وباعها للنصارى، ثم استولى على حصن قاصرش غربى ترجالة فى صفر ٥٦١هـ/ أواخر ١١٦٥م ثم أتبع ذلك بالاستيلاء على حصن منتانجش ويقع على مقربة من ترجالة فى جمادى الآخرة من نفس العام، ثم على بطليوس التى سلمها لالفونسو ملك البرتغال أو ابن الرنك صاحب قلمرية كما تسميه الرواية الإسلامية، وشرع أثر ذلك فى محاصرة قوات الموحدين بالقصبة، وعندما سمع الخليفة يوسف الموحدى تلك الأنباء السيئة سير جيشاً كثيفاً إلى الأندلس تمكن من فتح حصن طبيرة وكان بحوزة أحد الثوار الأندلسيين ويدعى عبد الله بن عبيد الله، وتم ذلك فى أواخر سنة ٥٦٣هـ/ ١١٦٨م.

---

[1] ترجالة، مدينة تقع بغرب الأندلس، أنظر (الإدريسى) نفسه، ص١٨٦-١٨٧.

وفى نفس السنة عقد صلح وتحالف بين الموحدين وفرنانده (فرناندو رود ريجث صاحب ترجاله) كما دخل فى الصلح صهره فرنانده الببوج ملك ليون، وبفضل هذا التحالف فشل الفونسو انريكيث ملك البرتغال فى الاستيلاء على قصبة بطليوس، واضطر إلى الانسحاب هو وجرانده الجليقى فى شعبان سنة ٥٦٤هـ/ ١١٦٩م(١).

وفى سنة ٥٦٦هـ/ ١١٧٠م عبر الخليفة يوسف البحر إلى الأندلس للقيام بأعمال الجهاد فمكث باشبيلية بعض الوقت ثم اتجه لغزو مدينة وبذه فى شوال ٥٦٧هـ/ يونيه ١١٧٢م، وأثناء سيرة فتح حصن بلج صلحا وأعطى الأمان لسكانه، كما استولى صلحاً على حصن الكرس وواصل زحفه إلى وبذه، وهنا تختلف الورايات الإسلامية حول الوقائع التى حدثت عند وبذه. فابن صاحب الصلاة يذكر أن الجيش الموحدى انتصر على النصارى القشتاليين الذين كانوا يتولون مهمة الدفاع عن المدينة، ثم انسحب بعد ذلك متجهاً إلى قونكة، بينما يرى ابن عذارى- وهو ما نرجحه، أن الهجوم الموحدى على وبذه منى بالفشل واضطروا للانسحاب لا سيما بعد أن- تعرضوا لعواصف شديدة وأمطار غزيرة استحال معها مواصلة الهجوم ولذا فضلوا الانسحاب والاتجاه إلى مرسية(٢).

---

(1) المن بالامامه، ص٣٦٥-٣٧١.

(2) من غزوة وبذه- أنظر ابن عذارى، نفسه، ص ٩-٩٧.

وفى سنة ٥٦٨هـ/ ١١٧٣م استولى البرتغاليون على مدينة باجه ومكثوا بها خمسة أشهر ثم انسحبوا منها بعد أن أحرقوها وخربوها، وفى نفس العام قام الجيش الموحدى بغزوة إلى منطقة طليطلة حيث أعمل السلب والقتل والتدمير فى تلك المنطقة وانتصر على القشتاليين بقيادة الأمير خيمينو صاحب أبله الذى لقى مصرعه فى تلك المعركة. وفى السنة التالية (٥٦٩هـ/ ١١٧٤م) نشبت حرب بين القمط نونه حاكم طليطلة وبين فرنانده البيوج ملك ليون الذى استنجد الموحدين، فأمدوه بجند اشبيلية بعد خمسة أشهر، غير أن البيوج ما لبث أن نقض الصلح مع الموحدين فاضطروا لمحاربته فى بلاده ليون عند مدينة السبطاط وانتصروا عليه وفتحوا قنطرة السيف.

وقد أدت هذه الإنتصارات الموحدية على النصارى إلى طلب ملوكهم للصلح، فدخل فى الصلح كل من القمط نونه حاكم طليطلة والوصى على عرض الطفل الفونسو الثامن ملك قشتالة والفونسو إنريكيث ملك البرتغال[1].

وفى سنة ٥٨٠هـ/ ١١٨٤م عبر الخليفة يوسف إلى الأندلس عبوره الأخير واتجه إلى اشبيلية ومنها إلى شنترين بغرب الأندلس وهى من قواعد الفونسو إنريكيث ملك البرتغال، وفرض عليها الموحدون حصاراً محكماً، غير أنها كانت تتميز بالمنعة والحصانة إلى جانب توفر

---

(١) أنظر - المن بالامامه، ص٥٢٦؛ عنان، نفسه، ص٨٠-٩٠.

المؤن والأقوات بها، ولذا لم ينجح الموحدون فى اقتحام المدينة مما اضطر الخليفة إلى إصدار أوامره بالانسحاب غير أن هذا القرار كان مفاجأة فانسحبوا دون نظام مما أثار الإرتباك والفوضى فى صفوف الجيش، وانتهز النصارى الفرصة السانحة وقاموا بهجوم مباغت على المسلمين جرح فيه الخليفة يوسف وقتل العديد من جنده، وانسحبت بقية الجيوش إلى اشبيلية، حيث لم يلبث الخليفة أن توفى قرب اشبيلية متأثراً بجراحه فى نفس السنة ٥٨٠هـ/ ١١٨٤م.

٣- الأندلس فى عهد الخليفة يعقوب المنصور بن يوسف الموحدى:

خلف يعقوب الملقب بالمنصور والده يوسف على عرش الدولة الموحدية عام ٥٨٠هـ، ويمثل عهده قمة الازدهار فى العصر الموحدى، فكان خير خلف لأبيه، حيث تمكن من القضاء على الفتن والثورات ونشر العدل والأمن فى ربوع البلاد(١).

وقد تمكن المنصور فى سنة ٥٨٧هـ من استرداد مدينة شلب من أيدى النصارى البرتغالى كما استعاد باجه ويابره وقصر أبى دانس.

ومن أبرز أعماله: انتصاره على نصارى قشتالة فى موقعة الارك الشهيرة فى سنة ٥٩١هـ/ ١١٩٥م، ذلك الانتصار الحاسم الذى أعاد للأذهان ذكرى انتصار الزلاقة.

---

(١) أنظر- ابن خلكان، وفيات، ج٦، ص٤؛ (ابن عذارى)، نفسه، ص١٤٠-١٤٤.

وأدت تلك الجهود العسكرية التى قام بها الخليفة المنصور على أرض الأندلس إلى وضع حد للخطر النصرانى ونشر الأمن والطمأنينة بين السكان المسلمين المتاخمين لأراضى الممالك الإسبانية المسيحية(١).

وعقب وفاة المنصور بالمغرب فى سنة ٥٩٥هـ تولى ابنه محمد الملقب بالناصر لدين الله خلافة الموحدين، حيث تمكن من استرداد الجزر الشرقية (جزر البليار) من أيدى بنى غانية والقضاء نهائياً على دولتهم فى سنة ٥٩٩هـ.

ولعل من أبرز الحوادث فى عهده: موقعة العقاب فى سنة ٦٠٩هـ التى نشبت بين جيش الموحدين وجيوش المسيحيين من قشتالة وغرب أوروبا، وانتهت بهزيمة الموحدين وأدى ذلك إلى إنهيار الدولة الموحدية فى الأندلس.

وتوفى الخليفة الناصر عقب ذلك فى سنة ٦١٠هـ، وخلفه ابنه يوسف المستنصر بالله وكان لا يزال صغير السن وليست له خبرة بأمور الحكم.

ولم يلبث المستنصر أن توفى فجأة فى سنة ٦٢٠هـ وكانت وفاته إيذاناً بانهيار الدولة الموحدية فى المغرب والأندلس، فقد كانت الفترة التى تلت الوفاة عبارة عن صراعات بين أمراء الموحدين من أجل اعتلاء العرش.

---

(١) ابن عذارى، نفسه، ص٢٠٤.

وخلال فترة الحروب الأهلية بين أفراد الأسرة الموحدية انتز الفرصة بعض ثوار الأندلس وأعلنوا الخروج عن طاعة الموحدين مثل ابن هود الذى استقل بمرسية وشرق الأندلس وكذلك محمد بن الأحمر الذى ثار بأرجونة من عمل جيان وبويع له بجيان ومد نفوذه إلى غرناطة، وانتهز النصارى الإسبان الفرصة واستولوا على بعض القواعد الإسلامية الهامة فى الأندلس مثل قرطبة وبلنسية واشبيلية وغيرها ولم يبق فى حوزة المسلمين سوى المناطق الجنوبية من الأندلس حيث قامت مملكة بنى الأحمر أو بنى نصر فى منطقة غرناطة (آخر ممالك المسلمين فى الأندلس).

وفى سنة ٦٦٨هـ/ ١٢٦٩م انقرضت نهائياً دولة الموحدين وذلك بمقتل أبى العلاء إدريس الملقب بأبى دبوس وذلك أثناء حربه ضد المرينيين بالمغرب الأقصى والذين استولوا على العاصمة مراكش وورثوا دولة الموحدين بالمغرب الأقصى[١].

---

[١] أنظر. روض القرطاس، ص١٨٧؛ سالم، نفسه، ص٨٣١.

الملاحق

(نصوص من المصادر)

ملحق رقم (١)

ذكر من كان يخرج على غزو المغرب
بعد عمرو بن العاص وفتوحه
(من كتاب فتوح إفريقية والأندلس لابن عبد الحكم)

معاوية بن حديج- قال ثم خرج إلى المغرب بعد عبد الله بن سعد، معاوية بن حديج التجيبى سنة أربع وثلثين وكان معه فى جيشه عامئذ عبد الملك بن مروان، فاتتح قصوراً، وغنم غنائم عظيمة واتخذ قيرواناً عند القرن فلم يزل فيه حتى خرج إلى مصر وكان معه فى غزاته هذه جماعة من المهاجرين والأنصار. حدثنا عبد الملك بن مسلمة، حدثنا ابن لهيعة، وحدثنا يوسف بن عدى حدثنا عبد الملك بن المبارك نحوه عن ابن لهيعة، عن بكير بن عبد الله عن سليمان بن يسار، قال غزونا إفريقية مع ابن حديج ومعنا من المهاجرين والأنصار بشر كثير فنفلنا ابن حديج النصف بعد الخمس فلم أر أحداً أنكر ذلك إلا جبلة بن عمرو الأنصارى.

وحدثنا يوسف بن عدى، حدثنا ابن المبارك عن ابن لهيعة، عن خالد بن أبى عمران، قال: وسألت سليمان بن يسار عن النفل فى الغزو فقال لم أر أحداً صنعه غير ابن حديج نفلنا بإفريقية النصف بعد الخمس، ومعنا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين الأولين، ناس كثير فأبى جبلة بن عمرو الأنصارى أن يأخذ منه شيئاً.

ثم رجع إلى حديث عثمان بن صالح وغيره، قال فانتهى إلى

قونية (والصراب قمونية) وهى موضع مدينة قيروان[1] إفريقية ثم مضى إلى جبل يقال له القرن[2] يعسكر إلى جانبه، وبعث عبد الملك بن مروان إلى مدينة يقال لها جلولاء فى الف رجل فحاصرها أياماً فلم يصنع شيئاً فانصرف راجعاً فلم يسر إلا يسيراً حتى رأى فى ساقة الناس غباراً شديداً فظن أن العدو قد طلبهم، فكر جماعة من الناس لذلك، وبقى من بقى على مصافهم وتسرع سرعان الناس فاذا مدينة جلولاء قد وقع حائطها فدخلها المسلمون، وغنموا ما فيها وانصرف عبد الملك إلى معاوية بن حديج. فاختلف الناس فى الغنيمة فكتب فى ذلك إلى معاوية بن أبى سفيان، فكتب أن العسكر ردء[3] للسرية، قسم ذلك بينهم، فأصاب كل رجل منهم لنفسه مائتى دينار، وضرب للفرس بسهمين ولصاحبه بسهم، قال عبد الملك فأخذت لفرسى ولنفسى ستمائة دينار واشتريت بها جارية.

قال ويقال بل غزاها معاوية بن حديج بنفسه فحاصرهم، فلم يقدر عليهم فانصرف آنساً منها، وقد جرح عامة أصحابه، وقتل منهم ففتحها الله بعد انصرافه بغير خيل ولا رجال، فرجع إليها ومن معه وفيها السبي

---

(1) قيروان: قال الازهرى: القيروان معرب وهو بالفارسية كاروان وقد تكلمت به العرب قديما وهى مدينة عظيمة فى تونس، وليس بالمغرب مدينة أجل منها إلى أن قدمت العرب إفريقية، واخربت البلاد فرحل أهلها عنها، وهى مدينة مصرت فى عهد معاوية. انظر: معجم البلدان لياقوت طبعة بيروت وصادر حرف القاف. ص٤٢٠.

(2) قرن بالفتح ثم السكون، وآخره نون، ومعناه يأتى فى اللغة على معان القرن الجبل الصغير والقرن، قرن الشاة والبقر وغيرهما.

(3) الرد: ج ارداء العدل الثقيل

لم يردهم أحد فغنموا وانصرف منها راجعاً إلى مصر.

حدثنا عبد الملك بن مسلمة، حدثنا ابن لهيعة، عن يزيد بن أبى حبيب، قال: غزا معاوية بن حديج إفريقية ثلاث غزوات. أما الأولى فسنة أربع وثلثين قبل قتل عثمان، وأعطى عثمان مروان الخمس فى تلك الغزوة، وهى غزوة لا يعرفها كثير من الناس، والثانية سنة أربعين والثالثة سنة خمسين.

عقبة بن نافع- قال ثم خرج إلى المغرب بعد معاوية بن حديج، عقبة بن نافع الفهرى، سنة ستة وأربعين ومعه بسر بن أبى أرطأة وشريك بن سمى المرادى فاقبل حتى نزل بمغمداش من سرت. وكان توجه بسر إليها، كما حدثنا يحيى بن عبد الله ابن بكير، عن الليث بن سعد سنة ست وعشرين من سرت. فأدركه الشتاء وكان مضعفاً وبلغه أن أهل ودان قد نقضوا عهدهم، ومنعوا ما كان بسر بن أبى أرطأة فرض عليهم. وكان عمرو بن العاص قد بعث إليها بسراً قبل ذلك وهو محاصر لأهل طرابلس فافتتحها. فخلف عقبة بن نافع جيشه هناك، واستخلف عليهم عمر بن على القرشى وزهيراً بن قيس البلوى ثم سار بنفسه ومن خف معه، أربع مائة فارس، وأربع مائة بعير وثمانى مائة قربة حتى قدم ودان فافتتحها، وأخذ ملكهم فجدع أذنه، فقال: لم فعلت هذا بى، وقد عاهدتنى فقال عقبة: فعلت هذا بك أدباً لك، إذا مسست أذنك ذكرته، فلم تحارب العرب؟ واستخرج منهم ما كان بسر فرضه عليهم ثلاثمائة رأس، وستين رأساً.

ثم سألهم عقبة هل من ورائكم أحد؟ فقيل له جرمة وهى مدينة فزان العظمى؛ فسار إليها ثمانى ليال من ودان، فلما دنا منها أرسل فدعاهم إلى الإسلام فأجابوا.

فنزل منها على ستة أميال، وخرج ملكهم يريد عقبة، وأرسل عقبة خيلاً فحالت بين ملكهم وبين موكبه فأمشوه راحلاً حتى أتى عقبة وقد لغب (أى تعب وأعيا إعياءً شديداً) وكان ناعماً فجعل يبصق الدم فقال له لم فعلت هذا بى وقد أتيتك طائعاً؟ فقال عقبة: أدباً لك إذا ذكرته لم تحارب العرب، وفرض عليه ثلاثمائة عبد وستين عبداً ووجه عقبة الرحل من يومه ذلك إلى المشرق.

ثم مضى على جهته من فوره ذلك إلى قصور فزان فافتتحها قصراً قصراً حتى انتهى إلى أقصاها. فسألهم هل من ورائكم أحد؟ قالوا نعم أهل خاوار وهو قصر عظيم على رأس المفازة فى وعورة على ظهر جبل، وهو قصبة كوار فسار إليهم خمس عشرة ليلة، فلما انتهى تحصنوا فحاصرهم شهراً فلم يستطع لهم شيئاً، فمضى أمامه إلى قصور كوار(١) فافتتحها حتى انتهى إلى أقصاها وفيه ملكها فقطع اصبعه فقال: "لم فعلت هذا بى؟" قال أدباً لك إذا نظرت إلى اصبعك لم تحارب العرب، وفرض عليه ثلاثمائة عبد وستين عبداً.

فسألهم هل من ورائكم أحد؟ فقال الدليل ليس عندى بذلك معرفة،

---

(١) كوار: اقليم من بلاد السودان جنوبى فزان افتتحه عقبة بن نافع عن آخره.

ولا دلالة؛ فانصرف عقبة راجعاً فمر بقصر خاوار، فلم يعرض له ولم ينزل بهم وسار ثلاثة ايام، فأمنوا وفتحوا مدينتهم، وأقام عقبة بمكان اسمه اليوم ماء فرس، ولم يكن به ماء فأصابهم عطش شديد أشفى منه عقبة وأصحابه على الموت، فصلى عقبة ركعتين ودعا الله، وجعل فرس عقبة يبحث فيه يديه فى الأرض حتى كشف عن صفاة، فانفجر منها الماء، فجعل الفرس يمص ذلك الماء فأبصره عقبة فنادى فى الناس أن احتفروا فحفروا سبعين حسياً فشربوا واستقوا.

فسمى لذلك ماء فرس. ثم رجع عقبه، إلى خاوار من غير طريقه التى كان أقبل منها، فلم يشعروا به حتى طرقهم نيلاً فوجدهم مطمئنين قد تمهدوا فى أسرابهم، فاستباح ما فى المدينة من ذرياتهم وأموالهم وقتل مقاتلهم. ثم انصرف راجعاً فسار حتى نزل بموضع زويلة اليوم، ثم ارتحل حتى قدم على عسكره بعد خمسة أشهر وقد جمت خيولهم وظهرهم، فسار متوجهاً إلى المغرب وجانب الطريق الأعظم وأخذ إلى أرض مزاتة فافتتح كل قصر بها، ثم بعث خيلاً إلى غدامس فافتتحت غدامس عن الليث ابن سعد، ان عقبة بن نافع غزا إفريقية فأتى وادى القيروان فبات عليه هو وأصحابه، حتى إذا أصبح وقف على رأس الوادى فقال: "يا أهل الوادى اظعنوا فإنا نازلون." قال ذلك ثلاث مرات فجعلت الحيات تنساب والعقارب وغيرها مما لا يعرف من الدواب تخرج ذاهبة وهم قيام ينظرون إليها من حين أصبحوا حتى أوجعتهم الشمس، وحتى لم يروا منها شيئاً، فنزلوا الوادى عند ذلك. قال الليث، فحدثنى زياد بن العجلان أن أهل إفريقية

أقاموا بعد ذلك أربعين سنة ولو التمست حية، أو عقرب بألف دينار ما وجدت.

أبو المهاجر- قال، ثم عزل عقبة بن نافع فى سنة إحدى وخمسين، (الصواب سنة ٥٥هـ) عزله مسلمة بن مُخَلَّد الأنصارى وهو يومئذ والى البلد من قبل معاوية بن ابى سفيان، ومسلمة بن مخلد أول من جمعت له مصر والمغرب.

ثم انصرف (أى عقبة) إلى القيروان، فلم يعجب بالقيروان الذى كان معاوية بن حديج بناه قبله، فركب والناس معه حتى أتى موضع القيروان اليوم، وكان وادياً كثير الشجر كثير القطف تأوى إليه الوحوش والسباع والهوام. ثم نادى بأعلى صوته يا أهل الوادى ارتحلوا رحمكم الله فإنا نازلون، نادى بذلك ثلاثة أيام فلم يبق من السباع شئ، ولا الوحوش والهوام، إلا خرج، وأمر الناس بالتقية والخط ونقل الناس من الموضع الذى كان معاوية ابن حديج نزله إلى مكان القيروان اليوم، وركز رمحه وقال هذا قيروانكم. حدثنا عبد الملك بن مسلمة، حدثنا الليث حدثنا يحيى بن بكير عن الليث بن سعد سنة سبع وأربعين، وولى أبا المهاجر ديناراً مولى الأنصار وأوصاه حين ولاه أن يعزل عقبة أحسن العزل، فخالفه أبو المهاجر فاساء عزله وسجنه وأوقره حديداً حتى أتاه الكتاب من الخليفة بتخلية سبيله وإشخاصه إليه، فخرج عقبة حتى أتى قصر الماء، فصلى ثم دعا وقال: "اللهم لا تمتنى من أبى المهاجر دينار بن أم دينار، فبلغ ذلك ابا

المهاجر فلم يزل خائفاً منذ بلغته دعوته، فلما قدم عقبة مصر، ركب إليه مسلمة بن مخلد فأقسم له بالله لقد خالفه ما صنع ابو المهاجر ولقد أوصيته بك خاصة. وقد كان قيل لمسلمة لو أقررت عقبة، فان له جزالة وفضلاً، فقال: "مسلمة أن أبا المهاجر صبر علينا فى غير ولاية، ولا كبير نيل، فنحن نحب أن نكافيه.".

فلما قدم ابو المهاجر إفريقية كره أن ينزل فى الموضع الذى اختطه عقبة بن نافع، ومضى حتى خلفه بميلين فابتنى ونزل. وكان الناس قبل ابو المهاجر كما حدثنا عبد الملك بن مسلمة عن ابن لهيعة، وأحمد بن عمر وعن ابن وهب، عن ابن لهيعة، عن يزيد بن أبى حبيب، يغزون إفريقية ثم يقفلون منها إلى الفسطاط وأول من أقام بها حين غزاها أبو المهاجر مولى الأنصار، اقام بها الشتاء والصيف واتخذها منزلاً، وكان مسلمة بن مخلد، الذى عقد له على الجيش الذين خرجوا معه إليها فلم يزالوا بها حتى قتل ابن الزبير فخرجوا منها.

ثم قدم عقبة على معاوية بن أبى سفيان فقال له: "فتحت البلاد، وبنيت المنازل ومسجد الجماعة ودانت لى، ثم أرسلت عبد الانصار فاساء عزلى." فاعتذر إليه معاوية وقال: "قد عرفت مكان مسلمة بن مخلد من الامام المظلوم وتقديمه إياه، وقيامه بدمه وبذل مهجته، وقد رددتك على عملك".

ويقال إن معاوية ليس هو الذى رد عقبة بن نافع، ولكنه قدم

على يزيد بن معاوية بعد موت أبيه فرده والياً على إفريقية، وذلك أصح لأن معاوية توفى سنة ستين. حدثنا يحيى بن عبد الله ابن بكير، عن الليث بن سعد قال: "توفى معاوية بن ابى سفيان سنة ستين".

مقتل عقبة بن نافع- ثم رجع إلى حديث عثمان وغيره، قال: "فخرج عقبة بن نافع سريعاً بحنقه على أبى المهاجر حتى قدم إفريقية فأوثق ابا المهاجر فى وثاق شديد، وأساء عزله وغزا به معه إلى السوس وهو فى حديد، وأهل السوس بطن من البربر يقال لهم انبية فجول فى بلادهم لا يعرض له أحد، ولا يقاتله، فانصرف إلى إفريقية، فلما دنا من ثغرها أمر أصحابه فافترقوا عنه، وأذن لهم حتى بقى فى قلة.

فأخذ على مكان يقال له تهوده، فعرض له كسيلة بن لمزم فى جمع كثير من الروم والبربر، وقد كان بلغه افتراق الناس عن عقبة، فاقتتلوا قتالا شديداً، فقتل عقبة ومن كان معه، وقتل ابو المهاجر وهو موثق فى الحديد، ثم سار كسيلة ومن معه حتى نزلوا الموضع الذى كان عقبة اختطه، فأقام فيه وقهر من قرب منه باب قابس وما يليه وجعل يبعث أصحابه فى كل وجه.

ويقال بل خرج عقبة بن نافع إلى السوس واستخلف على القيروان عمر بن على القرشى، وزهير ابن قيس البلوى. وكانت إفريقية يومئذ تدعى مزاق، فتقدم عقبة إلى السوس وخالفه رجل من العجم فى ثلاثين ألفاً، الى عمر بن على، وزهير ابن قيس وهما فى ستة آلاف فهزمه الله.

وخرج ابن الكاهنة البربرى على أثر عقبة كلما رحل عقبة من منهل دفنه ابن الكاهنة فلم يزل كذلك حتى انتهى عقبة إلى السوس، ولا يشعر بما صنع البربرى، فلما انتهى عقبة إلى البحر اقحم فرسه حتى بلغ نحره ثم "قال اللهم أنى أشهدك أن لا مجاز ولو وجدت مجازاً لجزت". وانرصف راجعاً والمياه قد غورت، وتعاونت عليه البربر فلم يزل يقاتل، وابو المهاجر معه فى الحديد ولما استحر الأمر، أمر عقبة بفتح الحديد عنه فأبى ابو المهاجر وقال: "القى الله فى -ديدى، فقتل عقبة وابو المهاجر ومن معهما".

حدثنا عبد الملك بن مسلمة، حدثنا الليث بن سعد ان عقبة ابن نافع قدم من عند يزيد ابن معاوية فى جيش على غزو المغرب فمر على عبد الله بن عمرو وهو بمصر فقال له عبد الله: "يا عقبة لعلك من الجيش الذين يدخلون الجنة برحالهم" فمضى بجيشه حتى قاتل البربر وهم كفار فقتلوا جميعاً.

حدثنا عبد الملك بن مسلمة، حدثنا ابن لهيعة عن بحيربن ذاخر المعافرى قال: كنت عند عبد الله بن عمرو بن العاص حتى دخل عليه عقبة بن نافع بن عبد القيس الفهرى فقال: "ما اقدمك يا عقبة، فانى أعلمك تحب الامارة" قال: "فان أمير المؤمنين يزيد عقد لى على جيش إلى إفريقية." فقال له عبد الله بن عمر: "إياك أن تكون لعنة ارامل أهل مصر، فانى لم أزل اسمع أنه سيخرج رجل من قريش فى هذا الوجه فيهلك فيه."

فقدم إفريقية فتتبع آثار ابى المهاجر وضيق عليه وحدده، ثم خرج غلى قتال البربر وهم خمسة آلاف رجل من أهل مصر، وخرج بابى المهاجر معه فى الحديد فقتل وقتل أصحابه، وقتل ابو المهاجر معهم. وكان مقتل عقبة بن نافع واصحابه كما حدثنا يحيى بن بكير عن الليث بن سعد فى سنة ثلاث وستين (وقيل سنة ٦٤هـ).

قال ثم رجع إلى حديث عثمان وغيره قال: ثم زحف ابن الكاهنة إلى القيروان يريد عمر بن على، وزهير بن قيس فقاتلاه قتالاً شديداً فهزم ابن الكاهنة وقتل أصحابه، وخرج عمر بن على وزهير بن زهير بن قيس إلى مصر بالجيش لاجتماع ملأ البربر وأقام ضعفاء أصحابهما ومن كان خرج معهما من موالى إفريقية باطرابلس.

ويقال ان عبد العزيز بن مروان لما ولى مصر كتب إلى زهير بن قيس، وزهير يومئذ ببرقة يغزو إفريقية فخرج بجمع كثير فلما دنا من قونية وبها عسكر كسيلة بن لزم عبأ زهير لقتاله، وخرج إليه فاقتتلا فقتل كسيلة ومن معه ثم انصرف زهير قافلاً إلى برقة. ويقال بل حسان بن النعمان الذى كان وجه زهير بن قيس والله أعلم. كان مقتل كسيلة كما حدثنا يحيى بن بكير عن الليث بن سعد فى سنة أربع وستين.

حسان بن النعمان- ثم قدم حسان بن النعمان والياً على المغرب أمره عليها عبد الملك بن مروان فى سنة ثلاث وسبعين فمضى فى جيش كبير حتى نزل اطرابلس، واجتمع إليه بها من كان خرج من إفريقية

واطرابلس فوجه على مقدمته محمد بن ابى بكير، وهلال بن ثروان اللواتى، وزهير بن قيس ففتح البلاد وأصاب غنائم كثيرة وخرج إلى مدينة قرطاجنة وفيها الروم فلم يصب فيها إلا قليلاً من ضعافهم. فانصرف وغزا الكاهنة وهى إذ ذاك ملكة البربر، وقد غلبت على جُل إفريقية فلقيهما على نهر يسمى اليوم نهر البلاء، فاقتتلوا قتالا شديداً فهزمته، وقتلت من أصحابه واسرت منهم ثمانين رجلاً وافلت حسان ونفذ من مكانه إلى أنطابلس فنزل قصوراً من حيز برقة سُميت قصور حسان، واستخلف على إفريقية ابا صالح، وكانت أنطرابلس ولوبية ومراقية إلى حد اجدابية من عمل حسان.

فأحسنت الكاهنة اسار من أسرته من أصحابه، وأرسلتهم إلا رجلاً منهم من بنى عبس يقال له خالد بن يزيد فتبنته واقام معها. فبعث حسان إلى خالد رجلاً فأتاه فقال له أن حسان يقول: "لك ما يمنعك من الكتاب إلينا بخبر الكاهنة فكتب خالد ابن يزيد إلى حسان كتاباً وجعله فى خبزة، ثم دفعها إلى الرسول ليخفى فيها الكتاب، وليظن من رأى الخبزة أنها زاد الرجل، فخرجت الكاهنة وهى تقول "يا بنّى هلاككم فيما تأكله الناس، فكررت ذلك ومضى الرسول حتى قدم على حسان بالكتاب فيه علم ما يحتاج إليه. ثم كتب إليه أيضاً كتاباً آخر وجعله فى قربوس[1] حفره،

---

(1) القربوس ج قرابيس: حنو السرج، أى قسمة المقوس المرتفع من قدام المقعد ومن مؤخره، وهما قربوسان..

ووضع الكتاب، وأطبق عليه حتى استوى وخفي مكانه فخرجت الكاهنة أيضاً وهى تقول:"يا بنى هلاككم فى شئ من نبات الأرض ميت" فكررت ذلك ومضى حتى قدم على حسان، فندب أصحابه ثم غزاها، فلما توجه إليها خرجت ناشرة شعرها فقالت يا بنى:"انظروا ماذا ترون فى السماء قالوا نرى شيئاً من سحاب أحمر قالت لا وإلهى ولكنها رهج[1] خيل لعرب ثم قالت لخالد بن يزيد:"إنى إنما كنت تبنيتك لمثل هذا اليوم، أنا مقتولة فأوصيك باخويك هذين خيرا." فقال خالد:"إنى أخاف أن كان ما تقولين حقاً ألا يستبقيا." قالت بلى ويكون أحدهما عند العرب أعظم شأناً منه اليوم فانطلق فخذ لهما أماناً، فانطلق خالد فلقى حسان فأخبره خبرها وأخذ لابنيها أماناً وكان مع حسان جماعة من البربر من البتر فولى عليهم حسان الأكبر من ابنى الكاهنة وقربه.

ومضى حسان ومن معه فلقى الكاهنة فى أصل جبل فقتلت وعامة من معها، فسميت بئر الكاهنة. وكان مقتل الكاهنة...

قال ثم رجع إلى حديث عثمان وغيره، قال ثم انصرف حسان فنزل موضع قيروان إفريقية اليوم، وبنى مسجد جماعتها، ودون الدواوين، ووضع الخراج على عجم إفريقية، وعلى من أقام معهم على النصرانية من البربر وعامتهم من البرانس إلا قليلاً من البتر.

وأقام حسان بموضعه حتى استقامت له البلاد، ثم توجه إلى عبد

---

(1) رهج ارهج: اثار الغبار، بين القوم: هيج بعضهم على بعض.

الملك بغنائمه فى جمادى الآخرة سنة ست وسبعين. قال وحدثنا ابن بكير، حدثنا الليث بن سعد، قال قفل حسان ابن النعمان من إفريقية سنة ثمان وسبعين. فلما مر حسان ببرقة أمر على خراجها ابراهيم بن النصرانى، ثم مضى فمر بعبد العزيز بن مروان وهو بمصر، ثم نفذ إلى عبد الملك فسر عبد الملك بما أورد عليه حسان من فتوحه وغنائمه. ويقال بل أخذ منه عبد العزيز كل ما كان معه من السبى، وكان قد قدم معه من وصائف البربر بشئ لم ير مثله جمالاً، فكان ســيب الشاعر يقول حضرت السبى الذى كان عبد العزيز أخذه من حسان، مائتى جارية منها ما يقام بألف دينار.

مقتل زهير بن قيس- قال وأغارت الروم بعد حسان على انطرابلس، فهرب ابراهيم بن النصرانى، وخلى أهل انطابلس، وأهل ذمتها فى ايدى الروم فرأسوها أربعين ليلة حتى أسرعوا فيها الفساد، وبلغ ذلك عبد العزيز بن مروان، فأرسل إلى زهير بن قيس وكان خرج مع حسان، فلما بلغ مصر أقام فيها فأمره عبد العزيز بالنهوض إلى الروم، ولم يجتمع لزهير من اصحابه إلا سبعون رجلاً وكان عارض من الصدف يقال له جندل بن صخر وكان فظاً غليظاً، فقال زهير لعبد العزيز بن مروان، أما إذ قد أمرتنى بالخروج فلا تبعثن معى جندلاً عارضاً، فيحبس على الناس لشدته وفظاظته، وكان عبد العزيز عاتباً على زهير بن قيس لأنه كان قاتله حين وجهه أبوه مروان بن الحكم من ناحية ايلة من قبل أن يدخل مصر، فقال له ما علمتك يا زهير إلا جلفاً! فقال له زهير، ما كنت أرى يا ابن ليلى

أن رجلاً جمع ما أنزل الله على محمد (صلعم) من قبل أن يجتمع أبواك جلف جاف، ما هو بالجلف ولا الجاف، أنا منطلق فلا ردنى الله إليك، فخرج حتى إذا كان بدرنة من طبرق من أرض انطابلس، لقى الروم وهو فى سبعين رجلاً فتوقف لتلحق به الناس فقال له فتى شاب كان معه:"جبنت يا زهير" فقال:"ما جبنت يا ابن أخى ولكن قتلتنى وقتلت نفسك" فلقيهم فاستشهد زهير وأصحابه جميعاً فقبورهم هنالك معروفة إلى اليوم. وكان مقتل زهير وأصحابه كما حدثنا يحيى بن بكير عن الليث فى سنة ست وسبعين.

قال وكان باملس من برية انطابلس رجل من مذحج يقال له عطية بن يربوع، خرج بابن له هارباً من الوباء، وكان فى تلك البرية جماعة من المسلمين فاستغاثهم، وركب فيمن حوله من الناس، فاجتمع إليه سبعمائة رجل فزحف بهم إلى الروم فقاتلهم فهزمهم واعتصموا بسفنهم وهرب من بقى منهم. وبلغ ذلك عبد العزيز بن مروان فبعث إليها غلاماً يقا له تليد ووجه معه ناساً من أشراف أهل مصر فضبطها. حدثنا يحيى بن بكير، عن الليث بن سعد، قال:"أمر على انطابلس حين قتل زهير". فثقل على الناس أمامة تليد بهم لأنه عبد فبلغ ذلك عبد العزيز بن مروان فأرسل إلى تليد بعتقه، واقام بانطابلس.

موسى بن نصير- وقدم حسان بالنعمان من قبل عبد الملك، متوجهاً إلى المغرب فلما قدم مصر قال، لعبد العزيز: "أكتب إلى عبدك

بالاعراض عن انطابلس" فقال له عبد العزيز "ما كنت لأفعل بعد إذ ضيعتها فاستولت عليها الروم" فقال حسان:"إذاً ارجع إلى أمير المؤمنين." فقال له عبد العزيز: "ارجع" فانصرف حسان راجعاً إلى عبد الملك، وخلف ثقله بمصر فقدم على عبد الملك، وهو مريض وجه عبد العزيز (بن مروان) موسى ابن نصير إلى المغرب، فأخبر حسان عبد الملك بذلك فخر عبد الملك ساجداً وقال: "الحمد لله الذى امكننى من موسى لشدة اسفه عليه. وكان عاملاً لعبد الملك عى العراق مع بشر بن مروان فعتب عليه عبد الملك، واراد قتله فافتداه منه عبد العزيز بمال لما رأى من عقل موسى بن نصير ولبه، وكان عنده بمصر. ثم لم يلبث حسان بن النعمان إلا يسيراً حتى توفى، وقدم موسى ابن نصير المغرب فى سنة ثمان وسبعين. حدثنا يحيى بن بكير، حدثنا الليث، قال: أمر موسى بن نصير على إفريقية سنة تسع وسبعين. فعزل ابا صالح وافتتح عامة المغرب وواتر فتوحه، وكتب بها إلى عبد العزيز بن مروان وبعث بغنائمه وانهاها عبد العزيز إلى عبد الملك، فسكن ذلك من عبد الملك بعض ما كان يجد على موسى.

حدثنا عبد الملك بن مسلمة، حدثنا الليث بن سعد، "ان موسى بن نصير حين غزا المغرب بعث ابنه مروان على جيش فأصاب من السبى مائة ألف، وبعث ابن أخيه فى جيش آخر فأصاب مائة ألف، فقيل لليث بن سعد من هم؟ فقال: "البربر" فلما أتى كتابه بذلك قال الناس ابن نصير: والله أحمق من أين له عشرون ألفاً يبعث بها إلى أمير المؤمنين فى

الخمس فبلغ ذلك موسى بن نصير فقال ليبعثوا من يقبض لهم عشرين ألفاً.

ثم توفى عبد الملك بن مروان، وكانت وفاته كما حدثنا يحيى ابن بكير عن الليث بن سعد يوم الخميس لأربع عشر ليلة خلت من شوال سنة ست وثمانين.

واستخلف الوليد بن عبد الملك. فتواترت فتوح المغرب على الوليد من قبل موسى بن نصير فعظمت منزلة موسى عنده، واشتد عجبه به.

ملحق (٢)

ذكر فتح الأندلس (من كتاب فتوح إفريقية، والأندلس لابن عبد الحكم)

قال ووجه موسى بن نصير، ابنه مروان بن موسى إلى طنجة مرابطاً على ساحلها فجهد هو وأصحابه، فانصرف وخلف على جيشه طارق بن عمرو (الصواب زياد) واكنوا ألفاً وسبعمائة. ويقال بل كان مع طارق اثنى عشر ألفاً من البربر، إلا ستة عشر رجلاً من العرب وليس ذلك بالصحيح. ويقال ان موسى بن نصير خرج من افريقيا غازياً إلى طنجة، وهو أول من نزل طنجة من الولاة وبها من البربر بطون من البتر والبرانس ممن لم يكن دخل فى الطاعة. فلما دنا من طنجة بث السرايا فانتهت خيله إلى السوس الأدنى فوطئهم وسباهم، وأدوا إليه الطاعة، وولى عليهم والياً أحسن فيهم السيرة، ووجه بسر بن أبى أرطأة إلى قلمة من مدينة القيروان على ثلاثة أيام فافتتحها، وسبى الذرية وغنم الأموال. قال: "فسميت قلعة بسر" فهى لا تعرف إلا به إلى اليوم. ثم إن موسى عزل الذى كان استعمله على طنجة وولى طارق بن زياد ثم انصرف إلى القيروان، وكان طارق قد خرج معه بجارية له يقال لها ام حكيم فأقام طارق هناك مرابطاً زماناً وذلك فى سنة اثنتين وتسعين ه.

وكان المجاز الذى بينه وبين أهل الأندلس عليه رجل من العجم يقال له يليان صاحب سبته وكان على مدينة على المجاز إلى ألأندلس يقال لها الخضراء مما يلى طنجة، وكان يليان يؤدى الطاعة إلى لذريق صاحب

الأندلس وكان لذريق يسكن طليطلة فراسل طارق يليان ولاطفه حتى تهاديا، وكان يليان قد بعث بابنة له إلى لذريق صاحب الأندلس ليؤدبها ويعلمها. فأحبلها فبلغ ذلك يليان فقال لا أرى له عقوبة ولا مكافأة إلا أن أدخل عليه العرب، فبعث إلى طارق أنى مدخلك الأندلس، وطارق يومئذ بتلمسين (أى تلمسان)، وموسى بن نصير بالقيروان، فقال طارق "فإنى لا اطمئن إليك. حتى تبعث إلى برهينة" فبعث إليه بابنتيه، ولم يكن له ولد غيرهما، فأقرهما طارق بتلمسين واستوثق منهما، ثم خرج طارق إلى يليان وهو بسبتة على المجاز، ففرح به حين قدم عليه، وقال له:"أنا مدخلك الأندلس" وكان فيما بين المجازين جبل يقال له اليوم جبل طارق فيما بين سبتة والأندلس، فلما أمسى رد المراكب إلى من بقى من أصحابه، فحملوا إليه حتى لم يبق منهم أحد، ولا يشعر بهم أهل الأندلس ولا يظنون إلا أن المراكب تختلف بمثل ما كانت تختلف به من منافعهم، وكان طارق فى آخر فوج ركب، فجاز إلى أصحابه، وتخلف يليان ومن كان معه من التجار بالخضراء ليكون أطيب لأنفس أصحابه وأهل بلده. وبلغ خبر طارق ومن معه أهل الأندلس ومكانهم الذى هم به. وتوجه طارق فسلك بأصحابه على قنطرة من الجبل إلى قرية يقال لها قرطاجنة، وزحف يريد قرطبة فمر بجزيرة فى البحر فخلف بها جارية له يقال لها ام حكيم، ومعها نفر من جنده، فتلك الجزيرة من يومئذ تسمى جزيرة أم حكيم. وقد كان المسلمون حين نزلوا الجزيرة، وجدوا بها كرامين ولم يكن بها غيرهم فأخذوهم، ثم عمدوا إلى رجل من الكرامين فذبحوه ثم عضوه وطبخوه،

ومن بقى من أصحابه ينظرون وقد كانوا طبخوا لحماً فى قدور أخر، فلما أدركت طرحوا ما كان طبخوه من لحم ذلك الرجل ولا يعلم بطرحهم له، وأكلوا اللحم الذى كانوا طبخوه ومن بقى من الكرامين ينظرون إليهم، فلم يشكوا أنهم أكلوا لحم صاحبهم، ثم ارسلوا من بقى منهم فأخبروا أهل الأندلس أنهم يأكلون لحم الناس، وأخبروهم بما صنع بالكرام.

قال وكان بالأندلس كما حدثنا ابو عبد الله بن عبد الحكم وهشام بن اسحاق بيت عليه اقفال لا يلى ملك منهم إلا زاد عليه قفلاً من عنده، حتى كان الملك الذى دخل عليه المسلمون فإنهم أرادوه على أن يجعل عليه قفلاً كما كانت تصنع الملوك قبله، فأبى وقال:"ما كنت لأضع عليه شيئاً حتى أعرف ما فيه." فأمر بفتحه فإذا فيه صور العرب وفيه كتاب إذا فتح هذا الباب دخل هؤلاء القوم هذا البلد(وهى رواية أسطوره بعيده عن العقل والمنطق) .

*روايه خياليه لاتتفق مع العقل والمنطق لأن الإسلام يحُرم ذلك .

ثم رجع إلى حديث عثمان وغيره قال:"فلما جاز طارق تلقته جنود قرطبة، واجترؤوا عليه للذى رأوا من قلة أصحابه، فاقتتلوا فاشتد قتالهم ثم انهزموا، فلم يزل يقتلهم حتى بلغوا مدينة قرطبة وبلغ ذلك لذريق فزحف إليهم من طليطلة فالتقوا بموضع يقال له شذونه على واد يقال له اليوم وادى ام حكيم، فاقتتلوا قتالا شديداً فقتل الله عز وجل لذريق ومن معه.

وكـان مغيث لرومـى يريـد قرطبـة ومـضى طـارق إلـى طليطلـة فدخلها وسأل عن المائدة ولم يكن لـه هم غيرها، وهى مائـدة سليمان بـن داود التى يزعم أهل الكتـاب. قـال، وحدثنا يحيى بـن بكير حدثنا الليث بـن سعد قال: فتح لموسى بن نصير الأندلس فأخذ منها مائدة سليمان بـن داود عم والتاج. فقيل لطارق أن المائدة فى قلعة يقال لها فراس، مسيرة يومين من طليطلة وعلى القلعة ابن اخت لذريق فبعث إليـه طـارق بامانـه وامـان أهل بيته فنزل إليه، فأمنه ووفى له، فقال له طارق ادفع إلى المائدة فدفعها إليه وفيها من الذهب، وجعل لها رجلاً سواها فقومت المائدة بمـائتى ألـف دينـار لمـا فيهـا مـن الجـوهر، وأخـذ طـارق مـا كـان عنـده مـن الجـوهر، والسلاح، والذهب، والفضة والآنية وأصاب سوى ذلك من الأموال ما لم ير مثله فحوى ذلك كله ثم انصرف إلى قرطبة وأقام بها.

وكتب إلى موسى بن نصير يعلمه بفتح الأنـدلس ومـا أصـاب مـن الغنائم، فكتب موسى إلى الوليد بن عبد الملك يعلمـه بذلك ونحلـه نفسه وكتب موسى طارق ألا يجاوز قرطبة حتى يقدم عليه وشتمه شتماً قبيحاً.

ثـم خـرج موسـى بـن نـصير إلـى الأنـدلس فـى رجـب سـنة ثـلاث وتـسعين بوجـوه العـرب والمـوالى وعرفـاء البربـر، حتـى دخـل الأنـدلس، وخـرج مغيظـاً علـى طـارق وخـرج معـه حبيـب بـن أبـى عبيـدة الفهـرى، واستخلف على القيروان ابنه عبد الله بن موسى، وكان اسن ولـده، فأجـاز من الخضراء ثم مضى إلى قرطبة، فتلقاه

طارق فترضاه وقال له:"إنما أنا مولاك وهذا الفتح لك" فجمع موسى من الأموال ما لا يقدر على صفته، ودفع طارق كل ما كان غنم إليه. قال، "ويقال بل توجه لذريق إلى طارق وهو فى الجبل فلما انتهى إليه لذريق خرج إليه طارق ولذريق يومئذ على سرير ملكه والسرير بين بغلين يحملانه وعليه تاجه وقفازه.

وجميع ما كانت الملوك قبله تلبسه من الحلية". فخرج إليه طارق وأصحابه رجالة كلهم ليس فيهم راكب فاقتتلوا من حين بزغت الشمس إلى أن غربت، وظنوا أنه الفناء، فقتل الله لذريق ومن معه وفتح للمسلمين، ولم يكن بالمغرب مقتلة قط أكثر منها، فلم يرفع المسلمون السيف عنهم ثلاثة أيام ثم ارتحل الناس إلى قرطبة. قال:" ويقال أن موسى هو الذى وجه طارقاً بعد مدخله الأندلس إلى طليطلة، وهى النصف فيما بين قرطبة واربونة، واربونة هى أقصى ثغر الأندلس وكان كتاب عمر بن عبد العزيز ينتهى إلى اربونة ثم غلب عليها أهل الشرك فهى فى أيديهم اليوم، وأن طارقاً إنما أصاب المائدة فيها.

وكان لذريق يملك ألفى ميل من الساحل إلى ما وراء ذلك، وأصاب الناس غنائم كثيرة من الذهب والفضة. حدثنا عبد الملك بن مسلمة:"حدثنا الليث ابن سعد قال: ان كانت الطنفسة لتوجد منسوجة بقضبان الذهب تنظم السلسلة من الذهب باللؤلؤ، والياقوت، والزبرجد، وكان البربر ربما وجدوها فلا يستطيعون حملها حتى يأتوا بالفأس فيضرب

وسطها فيأخذ أحدهما نصفها؛ والآخر نصفها لأنفسهم وتسير معهم جماعة والناس مشتغلون بغير ذلك. حدثنا عبد الملك ابن مسلمة، حدثنا الليث بن سعد، قال:"لما فتحت الأندلس جاء انسان إلى موسى بن نصير فقال:"ابعثوا معى أدلكم على كنز" فبعث معه فقال لهم الرجل:"انزعوا ها هنا فنزعوا" قال: فسال عليهم الزبرجد، والياقوت شئ لم يروا مثله قط، فلما رأوه تهيبوه، وقالوا لا يصدقنا موسى بن نصير فأرسلوا إليه حتى جاء ونظر إليه. حدثنا عبد الملك، حدثنا الليث بن سعد "ان موسى بن نصير حين فتح الأندلس كتب إلى عبد الملك أنها ليست بالفتوح ولكنه الحشر".

حدثنا عبد الملك بن مسلمة "حدثنا مالك بن انس، عن يحيى بن سعيد، قال: "لما افتتحت الأندلس أصاب الناس فيها غنائم، فغلوا فيها غلولاً كثيراً حملوه فى المراكب، وركبوا فيها فلما وسطوا البحر سمعوا منادياً، يقول اللهم غرق بهم فدعوا الله وتقلدوا المصاحف قال فما نشبوا أن أصابتهم ريح عاصف وضربت المراكب بعضها بعضاً حتى تكسرت وغرق بهم. وأهل مصر ينكرون ذلك، ويقولون أن أهل الأندلس هم الذين غرقوا وإنما هم أهل سردانية وذلك أن أهل سردانية كما حدثنا سعيد بن عفير لما توجه إليهم المسلمون عمدوا إلى ميناء لهم فى البحر فسدوه وأخرجوا منه الماء، ثم قذفوا فيه آنيتهم من الذهب والفضة، ثم ردوا عليه الماء بحاله وعمدوا إلى كنيسة لهم فجعلوا لها سقفاً من دون سقفها وجعلوا ما كان لهم من مال بين السقفين، فنزل رجل من المسلمين يغتسل

فى ذلك الموضع الذى سكروه، ثم أعادوا عليه الماء فوقعت رجله على شئ فأخرجه فإذا صحفة من فضة، ثم غاص أيضاً فأخرج شيئاً آخر فلما علم المسلمون بذلك حبسوا عنه الماء وأخذوا جميع تلك الآنية، ودخل رجل من المسلمين ومعه قوس بندق إلى تلك الكنيسة التى رفعوا بين سقفيها ما لهم فنظر إلى حمام فرماه ببندقه فأخطأه وأصاب شبحة خشب فكسرها وانهال عليهم المال فغل المسلمون يومئذ غلولاً كثيراً. فان كان الرجل ليأخذ الهر فيذبحها ويرمى ما فى جوفها ثم يحشوه مما غل، ثم يخبط عليه ويرمى بها إلى الطريق ليتوهم من رآها أنها ميتة، فإذا خرج أخذها وان كان الرجل ينزع نصل سيفه فيطرحه ويملأ الجفن غلولاً ويضع قائم السيف على الجفن. فلما ركبوا السفن وتوجهوا سمعوا منادياً ينادى اللهم غرق بهم فتقلدوا المصاحف ففرقوا جميعاً إلا أبو عبد الرحمن الحبلى وحنش بن عبد الله السبئى فانهما لم يكونا نديا من الغلول بشئ. حدثنا عبد الملك بن مسلمة حدثنا ابن نهيعة قال: سمعت ابا الاسود قال سمعت عمرو بن اوس يقول: "بعثنى موسى بن نصير افتش أصحاب عطاء بن دافع، مولى هزيل حين انكسرت مراكبهم فكنت ربما وجدت الانسان قد خبأ الدنانير فى خرقة فى شئ بين خصيتيه، قال فمر بى انسان متكئاً على قصبة فذهبت افتشه فنازعنى، فغضبت فأخذت القصبة فضربته بها فانكسرت وانتشرت الدنانير منها فأخذت أجمعها. حدثنا عبد الملك، حدثنا الليث ابن سعد قال:"بلغنى ان رجلاً فى غزوة عطاء بن رافع، أو غيره بالمغرب غل، فتحمل بها حتى جعلها فى زفت فكان يصيح عند

الموت من الزفت، من الزفت".

قال وأخذ موسى بن نصير طارق بن عمر(الصواب زياد) فشده وثاقاً وحبسه وهم بقتله، وكان مغيث الرومى غلاماً للوليد بن عبد الملك فبعث إليه طارق إنك ان رفعت أمرى إلى الوليد، وان فتح الأندلس كان على يدى، وان موسى حبسنى يريد قتلى أعطيتك مائة عبد، وعاهده على ذلك فلما أراد مغيث الانصراف ودع موسى بن نصير وقال له لا تعجل على طارق ولك أعداء، وقد بلغ أمير المؤمنين أمره وأخاف عليك وجده فانصرف مغيث، وموسى بالأندلس فلما قدم مغيث على الوليد أخبره بالذى كان من فتح الأندلس على يدى طارق، وبحبس موسى اياه والذى اراد به من قتل، فكتب الوليد إلى موسى يقسم له بالله لئن ضربته لأضربنك، ولئن قتلته لاقتلن ولدك به، ووجه الكتاب مع مغيث الرومى فقدم به على موسى الأندلس فلما قرأه أطلق طارقاً وخلى سبيله ووفى طارق لمغيث بالمائة العبد الذى كان جعل له.

وخرج موسى بن نصير من الأندلس، بغنائمه وبالجوهر والمائدة واستخلف على الأندلس ابنه عبد العزيز بن موسى، وكانت إقامة موسى بالأندلس سنة ثلاث وتسعين واربع وتسعين واشهراً من سنة خمس وتسعين فلما قدم موسى افريقية كتب إليه الوليد بن عبد الملك بالخروج إليه، فخرج واستخلف على افريقية ابنه عبد الله بن موسى وسار موسى بتلك الغنائم والهدايا حتى قدم مصر، ومرض الوليد بن عبد الملك، فكان

يكتب إلى موسى يستعجله، ويكتب إليه سليمان بالمكث والمقام ليموت الوليد ويصيرما مع موسى إليه، وخرج موسى حتى إذا كان بطبريه اتته وفاة الوليد فقدم على سليمان بتلك الهدايا فسر سليمان بذلك .

ويقال أن موسى بن نصير حين قدم من الأندلس لم ينزل القيروان خلفها ، ونزل قصرالماء وضحى هنالك ثم شخص ، وشخص معه طارق.

حدثنا يحيى بن عبد الله بن بكير، عن الليث بن سعد قال:" قفل موسى بن نصير وافداً إلى أمير المؤمنين فى سنة سته وتسعين ودخل الفسطاط يوم الخميس لست ليال بقين من شهرربيع الأول.

ثم رجع إلىحديث عثمان بن صالح، وغيره قال فبينا سليمان يقلب تلك الهدايا إذانبعث رجل من أصحاب موسى يقال له عيسى بن عبد الله الطويل من أهل المدينة ، وكان علي الغنائم فقال:" يا أمير المؤمنين إن الله قد أغناك بالحلال عن الحرام وإنى صاحب هذة المقاسم، وإن موسى لم يخرج خمساً من جميع ما أتاك به" فغضب سليمان وقام عن سريره فدخل منزله ثم خرج إلى الناس فقال :"نعم قد أغنانى الله بالحلال عن الحرام" وأمربإدخال ذلك بيت المال ، وقد كان سليمان قد أمر موسى بن نصير برفع حوائجه حوائج من معه ثم الانصراف إلى المغرب.

قال ويقال :" بل قدم موسى بن نصيرعلى الوليد بن عبد الملك والوليد مريض فأهدى إليه موسى المائدة" فقال طارق : أنا أصبتها ،

فكذبه موسى فقال للوليد فادع المائدة فانظر هل ذهب منها شئ ،فأدع المائدة فانظر هل ذهب منها شئ، فدعا بها الوليد فنظر فإذا برجل من أرجلها لاتشبه الرجل الآخر ، فقال له طارق سله يا أمير المؤمنين فإن أخبرك بما تستدل به على صدقه فهو صادق، فسأله الوليد عن الرجل فقال هكذاأصبتها ، فأخرج طارق الرجل التى كان أخذ منها حين أصابها ،فقال يستدل أمير المؤمنين بها على صدق ما قلت له، وأنى أصبتها فصدقه الوليد وقبل قوله وأعظم جائزته .

ثم رجع إلى حديث عثمان وغيره قال:" وكان عبد العزيز بن موسى ، بعد خروج أبيه قد تزوج أمراه أمراه(الصواب أرمله) بنت ملك من أهل الأندلس يقال أنها ابنة لذريق ملك الأندلس الذى قتله طارق فجاءته من الدنيا بشئ كثير لايوصف، فلما دخلت عليه قالت نالى لاأرى أهل مملكتك يعظمونك ولا يسجدون له،كما كان أهل مملكة أبى يعظمونه ويسجدون له فلم يدرما يقول لها فأمر بباب فنقب له فى ناحية قصره وجعله قصيراً وكان يأذن للناس فيدخل إليه من الباب حين يدخل منكساً لقصر الباب " وهى فى موضع تنظر إلى الناس منه فلما رأت ذلك قالت لعبد العزيز الأن قوى ملكك.

وبلغ الناس أنه أنما نقب الباب لهذا ، وزعم بعض الناس أنها نصرته فثار به حبيب ابن أبى عبيدة القهرى ،وزياد بن النابغة التميمى ،وأصحاب لهم من قبائل العرب ،اجتمعوا على قتل عبد العزيز للذى بلغهم

منـأمره وأتـوا إلـى موذنـه فقـالوا أذن بلبـل لكـى نخـرج إلـى الـصلاة، فـأذن الموذن ثم ردد التثويب، فخرج عبد العزيز فقال لموذنه لقد عجلت وأذنـت بلبـل،ثـم توجـه إلـى المـسجد وقـد اجتمـع لـه أوليـك النفـر وغيـرهم ممـن حضر الصلاةوتقدم عبد العزيزفافتتح يقرأ:"إذا وقعت الواقعة لـيس لوقعتهـا كذبة خافضة رافعة (١) .

فوضع حبيب السيف على رأس عبد العزيز فنصرف هاربا حتى حتـى دخـل داره فدخل جنانا له واختبأ فيه تحت شجرة، وهرب حبيب بن أبـى عبيـدة وأصحابه، ،أتبعه زيـاد ابن النابغة فدخل علـى أثره فوجده تحت الـشجرة فقال له عبد العزيزيا بن النابغة نجنـى لك مـا سألت فقـال :"لاتـذق الحيـاة بعدها" فأجهز عليه واحتز رأسه وبلغ ذلك حبيبا وأصحابه فرجعوا.

ثم خرجوا برأس عبد العزيز إلى سليمان بن عبد الملك وأمـروا على الأندلس أيوب ابن عبد العزيزعلـى أيوب ابن أخت موسـى بـن نـصير ،ومروا على القيروان وعليها عبد الله بن موسى بن نـصير ،فلـم يعـرض لهم وسـاروا حتـى قـدموا علـى سـليمان بـرأس عبـد العزيـز بـن موسـى فوضعوه بين يديه وحضر موسى بن نصيرفقال له سليمان " أتعرف هذا، قال نعم أعلمه. صواما قواما فعليه لعنه الله إن كان الذى قتلـه خيراً منـه".

وكان قتل عبد العزيز بن موسى كما حدثنا يحيى بن عبد الله بن بكير عن الليثبن سعد فى سنة سبع وتتسعين .

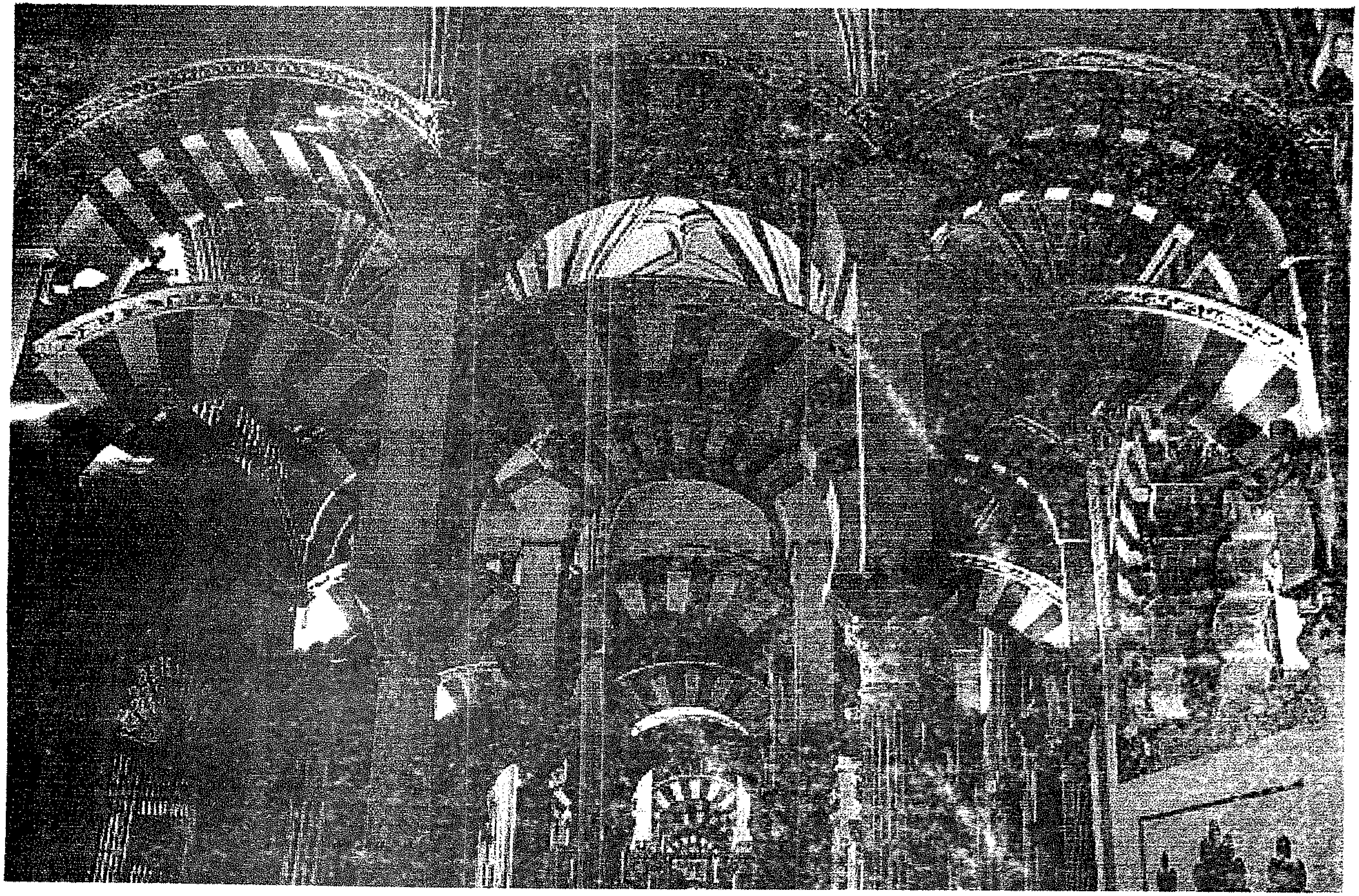
---

(١) سورة الوقعة سورة رقم ٥٦الايات ١-٢-٣.

قال وكان سليمان عاتبا على موسى بن نصيرفدفعه إلى حبيب بن أبى عبيدة وأصحابه ليخرجوا به إفريقيه فاستغاث بأيوب بن سليمان فأجاره وشفع له عند أبيه .

ويقال أن سليمان أخذ موسى بن نصيرفغرم له مائة ألف دينار، وألزمه ذلك وأخذ ما كان له فاستجار بيزيد بن المهلب فاسوهبه من سليمان ، فوهبه له وماله ورد ذلك عليه ولم يلزمه شيئا ....)

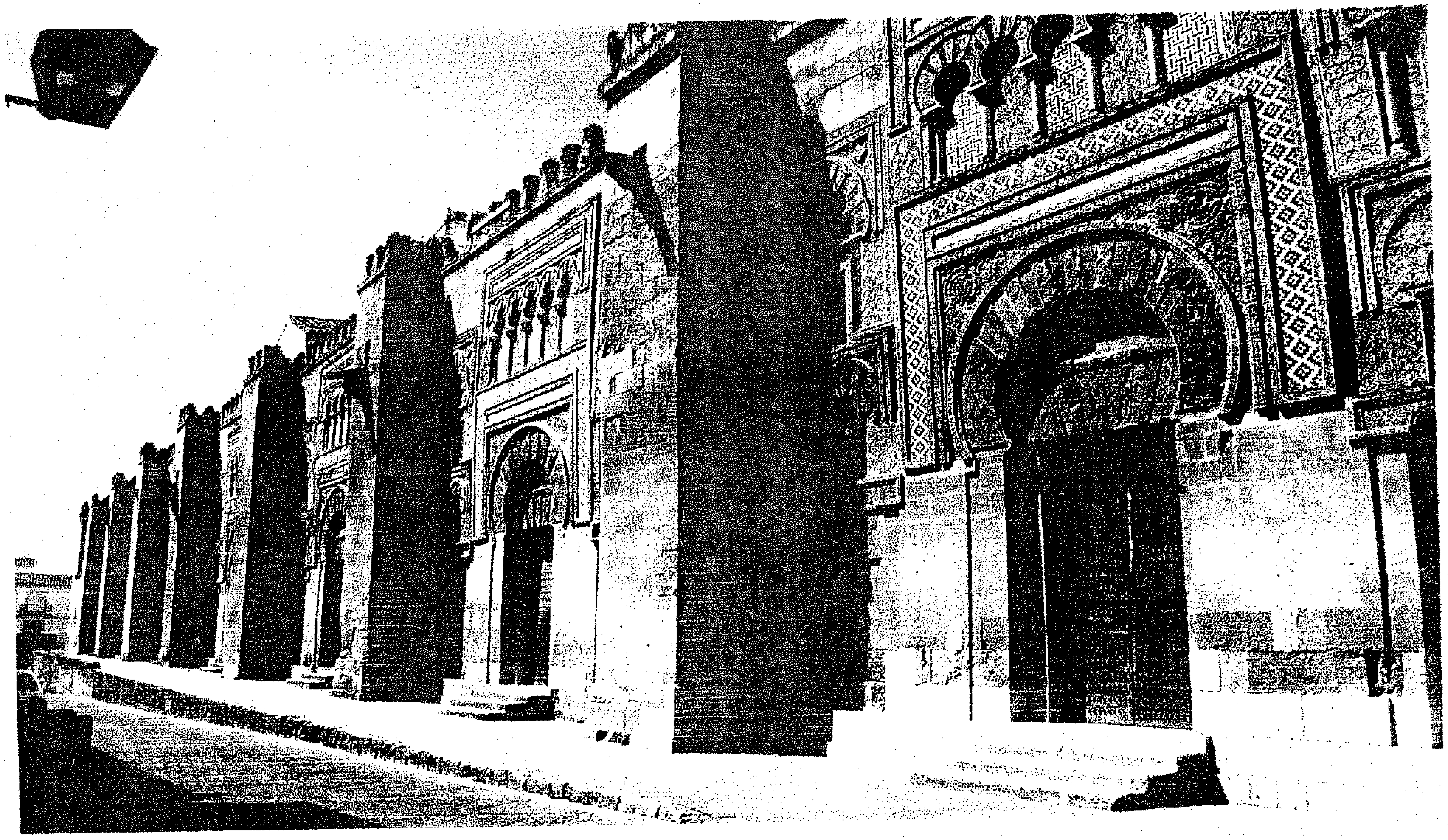
الفهـرس



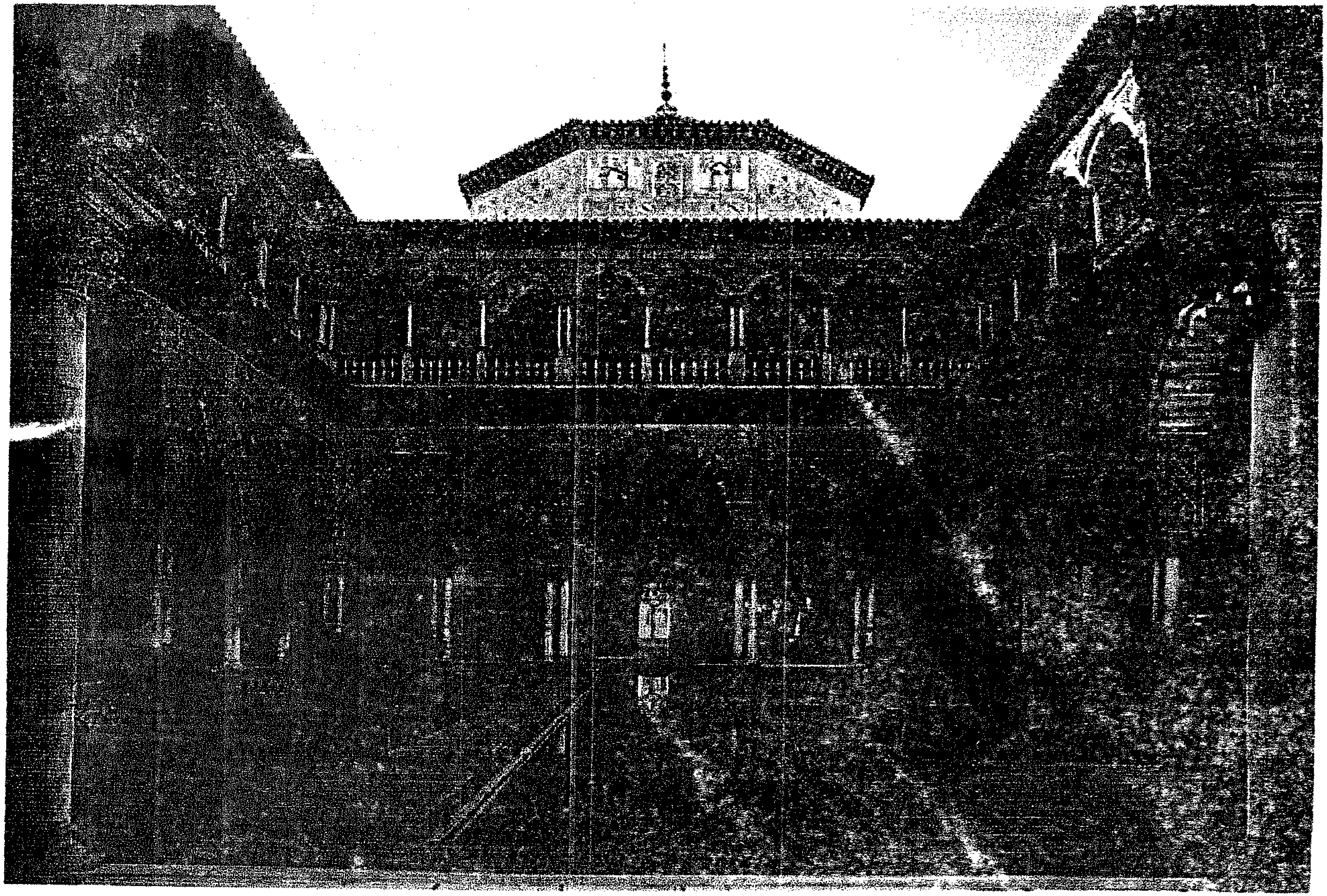
لوحة رقم (١٥)

صورة لجامع قرطبة من الداخل عن موقع

(http://www.hotelfone.com/Photos/mezquita-de-cordoba1.jpg)



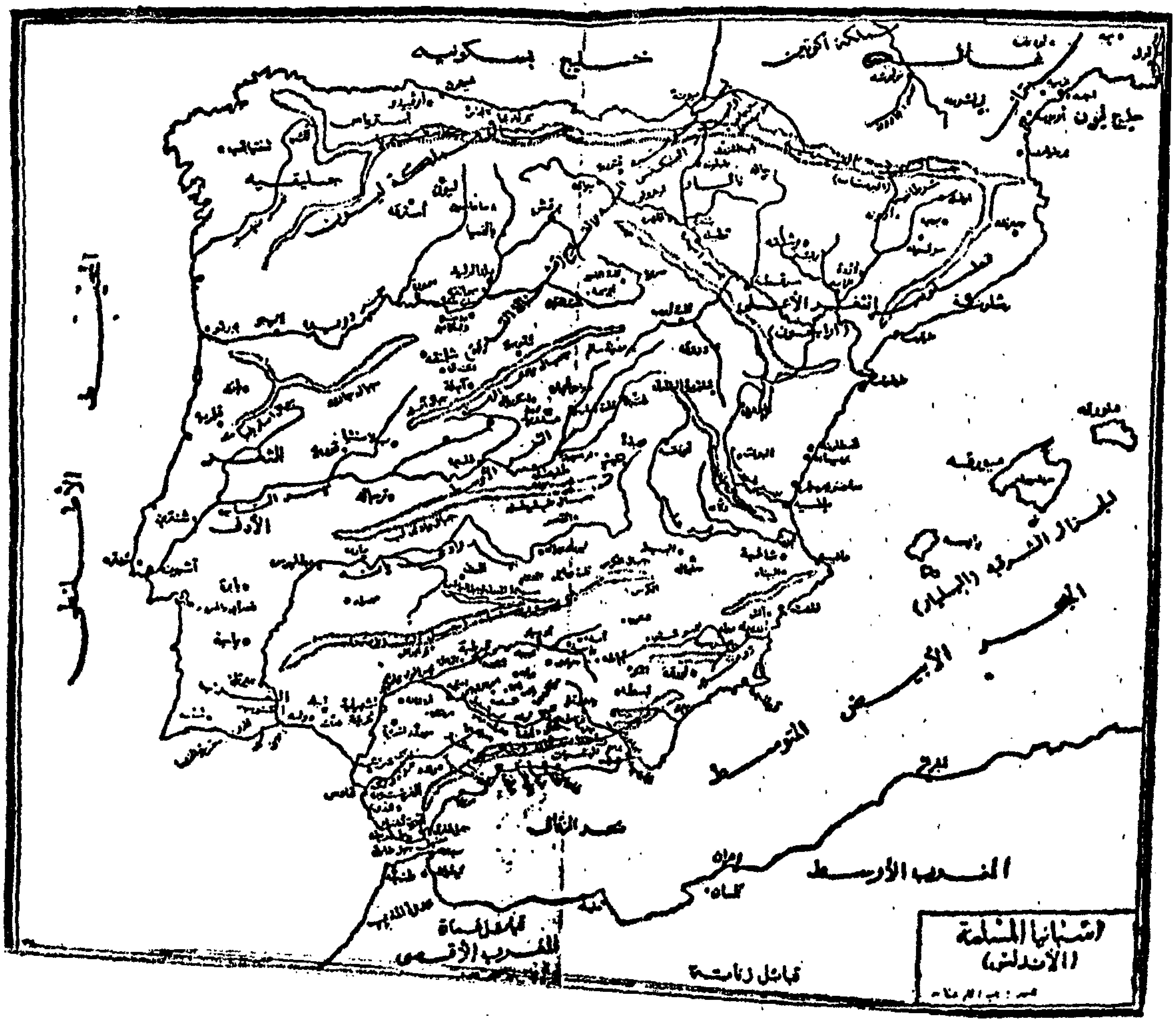
لوحة رقم (١٦)
صورة لجامع قرطبة من الخارج عن موقع
(http://commons.wikimedia.org/wiki/File:Fachada_oriental_de_la_Mezquita_de_C%C3% B3rdoba.JPG)



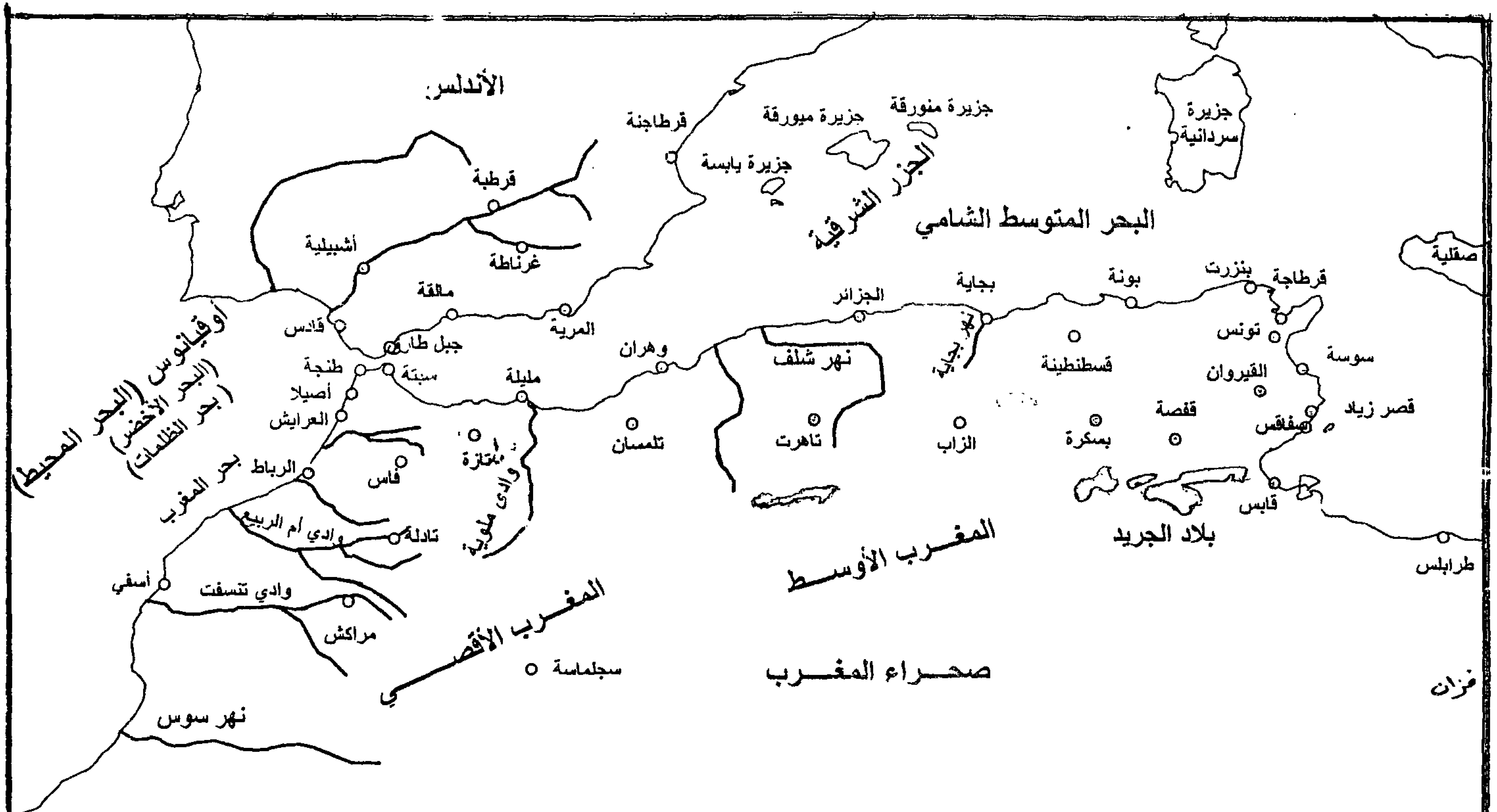
لوحة رقم (٣)

قصر اشبيليه (Alcázar de Sevilla)عن موقع

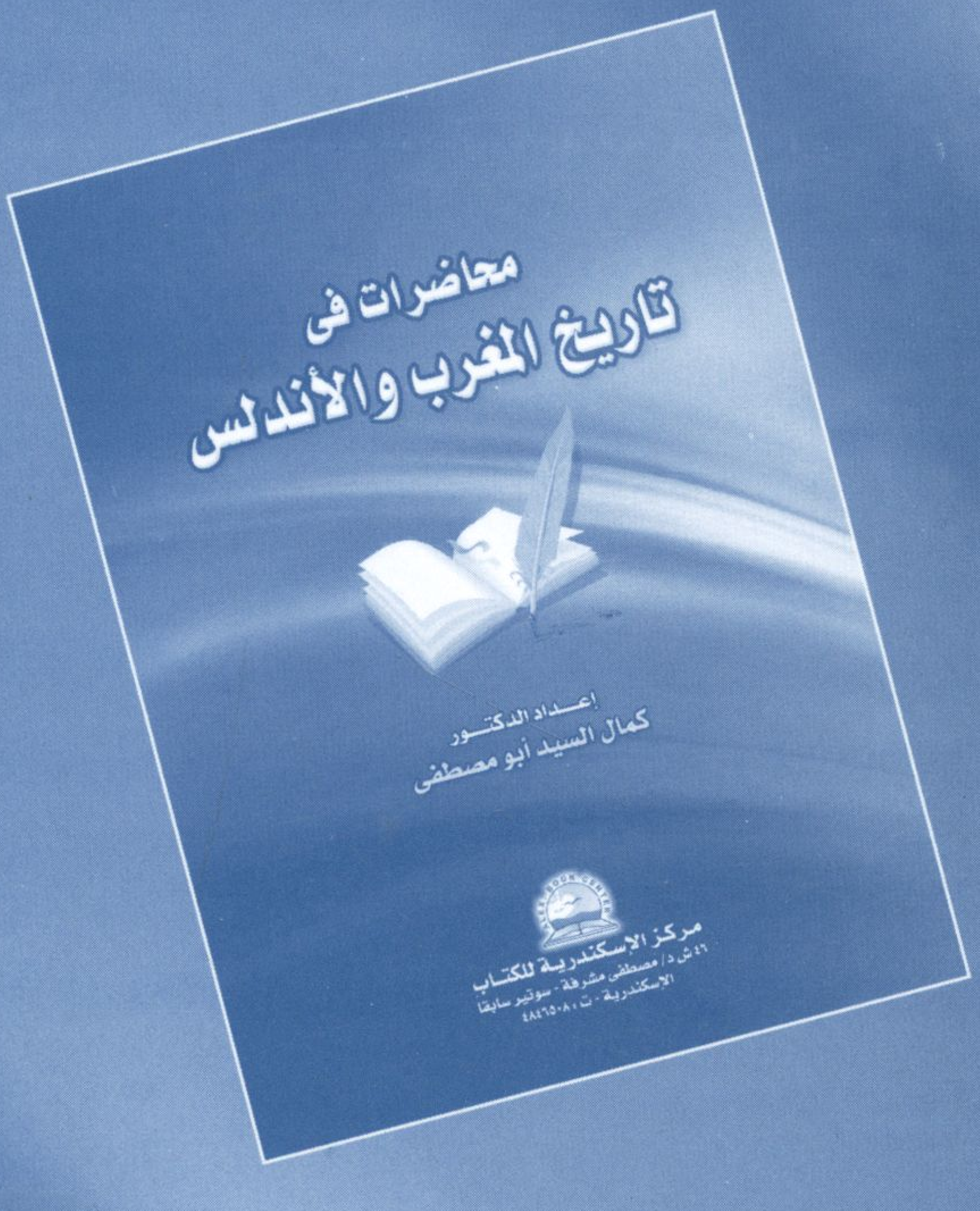
(http://www.flickr.com/photos/26254326@N02/3159387779/lightbox)



اسبانيا المسلمة
(الأندلس)
خليج بسكونيه
المحيط الأطلنطي
البحر الأبيض المتوسط
الجزائر الشرقية (البليار)
ميورقة
منورقة
يابسة
المغرب الأوسط
المغرب الأقصى
قبائل زناتة



خريطة بلاد المغرب العربي


محاضرات فى
تاريخ المغرب والأندلس
إعداد الدكتور
كمال السيد أبو مصطفى
مركز الإسكندرية للكتاب
٤٦ ش د/ مصطفى مشرفة - سوتير سابقا
الإسكندرية - ت ٤٨٤٦٥٠٨١